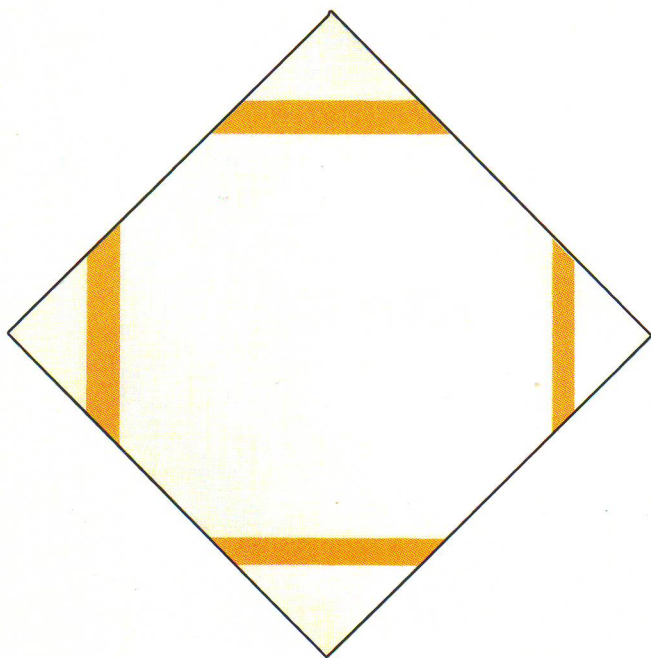


أسعد زيدان

مولاي العقل

A. RAZÃO - MEU SENHOR



منشورات الجمل

أسعد زيدان

مولاي العقل

A. RAZÃO - MEU SENHOR

منشورات الجمل

أسعد زيدان، صحافي ومؤرخ، من مواليد ١٩٣٣، قرية رويسة البلوط - قضاء
بعيدا - المتن، هاجر إلى البرازيل عام ١٩٥٢ وقطن شمالي شرق البرازيل ثم
ولاية باراء الأمازونية، مؤلفاته العربية: آراء مغترب، سان باولو - البرازيل
١٩٦٣، سلاطين القرن العشرين، البرازيل ١٩٨٠، شاعران من المهجر:
القروي وفرحات، لبنان ١٩٨٧، أزجال لبنانية في البرازيل، لبنان ٢٠٠٥،
شعراء من المهجر البرازيلي، لبنان ٢٠٠٥، الناس والتاريخ، لبنان ٢٠٠٥،
أدب وأدباء المهجر البرازيلي، لبنان ٢٠١١، مؤلفاته في اللغة البرتغالية: جذور
لبنانية في ولاية باراه، ٢٠١١، الحرف والتاريخ، ولاية باراه ٢٠٠٥، جبران
خليل جبران فيلسوف الأنبياء ونبي الفلاسفة، سان باولو ٢٠٠٨.

أسعد زيدان: مولاي العقل

الطبعة الأولى ٢٠١٦

كافة حقوق النشر والترجمة والاقتباس

محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد - بيروت ٢٠١٦

تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ - ٠١ - ٠٩٦١

ص.ب: ٥٤٣٨ - ١١٣ بيروت - لبنان

© Al-Kamel Verlag 2016

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany

www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

كلمة المؤلف

منذ أكثر من سبعين قرناً، والحامات والأخبار، والكهنة الأخيار، يحشون رؤوس أجيالنا، أطفالاً وفتياناً، شباناً وشابات، رجالاً وكهولاً، بقصص الغيبيات وحكايا الخرافات، ويفرضون اعتبارها أعجوبة سماوية مقدسة، ويصرون على تدوينها دساتيراً وشريعة قانونية لمجتمعنا المدني، مجتمع القرن الواحد والعشرين... قرن الاكتشافات والتطور العلمي... قرن أعاجيب العقل الآلي الذكي الأعجوبة.

منذ أيام تأليه الفراعنة، وتقديس ملوك آشور وبعل فينيقيا مروراً بأعاجيب موسى، وبساط سليمان بن داوود، وحكايا الأساطير التي تحيط بالعقل العربي كالقيود الفولاذية الصلبة، تمنع أي سلاح من كسرها، ولا تدع أي قنديل من إضاءة مغارة عقولنا المظلمة... إنها جاهلية بربرية ظالمة قاسية، مدججة بسلاح حكايات المخدرات، وغزارة كتب المطبوعات، ومسلسلات وأفلام المرئيات... ولليوم ما زلنا نحن الكتاب نتحاشى الصدام معها وجهاً لوجه... هذا نظراً لكثافة جحافل مخابرات سلطة الجاهلية السريعة النخوة لمطاردة الكلمة الحرة المنيرة، وخوفاً على أقلامنا من الكسر، وعلى أناملنا من

الطحن، وعلى أجسادنا من زنزانات المباحث، وعلى كتبنا من الحريق، وعلى أنفسنا من الاغتيالات.

أجل... لقد مرّ على اضطهاد حرية الكلمة عشرات القرون، وذهبت دول وأتت أخرى، ودفنت أنظمة وقامت ثانية، وتعثرت حرية الكلمة في بلد ما ولكنها انتصرت في غيرها، ونحن هنا ما زال كابوس الاضطهاد الفكري، مرافقاً لقانون أن كل من يُطالب بفصل الديانة عن الدولة، وكل من ينتقد التشريعات الدينية، وكل من لا يصدّق حكايا التوراة وسرد الكتب الدينية يكون قد شهر حرباً على الله ونال من اسمه جلّ ذكره... فوجب قصاصه...!!

إنني هنا أقف بجانب الشاعر الجزائري الذي قال: «أنا ضد ربكم ولست ضد ربي» فأقدّم لقراء العربية كتابي هذا مع أمنياتي أن يأخذ مكانته في عالم الكتب المفيدة، خاصة لأجيال الغد، ويكون واحد من كتب مسلسلات كتب التوعية، التي نُشرت إبان القرن المنصرم، لعباقرة العطاء الفكري شبلي الشميل، فرح أنطون، أمين الريحاني، وغيرهم من الكتاب والفلاسفة المنورين.

أسعد زيدان

الفصل الأول

البداية

العقل هو البداية... بداية كل موجود في الوجود... بداية وتكوين كل انطلاق حضاري للإنسانية... بداية كل مسيرة نحو الفهم والتطور والإبداع... إنه مميّزة الإنسان في كل زمان ومكان... هذا العقل كان أعظم وأروع ما أبدعته مئات ملايين سنوات التكوين... إنه أبو العجائب المنظورة والمحسوسة والملموسة التي تدحض وتلغي أعاجيب الأساطير الخيالية التي ينسبونها لقوى إلهية غير منظورة، ومتمترسة فوق الغيوم.

مولاي العقل هو العقل الذي لا يغيب عن الوجود... العقل... وبدأت خطوات نموّه مع النمو الجسدي لغوريلا الجد الدارويني الأقدم للبشرية... وبعد مئات ملايين السنين. أي بعد أن تمّ إختفاء الذيل تحت عضمة الذنب، وتمكّن المخلوق السعداني من السير على قدميه منتصباً. عندها تحرك الفكر العقلاني (والعقل السليم في الجسم السليم) مستجيباً لتوفير وإيجاد ضروريات الحياة البدائية. فاتخذ الكهوف والمغاور مسكناً، يحتمي فيها من خطر الحيوانات الجائعة، ومن صقيع الثلوج والأمطار وتكاثف الهوام على كسوته الجلدية

السميكة المتراكمة عليها الأوساخ... هناك كان العقل البدائي الدافع له كي يحفر الحجارة ويسنها سكاكيناً وحراباً وفؤوساً لمواجهة الأعداء وصيد الغذاء، وقام أيضاً يقطع الأخشاب ويرتبها جدراناً وسقوفاً لكوخه... ثم مع ازدياد حركته إقترب من النار التي سببتها الصاعقة في الغابات، فشعر بالدفء، وذاق لحوم الحيوانات التي شوتها النيران فاستطابها... ولربما منذ ذلك الزمن عُرف المثل القائل «الحاجة أم الاكتشافات» فاكتشف من يومها اشعال النار من قدح الزناد على الصوان، فجفف الطين وصنع الأجر لبناء المدماك الأول لبيته الأول، ولين الحديد واتخذ سلاحه الدفاعي والهجومى الأكثر فعالية، ومع مسيرته هذه اكتشف الوتر الموسيقي الأول، وجرب الدواء من أعشاب الأرض، ومارس العملية الجراحية الأولى، ثم لكي يصبح بينه وبين الطبيعة خبزاً وملحاً، اكتشف زراعة القمح ومعدن الملح فتذوق الوجبة الغذائية الأولى... وبعد هذا قام يشد القوارب والسفن لخوض البحار، ووصل القارات بالقارات، واتصال الإنسان باخيه الإنسان، ونقل المعرفة والمعلومات الحضارية المعيشية من شعب لآخر ومن بلاد إلى بلاد ثانية...

رحلات وتنقلات العقل كانت، كما هي اليوم وكما كانت في كل عصر وزمان، تقوم بدور الكاسب والمكتسب... بدور المعلم والمتعلم... بدور البادل والمتبادل المعرفة والعلوم والحضارة الإنسانية ككل.

هذا العقل... بعد أن اكتشف النار، ومارس وعرف فائدتها، بدأ رغباً في تطوير مسيرته الحضارية، ولكنه أجبر على المسير بخطوات متباطئة. كان عليه أن يقاوم صعوبات التفاهم بين إنسان وآخر، بين جمهور من شعب ما مع جمهور من شعب آخر، بين سكان ضفة مع سكان ضفة أخرى... وهذا لم يكن يتم بسهولة... لقد كانت الاشارات هي لغة التفاهم... وحدثت الأعجوبة... أعجوبة اكتشاف الحرف...

على الساحل الشرقي للبحر المتوسط (من عكا الفلسطينية جنوباً إلى جلقامش السورية شمالاً مرورا بالشواطئ اللبنانية) كان يعيش شعب كنعاني نشيط «لاحقاً سمّاه اليونانيون بالشعب الفينيقي»...

الفينيقي... كان أول من طور وسائل النقل البحري وصناعة السفن، ونظّم ورّب الأساطيل التجارية، وبنى مدناً عديدة في حوض البحر المتوسط وجعلها محطات تجارية موسمية، ولا تزال بعض هذه المدن قائمة حتى تاريخنا الحاضر...

الفينيقيون هؤلاء كانوا تجاراً قديرين، واساتذة بارعين، ينقلون بضائعهم ويبادلونها بمنتجات شواطئ الشعوب التي يصلون إليها، ومع بضائع تجارتهم كانوا ينقلون الحضارة - يعلمون ويتعلمون - يبادلون ويبدّلون المعلومات والاكتشافات... كانوا أكثر شعوب الأرض بحاجة لمعرفة الحرف والأرقام لضبط تجارتهم وبضائعهم وحسابات أرباحهم أو خسائرهم، وأيضاً لقياس مسافات أسفارهم... وكانوا يقصدون المناجم لشراء الأحجار الكريمة من منبع الإنتاج... هذه

المعادن كان أوفرها انتاجا معادن «سنياء»... وهناك آثار انتباه عقولهم ما يقوم به عمال المناجم من حفر ورسم حصيلة انتاجهم اليومي على حائط المنجم... لقد وجدوا شبها كبيراً بين تلك الأشارات ورسوم وخطوط السومريين والأكاديين وقدامى المصريين. فنقلوا تلك الرسوم والإشارات إلى مدنهم صور وصيدون وجبيل. وقاموا يصقلون ويرتبون ويراجعون ويميزون بين رنات اللفظ الصوتية لكل اشارة أو حرف، حتى تمت عملية اكتشاف الأحرف الهجائية، من تنظيم إحدى عشر حرفاً قريباً من الإشارات الهيروغليفية المصرية، وأحدى عشر حرفاً آخر من جذور الإشارات السومرية والآرامية القديمتان... وبعدها بزمن من أزمنة التاريخ، قام «قدموس» وهو بحار فينيقي صيداوي... اسطورته جديرة بالاحترام والتقدير التاريخي... ونقل الأثني وعشرين حرفاً إلى بلاد اليونان التي كانت تبشير نهضتها العلمية قد بدأت أنوارها في الإنبلاج... فكان هذا الزرع... «زرع الحرف الفينيقي في بلاد اليونان أثمر أروع إنتاج للحضارة الإنسانية عبر تاريخ البشرية القديم».

اكتشاف الحرف كانت له اثاره وقيمه الانطلاقية لعقل الإنسان ومسيرته الحضارية العالمية، مثله مثل اكتشاف النار لإنسان الكهف البدائي، وكان له الأثر التقدمي النهضوي أيضاً، مثله مثل اكتشاف الكهرباء لإنسان عصرنا الحاضر... وبعد اكتشاف الحرف أخذ الصراع الحضاري بين فانوس الجهالة البدائية وبين أنوار قنديل التقدم الجديد يزداد تنافراً... تارة يتأخر خطوة وطورا يتقدم... تارة ينهزم من أمام

العقل الغريزي الأناني وطوراً ينتصر قافزاً بالإنسانية قروناً للأمام...
هذا العقل الإنساني التقدمي كان دائماً في كل مكان وآن وزمان... وما
علينا إلا أن نفهم المعنى الحقيقي للتطور، معنى التبديل والتغيير
والتحول... فلا وجود لشيء ثابت على الإطلاق... فلا شهر واحد،
ولا عام واحد ولا عمر واحد يكفي لإنارة قنديل الحياة.

العقل في كل مكان

العقل كان دائماً الأساس العظيم الأوحد لمسيرة الانطلاق والتقدم والاكتشافات والتطور الإنساني... كان في مصر هرمس الهرامسة، الذي لقبه حكماء اليونان بلقب «رب العلم والمعرفة»... وكان العقل الكلي مع كل خطوة من خطوات هرمس في بناء أول مدماك لبيت السكن، وفي إجراء أول عملية جراحية لإنسان مصاب بمرض مميت، وكان مع اكتشاف أول وترلأنغام الأفراح والأتراح... «ومع هرمس الهرامسة المثلث الحكمة»... أيضاً كان العقل الكلي الهرمسي أول من بنى المدن وأول من كشف أسرار طريقة البناء الأهرامية، والتي لا تزال أهراماتها الثلاث سرّاً من أسرار علوم عقول تلك الأزمنة الغابرة.

العقل المبدع كان في نينوى وبابل وأشور يكشف اسرار علوم الفلك ورصد نجومه وتنظيم التقويم السنوي، وينص أول شريعة مدنية عرفها الإنسان «شريعة حمورابي»... وكان هذا العقل أيضاً في أرام دمشق وتدمر وجبيل وقبلها في ملحمة جلقامش... كان في الأناشيد الأرامية الروحية الإنسانية التي أغنت مراجعها فصول وأقوال يسوع الناصري ابن الإنسان وفادي البشرية.

العقل كان في اكااديميات أثينا ومقاعد حلقاتها وحوار فلاسفتها... وكان في سطور التشريع الروماني، ومع حراب فرسان اسبرتكوس في ثورتهم ضد العبودية، ومع تنقلات الفادي الناصري بين قانا والجليل وجبال الزيتون في أورشليم، ومع تعاليمه ودروسه الروحية الإنسانية الداعية الإنسان لمحبة ومساعدة أخيه الإنسان بدلا من حسد واستثمار وعبودية ومقاتلة أخيه الإنسان.

العقل... الملهم الدائم، والبانى الدائم، والرائد الدائم، والموحي الدائم... كان مع الرسول الإنسان محمد بن عبدالله... يوم نادى «الله أكبر حيّ على الفلاح»، ويوم قال «الإنسان أخ الإنسان أحب أم كره»، ويوم فرض «العلم على كل مسلم ومسلمة»، وعندما أمرهم وقال: «وجعلنا الأمر بينكم شورى»، وعندما نادى وقال: «ربي زدني علما».

العقل... كان مع مسيرة «الفيزيا» لاكتشاف المعقول من أحداث العالم الفيزيائية، وكشف الواقع وفصله عن الخيال، فعزز وركز مكانته في رؤوس عظماء الإنسانية أمثال الخوارزمي وابن رشد، وأرسطو وسقراط وارخميدس، وابن سينا والفارابي، وروجروفرنسيس باكون، واسحق نيوتن وغاليلو وديكارت ونقولا كوبرنيكوس، وعلماء الصين الذين زودوا العالم بثلاث اكتشافات جدت مسيرة ومسار التطور الحديث وهي: البوصلة والبارود والطباعة... ثم أديسون وبنجامين فرنكلين وهيغل والبرت اينشتاين... وفرسان العلم الثلاثة العظماء ماركس وداروين وفرويد... وغيرهم وغيرهم من علماء العالم الشرقيين والغربيين... لقد كان العقل قديما

داخل جامعات قرطبه، وحديثاً داخل باحات اكسفورد والسوربون وهالي وكمبريدج وغيرها من جامعات العالم العلمية...

مولاي العقل... كان قديماً، ولا يزال لأيامنا الحاضرة وأيام مستقبلنا البعيد نوراً لكل مسيرة انطلاقة حضارية لعالم كوكبنا الأرضي، وينبوع وحي وإلهام وفكر عبقري تقدمي، وأيضاً لعوالم كواكب ثانية حال تحقيق وجودها واكتشافها... وقال ديكارت: «من لا يشك لا يبحث، ومن لا يبحث لا يكشف، ومن لا يكشف لا يرى، ومن لا يرى فهو أعمى».

وقال أحد العلماء العظام: العين البصيرة لولا العقل لكانت عمياء... وهنالك عبارة كان يرددها الفيلسوف زينون في قديم الزمان «هكذا قال العقل»... ولا يزال معناها واردا لكل آن وزمان... فلا عجائب الا أعاجيب العقل... ولا اكتشافات ولا منجزات ولا اختراعات ولا فنون ولا علوم ولا ليل ولا نهار ولا فلك دوار إلا بقوة العقل الجبار... لقد رفع العلماء أيديهم قائلين «لم نجد تعريفاً نهائياً للعقل».

وكتب الصادق النيهوم ما يلي: «الخوارق التي تنسبها التوراة إلى أنبياء اليهود ليست إلا مجرد أساطير ملفقة لا يمكن أن تولد إلا من ثقافة تؤمن بالسحر، وتعتقد أن الساحر لديه قوة خفية لتحقيق المعجزات»... وقال الكاتب اللبناني راجي الراعي: «الأساطير هوس التاريخ وتهاليله»... أما بنجامين فرنكلين فقد كان أكثر صراحة حيث قال: «أساطير الدين مطية يركب عليها الكذب»... ويقول الفيلسوف

«الكافر» نيتشه...! لا يمكنني أن أوّمن برب يطالب بالثناء طوال الوقت.

الجهنم بن صفوان - أحد اعمدة فرقة المعتزلة قال: لا يمكن أن يكون الله عالماً بالأشياء قبل أن تكون، معلناً الحدث قبل أن يحدث، لأنه محال أن يكون معلوماً وهو معدوماً، أي أن يكون المعدوم معلوماً... الله لم يقدر على الناس أفعالهم بسابق علم أزلي، بل يعلم أفعالهم حال حدوثها... ولا يمكن أن يكون لله كلام أزلي وأن يكون له كلاماً ككلام البشر... فلا كلام، ولا تكلم، ولم يكلم قط... فلا موسى الكليم كليماً، ولا إبراهيم الخليل خليلاً... أسطورتان يرفض العقل أن يصدّقهما، وهل يوجد برهان ملموس يحمل أصحاب العقول على تصديقهما.

التوراة التي تقول عنها الكنيسة المسيحية أنها كلام الله، ويصادق على قولها رجالات الجامع والفقهاء الإسلامي بأنها أيضاً كلام الله... هذه التوراة كشفت العقول العالمة الباحثة أنها في الواقع مجموعات قصص وحكايا منقولة حرفياً عن الحضارات الوثنية في مصر وبابل، ابتداءً من قصص الخلق، وطوفان نوح، وقصة إبراهيم وساراه، وحكاية يوسف الصديق، وعصا موسى المهولة، وصبر أيوب، وفصاحة كديشة بلعام، ومعارك العبرانيين مع العمالقة الفلسطينيين إلخ... لا تصلح أن يقال عنها أنها كتاب سماوي أو كلام روحاني أو أخلاقي. هذا لأن قصص الدعارة التي تغطي بعض صفحاتها شبيهة بما قال عنها فيلسوف الفريكة أمين الريحاني «التوراة مثلها مثل الطبعة المصرية الأولى لقصص ألف ليلة وليلة»... ثم ونحن في القرن الواحد

والعشرين كيف يمكننا أن نتعامل ونصدق ونؤمن بهذه الكمية من الأساطير والخرافات التي عشعشت في رؤوس أجيالنا كأعاجيب دينية مقدسة..؟ وهل يمكن تطبيق قصص الخرافات والأساطير الدينية على مفهوم العقل..

بعض اكتشافات العقل عبر القرون الزمنية:

- سنة ٢١٠٠ ق.م تأسست بابل.
- سنة ٢٨٠٠ ق.م كان بداية علم الفلك عند الأشوريين.
- سنة ٢٠٠٩ ق.م قانون حمورابي.
- سنة ٢٠٠٠ ق.م صناعة الحرير في الصين.
- سنة ١٩٥٠ ق.م أول قصور في تكريت.
- سنة ١٤٥٠ ق.م اخترعت في مصر ساعة الظل.
- سنة ١١٠٠ ق.م صناعة البوصلة في الصين.
- سنة ٥٠٠ ق.م الصين تكتشف الحبر للكتابة... وقبل ذلك الزمن صقل الفينيقيون الإشارات وحملوها أحرفاً إلى اليونان لتبدأ مسيرة الإنسان الحضارية.
- وفي مصر القديمة منذ آلاف السنين ق.م تم بناء الأهرامات واكتشفت أول شفرة لأول عملية جراحية، وأول وتر للموسيقى، وأول نول لحياكة الثوب، وأول هيروغليفية إشارات للكتابة.

رحلة العقل الطويلة

بالعقل يمتاز الفتى لا بالغنى والعلم أثنى ما يراد ويقتنى
من لي بمراة أرى عقلي بها حتى أراني بالحقيقة من أنا

هل وجد العقل قبل الإنسان...؟ أو أنّ العقل هو الذي أوجد
الإنسان...؟ ترى هل لأمرٍ ما يسأل ويتساءل الملحدون...؟ «هل الله
هو الذي خلق الإنسان؟ أو أنّ الإنسان هو الذي استنبط فكرة الله
وجلوسه على العرش»... ويجب أحد الفضوليين فيقول: لا شك أن
الإنسان هو الذي استنبط فكرة خلق الله غير المنظور. هذا لأن الإنسان
كان دائماً وبقي لليوم مغروراً بهيئته وقده وجماله، ولهذا فقد شبه الله
المعبود لنفسه وقال: إن الله خلق الإنسان على شكله.. وعلى هذا
الطرح أجاب أحد الكفار الوثنيين...! «أنا لا أصدق هذا الهذيان، بأن
الله خلق الإنسان على شاكلته. فلو كان هذا حقاً لما خلق القرود على
شكل الإنسان»!

وبعد هذا الحوار المستطرف نعود في بحثنا إلى رحلة العقل
الطويلة مع نشوء الإنسان وتكوين العقل، يقول العلماء:

إن تطور مخلوقات الكون إبتدأت منذ مئات ملايين السنين. لم
يكن القرد يوماً قد أطلّ كإنسان طويل القامة طاويا لذيله... كان

القرود(الفرع الإنساني) مثله مثل بقية فروع القروود، يمشي على الأربعة (قدمين وكفين) ولم يتعلم المشي منتصباً على قدميه وعلى اخفاء ذيله تحت عضمة الجلد إلا بعد تمارين وتجارب ملايين السنين.

وكتب الأديب الليبي «الصادق النيهوم» في إحدى مؤلفاته(كتاب فرسان بلا معركة) أن قصة تحدرالجنس البشري من القروود إبتدأ في سهول كينيا الأفريقية، حيث أن نوعاً من الغوريلا، يختلف عن بقية القروود الكبيرة والصغيرة. كان له جمجمة هائلة في داخلها سلاحه القوي «أي دماغه»...

هذا السلاح، منذ تلك الأيام، كان أقوى من سلاح الذرة... وكيف لا يكون أقوى من الذرة وعقل الإنسان لاحقاً هو الذي اخترعها وفجرها...

والدماغ الذي حمله الغوريلا الكيني لم يشتريه من السوبر ماركت، لا ولم يجده هابطاً في سلة من أعالي السماء. ذاك الدماغ كان داخل جمجمته يعمل بهدوء... والمخ الرهيب لا ينام... كان مخه يرفض التوجيهات الغريبة مثل مخوخ غيره من الغوريلات البدائيات البريئة. كان يعمل ويسير وفق غريزته التي قادتته إلى اكتشاف الطمع...!! وولادة الطمع كانت من لبّ الغريزة الإنسانية الأنانية.

ولد الطمع... ومنذ ذلك الزمن، وفي ذاك الزمن الغابر، ابتدأ الفساد والإجرام والسرقات والنهب والإقتتال على احتواء الفرو الأنعم، والمرأة الأجمل، والمأكّل الأطيب. وكانت أكبر وأكثر الجرائم تدور من أجل المرأة الأنسب... وقبيل ولادة الطمع كانت

الذكور تختار أناثها... كان الغوريلا الذكر يعض أو يلحس أذن الأنثى، وذلك كان التعبير الغرامي على أنه يهواها ويريدها محبوبة... فيتم النصيب والتخصيب دون خطبة أو خطيفة أو احتفال أو قراءة فاتحه أو قداس... ولكن، وللأطماع تأثيرها وسلطتها، فكان بعد انتشار الطمع يهب الغوريلا الأقوى مقاتلاً... قاتلاً أو مقتولاً... من أجل إحتواء المرأة الأجل والأقرب لحسه القلبي وشهوته الجنسية.

إزاء هذا الصراع، أصبح الجنس الذكري الغوريلي مهدداً بالإنقراض، وخطر القضاء على الذكور وارداً مع أحداث كل يوم يمر... وهنا قامت الجماجم تعمل للحد من تقطيل الذكور بعضهم بعضاً، وإنقاذهم من الزوال... هذا لأنه من المستحيل استمرار الحياة من جنس واحد... فكان إبتكار القانون ونص القانون...!! والذي نصّ القانون هو الذكر الغوريلي المفترس القوي، الذي تسلح بغريزة الطمع، يساعده الدهاء الماكرون، مخدّرون العقول بأفيون الخرافات المسكّنة، والأساطير المخيفة، والحكواتيون الورعون، الذين يزرعون الإيمان بالجنه وبالفرديوس وترادف النعم... (ولكن هذا لما بعد الموت...) كل هؤلاء وغيرهم من جماجم الطمع الغريزي، عملوا ونصوا وكرسوا قانوناً لإرضاء الغوريلات الأقوياء... فكانت الدساتير التي نقرأ بعض بنودها ونرى بعض بصماتها في عصرنا الحالي في دساتير أنظمة الدول والأمم والبلدان المتخلفة.

تربية الذكور على الفحولية والسيطرة على المخلوقة الضعيفة، وتربية الأنثى على الخضوع للذكر هي التربية البدائية القديمة... وبعد هذه التربية أخذ الرجل يحس بالإذلال إذا خانته إمرأته، ثم يفاخر إذا

خانها هو.. متناسيا إن ذلك شعور أهوج ورثه من أيام ما كان غوريلا سعدانا انانيا ساذجا، أي حيواناً صياداً يحب أن يصطاد كل صيده بنفسه، ويكره أن يستولي صياد آخر على حصيلته... هذا السعدان الأناني الجاهل لا يزال يعيش فينا... إلى متى..؟ لست أعلم.

أمام هذا الحدث، انقسم المجتمع الغوريلاي القديم إلى معسكرين متناقضين... الأول معسكر حيوان الطمع الحيواني المفترس الذي تطور حيوانا وبقي لليوم بأجناسه وتصرفاته الحيوانية...

المعسكر الثاني: الذي تحدّر منه بيولوجياً الإنسان الحيوان بقي على براءته نفسياً وتصرفاً، ولكنه كان دائم التطور والنمو. يعمل بتوجيهات العقل لجمجمته البدائية البريئة... هذا العقل الذي كان بين كل مسافة من المسافات الزمنية البعيدة، يرسل لعالمنا الذي قطع قرونا عديدة من رحلات التمدن والمعرفة، رسلاً أو كما ندعوهم أنبياء، ينقلون إلينا دروس العقل الإنساني التي تقول: أحبوا بعضكم بعضاً، وسامحوا بعضكم بعضاً، وساعدوا بعضكم بعضاً... ثم رسول آخر ينقل إلينا أوامر العقل الإنسانية (أحب المرء أم أبي) قائلاً: الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره... وقبلهم جاءتنا رسل من الشرق البعيد، بوذية، وكنفوشيوسية، وبراهمية، وزرادشتية، ومانية تقول: ان رسالتهم هي رسالة الإدراك والمعرفة، ويكرسون تعاليم السلام بين البشر، ويحرمون سفك الدماء باسم الدين أو لأجل غرس الدين... ومن لب رسالتهم فرض الفضيلة والمحبة والشفقة والرحمة، والاتضاع والحسنة، والصبر، والعفة، ومساعدة المساكين، وعدم الحقد والحسد والانتقام.

وعدا عن رسالات الرسل الأنبياء، فإن ثورات الشعوب المظلومة كانت مع كل دور يمر تندفع وتكافح، وأحياناً تنتصر في هدم معاقل الظلم والعبودية والإستبداد... ولكن قوى أصحاب جماجم الطمع الغريزي كانت تجتمع وتوحد قوى الماكرين والمخدرين وجنود السلطان الناهبين الطامعين، لكي تقضي على ثورات المكبوتين المستعبدين، أو تحّد من انتشار حركتهم. أو تشرذم ثورتهم النهضوية.. لهذا كان ولايزال الصراع قائماً منذ بدء ولادة الحضارات... الصراع بين عقل إنسان غوريلا الفضيلة المبدع الخلاق لتحقيق الحق والعدالة والسلام، وبين عقل غوريلا إنسان غريزة الأنانية والأطماع والإجرام والإرهاب والفساد والفقر والعذاب...

عقليات البشر... ليست من معدن واحد

مع مرور الزمن، وعبر تكاثر الأحداث التاريخية، بدا واضحاً أن جذورا مختلفة للعقليات البشرية غذتها عوامل الوراثة والبيئة والتربية وظروف الحياة... وأن القسم النصفى أو أكثر يلد وينمو ويشب ويشيب ويدفن ولا يزرع شرورا ولا يسبب ضررا بل يسبب خيراً للآخرين وإفادة للمجتمع... والقسم الثاني يرهن حياته من المهد إلى اللحد للكيد والإجرام وإشعال الفتن الفردية أو الحروب الدولية ودمار الأوطان وضرر الإنسان... وقامت قيامة الباحثين العلمانيين يعملون ويبحثون لولادة عقل دارويني آخر يعمل لخير الإنسان ويكشف لهم عن أصول جذور العقلية الفاسدة من أين جاءت... وقام الشك... الشك الذي يدفعنا للبحث والوصول إلى الحقيقة... لقد قام المشككون ليعلنوا نظرياتهم على النحو التالي:

نحن نشك أن عقلية يسوع الناصري هي من نفس جذور عقلية
يهودا وعقليات تجار الهيكل...

ونشك كل الشك أن عقلية أبي جهل وهند أبي سفيان هي من
نفس جذور عقليات محمد بن عبدالله وعمار بن ياسر وأبي ذر
الغفاري وعمر بن عبدالعزيز الأموي...

وأن عقلية مهاتما غاندي وعقلية كمال جنبلاط هما من نفس معدن
عقليات هتلر وبنوشه والدوبل بوش وآل الأسد.

تجربة وحيرة وانطلاق

في ربيع العمر (الكلام للمؤلف) وأنا على مشارف الدخول في عقد العشرين سناً، وكان الإيمان المطلق يغطي صندوق دماغي مثلما يغطي ضباب الصباح في فصل الربيع أخاديد وهادنا وجبالنا. كنت أصدق جميع حكايا أساطير التوراة الغربية، وكنت اردد جملة قرأتها في «عواصف» جبران خليل جبران وهي: «من لا ينظر بعين الإيمان لا يرى إلا الضباب والدخان»... حينها، كنت كثيراً ما أعاتب نفسي وألوم ذاتي إذا داخلني ريب أو شك بالقصص والحكايا القروية الدينية المزروعة في عقول الناشئة من بذار التوراة اليهودية، والتي كانت لها الوجود الدائم، مثلها مثل شاشة تلفزيون وأفلام هوليوود أيامنا الحالية... ولكن... وأيام العمر المتتابعة تخطط لنا مصادفة المستقبل المجهول... تلك الصدف حملتني أن أتغرب فتى وأقطن منطقة الأمازون البرازيلية، فقطنت تلك المنطقة أكثر ستينات سنوات هجرتي. وسافرت في النهر (البحر) الأمازوني عشرات المرات، واستضافني الأمازونيون البدائيون الطيبون في بيوتهم الخشبية والطينية مرات عديدة... وفي بعض السفرات خشيت إلى داخل الأدغال الحرشية الأمازونية... هناك كنت أراقب وأحтар بتفسير أسرار الطبيعة، وأمام عجزني عن معرفة هذه الأسرار كنت أهرع إلى قاموس الطريقة

العربية المعتادة وهي : «الله أعلم». ولكن هذا الأعلم لم يوفر لي الجواب لراحة تطفلي وذهولي أمام أسرار هذه الطبيعة، التي ما بين صيفها وشتائها، وغروبها وضحاها، تغرس وتنبت، تربي وتغذي، تورق وتتعري، تزهر وتثمر، تحيي وتميت.. نعم تلك مشاهد وتأملات النشوء والتطور الطبيعي غلبت على تفكيري أكثر من حكايا أساطير التربية الدينية... وبعدها أصبحت ملحدا بكل ما لا يقبله العقل... وأسست إيماني فقط على كل ما يقرّه عقلي...

وعلى ضفتي مجاري روافد الأنهر الصغيرة والكبيرة، حيث يجتمع سكان الدسكرة لمشاهدة مركب الغريب القادم... هناك طالما شاهدت البعض من الرجال والنساء شبيهة بالسعادين...! وبنفس الوقت، على ضفتي الجداول الضيقة طالما شاهدت بعض السعادين الكبيرة والصغيرة الشبيهة بالإنسان...! وجها وحركات ونظرات حملتني أن أصدق بكل قناعة نظرية شارلز داروين، واعد للمرة العاشرة قراءة كتاب النشوء والإرتقاء لعالم الشرق شبلي الشميل. وهرعت إلى كتب عباقرة الفكر والفلسفة العربية أمثال ابن رشد وابن طفيل وابن باجه الأندلسيين، الذين وجدتهم مترجمين إلى اللغة البرتغالية أكثر مما هم متوفرون في العربية، وسجلت في مفكرتي ابيات الشاعر شاهين فارس مرعي - البساتين - قضاء عاليه - لبنان: حيث يقول:

هل أنا ما أوحى الأديان من طين مهان
أم براني الله من سرّ تمثّل كن فكان
أم أنا من أصل قرد كان في ماضي الزمان
لست أدري من تراب أنا أم من حيوان
إنما أدري بأني سيد الدنيا وبناء الجنان

وسجلت أيضاً أبياتاً لشاعر المهجر الأميركي الشمالي أيليا أبو ماضي، حيث يقول:

أفكر كيف جئت وكيف أمضي على رغمي فأعيا بالجواب
أتيت ولم أكن أدري مجيئي واذهب غير دار بالأياب
فإن كان المصير إلى خلود فما معنى المنية والتباب (العجز)
أمر لا يحيط بهن فكر ولا أمسي يحيط بكل باب
منذ ذلك الحين ولليوم آمنت... لا بل غمرني الإيمان بالبحث عن
الحقيقة... ولا حقيقة إلا ما يعترف به العقل... ولا إيمان صادق مفيد
إلا الإيمان بالعقل... أما الإيمان الذي يزرعه رجال الأديان
والمتدينون والفقهاء الأصوليون فهو إيمان العجائز بكل ما فيه من غير
المعقول... وبين هولاء فئة تفتش عن حدث، كي تفبرك اسطورة
كذب كبيرة ومستحيلة وتروج لها في سوق الإيمان، عليها تزيد تعقيدا
لهذا الإنسان المعقد المشغول عن حاضره بماضيه، وتكرس إيمانه
وتمسكه بالتقاليد الجاهلية التي لا تجد عند الأمم المتحضرة من
يتعرف عليها.

والإيمان... هذا المرض النفساني الذي جمعوا فيه كل ملفات
التخلف، وغلفوه بكل سحر بياني وطلوه بامثال ممزوجة مع
مخدراتهم... بنوه على الثقة العمياء والاعتقاد التام بالقوة غير المنظورة
دون برهان... يصفه الأديب المهجري الطيب فضلو حيدر، وهو
مغترب في البرازيل من طليا - البقاع لبنان أصلا فيقول: «الإيمان هو
جواب النفس على المعضلات المجهولة الغامضة المحفوفة بالخوف
والرهبة، كالموت والخلود أو البعث والحساب والعقاب»... إلخ.

عود على بدء

يكتب العالم شبلي الشميل ما يلي:

«الإيمان الأعمى يشدّ بالإنسان كي يبقى مشغولاً عن حاضره بماضيه، منصرفاً بالبحث فيما لا يجدي عن البحث فيما يجدي، حالماً بجنات تجري من تحتها الأنهار، تاركاً الإعتناء بجنائن أرضه المليئة بالخيرات منتظراً الحصول على جنات بعد الممات... يمشي إلى الأمام متلفتاً إلى الوراء».

هذا الإيمان آخر الإنسان أجيالاً في سيره إلى الأمام... لقد كان إيماننا ترتكز عليه الأديان بكابوس أساطيرها، أي الإيمان المطلق، البعيد عن الحقائق الراهنة والمباديء العلمية والنواميس الطبيعية، التي أقرها البحث واثبتتها التجارب... والإنسان ابن هواجسه قبل أن يكون ابن علمه.... فكان الإيمان الأعمى المفروض عليه من الدهاة يمنعه من بحث المنقول أو درس المنزل، فبقيت الشمس تدور حول الأرض طوال قرون جاهلية الماضي الطويل. وكان إذا تجرأ أحد المفكرين ورفض القول بدوران الشمس حول الأرض، أو شهر نقده بمعتقدهم، كان نصيبه واحدة من هذه الأحكام... الحرمان...

المنفى... السجن... الجلد... الغرق في لجج الأعماق... الحريق على منصة الساحة العامة أو قطع رأسه بالمقصلة الجارحة القاطعة...

نحن بحاجة إلى جيل عربي سليم من أمراض الأساطير ومكروب الخرافات المقدسة... إن أصحاب العقول النيرة يرددون مناداة الفقيه أسد ابن الفرات قائلين: «أجهدوا أنفسكم، واتعبوا أبدانكم، ووجهوا عقولكم لطلب العلم وتدوينه وتطويره، فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة»... ونحن نكتب ونحذر بأننا إذا تابعنا مسيرة الخوف من صنمية تشريعات جاهليتنا، وإذا بقينا على سكوتنا وخوفنا من أن نصاب بواحدة من أحكام أدياننا المذكورة، فنحن صائرون إلى الإستعباد الصهيوني أو غيره... وقد حذر أحد الشعراء من تسخير العلم لمصلحة الأنانية الفردية فقال:

إني رأيت الناس في عصرنا لا يطلبون العلم للعلم
إلا مباحاة لأصحابه وعدة للغش والظلم

ومن قصيدة لشاعر العروبة في المهجر الياس فرحات حيث يقول:

لهوا عن لباب الدين جهلا بقشره وأفتوا بتقليم النهى كلما نما
وسدوا طريق الفكر عن كل مؤمن وألقوا نسيجا فوق عينيه أقتما
فصار يرى ما حللوه محللا وصار يرى ما حرموه محرما
ومن نكبات الدهر أن نفوذهم يعمّ عديم العلم والمتعلما

العقل

في البدء كان النور ومنه تكون كل شيء

(كمال جنبلاط)

وجد العقل مع الإنسان، وبقي في جوهره. هذا العقل كان دائماً هو الأسمى، يستمد الوعي من النور الهولي اللامتناهي أي من الطاقة التي نسميها «الله»... يتدرج في معارج المعرفة دوراً أثر دور، وقرنا بعد قرن، حتى إذا توفر له مناخ الإنفتاح والعدل، وحرية الانطلاق والتعبير في منطقة ما، أو بلد ما، وارتاح للإطمئنان العملي، يتفجر ينباع فكرية إنسانية انطلاقية غزيرة، تقفز بالمجتمع البشري تطوراً وازدهاراً وانطلاقاً نحو الأفضل. حيث تختصر الزمن، وتغني الحضارة وتدفع الإنسان لإنارة ظلمات المجهول، وصقل معلوماته وعلومه القديمة والانطلاق منها إلى علوم جديدة، وإلى اكتشافات جديدة. فيتطور المجتمع البشري إنتاجاً وفكراً... العقل يدرك الموجودات بأسبابها، وهو حصيلة توازن وتفاعل عناصر الإنسان الأربعة: الغريزة - الوجدان - العاطفة - والذكاء... وليس جواباً على أحجية إذا عرفنا أو اعترفنا أن هذا العقل الإنساني يكتسب قوته من النور الهولي

الشعشعاني، «وكل ما لا يقره العقل لا يدخل في المفهوم»^(١)... ويقول أحد الفلاسفة اليونان: لا يمكننا معرفة الله إلا بواسطة العقل... وجاء في كتاب «مشكلة العقل الحقيقية» ص ٣٢ ليوسف الهبجاوي ما يلي: «ليس هناك إلا العقل فقط.. هو قاضينا وهادينا الوحيد لكل أمر»..

العقل الأرفع هو اللطيف النقي، والمعاومات الإلهية لا توجد معرفتها ولا تحصل إلا بالعقل^(٢)... وإذا كان الله هو الذي خلق العقل فيكون العقل أرفع إبداعات الله، وإذا كان العقل هو الذي خلق الله فيكون العقل قد خلق واستنبط المادة الضرورية العظمى لقيد الإنسان عن ممارسة أهوائه الطائشة الشريرة المضرة.. فالإنسان العاقل هو الجامع لأمره ورأيه والذي يحبس النفس ويردها عن هواها، ويقول أخوان الصفا: «عقل الإنسان الواعي الحكيم هو الذي جعله الله رئيسا على الفضلاء. وصحة تصرفات المرء ومنجزاته هي مقدار عقلانيته»... ويقول الجاحظ: «العقل هو وكيل الله عند الإنسان»... وكتب الأديب التقدمي فرح أنطون: «الحسن هو ما حسن للعقل والقبیح ما قبّحه العقل... والعقل هو الضامن الحقيقي لكل انطلاق وتطور علمي».

لقد أمدنا الفلاسفة بحصيلة دراساتهم، وهي: «إن المعلومات الإلهية لا توجد معرفتها ولا تحصل إلا بالعقل»... ويكتب العالم شبلي الشميل في كتابه «النشوء والإرتقاء»: «العقل ليس قوة

(١) من حكمة الموحدين الدروز - رسالة معراج الموحدين.

(٢) المصدر نفسه.

خصوصية، بل مجتمع القوى الغافلة، كالتأمل، والإستقرار، والتصور، ويسمى عقلا وهو ليس خاصاً بالإنسان وحده بل هو في الحيوان أيضاً»، وهذا ما جاء في حكمة الدرّوز (قبل ألف سنة من كتابة الشميل) حيث كتبوا في رسالة الدامغة: «(...) ومن الحيوان ما يكسب من العقل أكثر من الإنسان»... وجاء في الحكمة الدرّزية (رسالة تقسيم العلوم) ما يلي: العقل هو ذو البدايات والنهايات. منه انبثقت الأشياء واليه تعود الأشياء... يعني بداية الأشياء خرجت منه إلى الفصل ونهاية الأشياء، حيث ترجع إليه وتسكن فيه ولا يمكن لإنسان أن يكتسب من العقل، أو يسعى لإستيعاب المعقول إلا من يخزن العقلانية في تفكيره وتصرفاته... فالعقل هو اداة التفكير، والشعور، والإرادة، وممارسة الإدراك، والحكم والتأويل... وهو موهبة الفهم والفتنة والذكاء.

العقل: مرادف للرشد، وهو القوة العقلية لإستخلاص النتائج والدلالات، والمرشد إلى الصواب، والحكم السليم المتوافق مع المنطق، وهو الموهبة القادرة على التفكير والفهم وإدراك الحقيقة، وتمييز الخطأ من الصواب، والمفيد من الذي لا يفيد العقل هو مخزن العلم، وهو تجريبي ومطلق... فالتجريبي هو الذي يكتسبه الإنسان، بواسطة حواسه، عن طريق التجربة، منذ ولادته إلى حين موته... يتعرف تدريجياً على أجزاء البيئة المحيطة به، مستعيناً بذاكرته وقدرته على الإستقصاء والاستنتاج... والعقل المطلق هو ما انتهى إليه العقل التجريبي من خبرة ومعرفة وقدرة على التحليل والتركيب، والاستنتاج ذهنياً... والأفكار التي ينتجها هي نتيجة مكتسباته التجريبية، بالإضافة

إلى فعاليته الذاتية، التي نصفها بالمطلقة، أو الرياضية أو المنطقية...
ويقول ابن رشد فيلسوف العلماء: «عالم الغيب عالم مطلق، وعالم
الشهادة والبرهان عالم مقيد»...

بعد هذا... نلتقي مع كتابات المفكر والباحث المهجري الدكتور
باسل فرحات، الذي يزيد على التجريبي والمطلق عاملاً ثالثاً له الأثر
البارز على منجزات العقل، وهو عامل المورثات... فيقول: «يغلب
في التصرف الإنساني عامل المورثات على عامل الثقافة والتجربة
بنسبة الفارق بين تراكم المعلومات في المورثات وبين تراكمها في
الثقافة والتجربة»...

العقل العربي والعقل الأوروبي

نما العقل العربي على الموروث القديم من الفكر اليهودي... ولما كان العرب أهل غباوة وأمية، ورعاة في بادية جاهلة، تشوقوا لمعرفة أسرار الوجود، واسرار الكون وبدايته، والمكنونات، وأسرار بدء الخليقة... وكانت شبه الجزيرة العربية لا وجود فيها لدين من الأديان، إلا دين عبدة الأصنام، وديني اليهود والنصارى... فأخبروهم العامة المحدثون، على طريقة الأحاديث البدوية ما عرفوه عن المسيحية، وما حفظوه من حكايا أساطير توراة اليهود، التي غمرت قصصها وفصولها حتى أوراق الدين المسيحي، أي كتاب العهد الجديد، الذي دمجه مع قصص أساطيرهم الخرافية... فقصوا على البدو كل ما سمعوه وحفظوه وقدسوه من حكايا موسى، وكديشة بلعام، ومركبة إيليا، وإيقاف الشمس في قرص الفلك من أجل خاطر يشوع بن نون، وحكاية الطوفان، وقصة نوح المهول (شفيح السكارى) وشمشون الجبار، وقصة لوط السافل مع إبنتيه، ونصيحة الملائكة له بإخلاء سادوم وعمورة، وأيضاً عجائب عمه إبراهيم في خداع فرعون مصر وخداع أبي مالك ملك نابلس، حيث غشهم وقال لهما أن سارة الجميلة أخته وليست زوجته، هذا لكي يضاجعوها ويحصل من ذلك

على الكثير من الذهب والغنم والحمير والأواني الفضية... كذلك لم يتركوا زرع روايات داوود الفتى وتغلبته على جولات الفلسطينيين العملاق، وحكايا ابنه الملك سليمان الذي كان بساطه الطيار يغطي الفضاء، وكان يكلم الجان والطير والدواب (كل جنس بلغته)...!! لقد كانت جميع هذه الأساطير والحكايا المدونة في كتاب العهد القديم «المقدس» منتشرة في رؤوس سكان شبه الجزيرة العربية... فلما ظهر النبي محمد (صلعم) ووجد هذه الحكايا ثابتة في عقول بدو الجاهلية البدائيين، ووجد من الصعب قلعها بالجملة، فقد نظف منها ما تمكن من تنظيفه، وترك ما تبقى وصعب قلعه وتنظيفه، مع تحذيره العلني القرآني المقدس، عن هذا الذي بقي، حيث يقول: «ونضربها لكم أمثالا، ونقص عليكم أجمل القصص»... ولأجل هذا... لأجل أخذنا هذه القصص والأمثال مأخذ الجدية المقدسة، وعدم تفهمنا وانتباهنا بأنها جاءت للإستشهاد وليست للاعتقاد، وحكايا للنقل وليست للعقل... أجل... لأجل هذا أصبنا في حضارتنا... ولأجل هذا تغلغلت الخرافات والأساطير في لب لغتنا العربية، وتدرجت حتى قبلنا تقديسها، وتحول حاضرننا إلى معرض لمعطيات ماضينا... ولهذا ما زال نموذج العقل الجاهلي العربي البدوي اللا عقلاني قوياً في نفوسنا، وأساطير يعقوب أبو أسرائيل لا تزال في وجداننا الديني وحضارتنا ورؤيانا العقلية...

أما العقل الغربي (أي الأوروبي) فقد أتخذ لطريق نهضته دروسا من الموروث اليوناني العلمي الفلسفي، وأخذ الكثير والأكثر من الموروث العربي الأندلسي العلمي الفلسفي... فكانت النتيجة أن

أقصيت المخدرات عن العقل الأوربي ، وفصلوا الدين عن السياسة ،
أي فصلوا الدين عن الدولة... فكانت النهضة العلمية الجبارة التي
اوصلت أوروبا إلى ما وصلت إليه... فبينما كنا نحن العرب نشغل
أفكارنا بالإنتاج السنوي لعشرات الآلاف من كتب البيان والكلام ،
والتفسيرات الدينية ، والقصص العنترية ، غير مهتمين بحاجة الإنسان
العربي إلى التطور... حتى أبيات الشعر العربي الذي له (في كل عرس
قرص) قوافيه وأوزانه ، ومربده وعكاضه في كل موضوع حياتي ، لم
نر له إلا لمسات (حياء) خفيفة لطيفة لتدفع العقل العربي للإستنباط
والاكتشاف... كان أهتمام أكثرية الشعراء عندنا... ولا يزال... عاملا
على توظيف الشعر لإحتواء الماضي وتوظيفه ثقافيا وفكريا واجتماعيا
واقتصاديا وميدانيا لصالح السلطان والسلطة...

أجل... إن هذا التنافس على احتواء وتقديس المفاخرة بالماضي ،
قضى على تطوير وتنظيم حاضرنا ومستقبلنا... كانوا في جميع
خطوات النهضة الأوروبية ، يتخذون الفكر التقدمي والتطورالعلمي
رائدهم ، والعقل مرشدهم ، وكانت الاكتشافات مرتبطة بالتنوير
العقلي ، وبعيدة عن خيال الأساطير الدينية... ولعل حلم المأمون مع
أرسطو ، الذي ذكره ابن النديم في فهرسه ، والذي قال فيه «الحسن ما
حسن في العقل ، ثم ما حسن في الشرع ، أي الشرع يجب أن يخضع
للعقل ومعناها هذا أن يكون لمصلحة جماهير الناس»... لعل هذا
الحلم فهمته العقول الأوروبية أكثر مما استوعبته العقول العربية...
وهنا يغمرنا الأسى ، عندما نعترف ونذكر أن المنطق الأرسطي لم
يلاق الترحيب عند العرب ما لاقته الإفلاطونية والفيثاغورسية ؛ وما

لاقتة (ثالثة الأثافي) افكار اصوليات الغزالي وابن تيمية، ويقول
المعري فيلسوف الشعراء:

كم أمة لعبت بها جهالها فتنطست من قبل في تعذيبها
الخوف يلجئها إلى تصديقها والعقل يحملها على تكذيبها

* * *

كلمات

- الحسن ما حسن للعقل، والقبيح ما قبحه العقل، ولا يمكن أن يعطينا الله شرائع حسنة ويعطينا شرائع مخالفة لها (ابن رشد).
- العقول الكبيرة تبحث عن الأفكار، والعقول المنفتحة تناقش الأحداث، والصغيرة تتطفل على شؤون الناس (أحد الحكماء).
- لأمر ما خلقت الأجنحة للطيور والعقل لبني البشر (الكاتب الفلسطيني إميل حبيبي).
- من ميزات العقل المكتسب: التجارب، الإختبار، دراسات العلوم والفنون، وكثرة البحث والأسفار... وميزات العقل الفطري هي: النظر والتفكير (معروف الرصافي).
- لا مِيزة لإنسان على إنسان تبعاً لنسبه، أو لدينه، أو لونه، أو لقامته، بل لكفاءته وقوة عقله (كلمة للفيلسوف الكندي... فيلسوف العرب).
- الحياة للأقوياء في عقولهم.
- لا تصدق بما البرهان يبطله فتستفيد من التصديق تكذيباً (أبو العلاء).

العقل والحق

العقل هو قائم الحق... أي أن الحق لا يقوم إلا بالعقل، ولا وجود للحق دون العقل، ولا يوجد توحيد حقيقي إلا للتوحيد الذي يرتكز على العقلانية - على معرفة العلوم وإبداع العقل... إن تاريخ الإنسانية لا يعرف أمما انطلقت للتطور والإنماء والإزدهار إلا بإرتكازها على معرفة علوم ابداعات العقول... والتوحيد الحقيقي هو التوحيد بقدرة العقل.

عقل الإنسان - إنسان القرن العشريني - اخترع آلة صغيرة سماها «العقل الإلكتروني» وخبزن فيها مليارات المليارات المعلوماتية عن الكون والإنسان والطبيعة والأفلاك والوجود إلخ... فهل نبقى على عناد جاهليتنا وننكر ونستنكر أن يكون هذا العقل الإنساني الصانع أكبر من المصنوع وأعظم وأكبر خزينة للمعلومات الكونية...؟

العقل الكلي هو نظام الكون. وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، الذي لا يدرك ولا يلحق، وهو الأساس الأقوى لكل الحضارات... والمسلمون في جميع أقطار المسكونة يؤلهون العقل الحق مع كل صلاة، ويرددون في كل مناسبة دينية واجتماعية الله حق... الله حق... الله حق... وجاء في القرآن الكريم (سورة الحج

٦٢) «ذلك بأن الله هو الحق وما يدعونه هو البطل»... وهذا مختصر الإعراف أن الله هو الحق... والحق هو العقل... والعقل هو الله... وإذا كان الحق هو الله، فإن الحق يكون فوق الملوك والأساقفة والأئمة والفقهاء والمطارنة والبطاركة وحتى فوق الحبر الأعظم.

وجاء في حكمة الدروز المسلمين: «الله خلق من نوره الشعشعاني صورة كاملة صافية سماها عقلاً. فكان العقل كاملاً بالنور والقوة، تاماً بالفعل والصورة، وأحصى فيه جميع ما هو كائن»... فكان العقل هو المبدع وهو الإبداع الأول والأخير. منه انبعثت كل قوى الفكر والعلم والإبداع والنور... ولا إثبات ولا معنى لمعلوم خرج عن إحاطة جوهر العقل.

ومن أقوال الفارابي العالم: «إن الفيلسوف هو الذي يمكنه أن يبلغ الحقيقة. والأنبياء هم الذين فهموا الفلسفة والحقيقة. فهموها بالخيال كما فهموها بالعقل، وصاغوها بأفكار وشكل وصور»... ومن عرف الحق عز عليه أن يراه مهضوما... وجاء في إنجيل يوحنا (إصحاح ٣) «كل من يعمل الحق يقبل النور»...

وينقلون عن الحديث الشريف: «من سن سنة حسنة مبنية، على الحق، كان له أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة، مبنية على غير دعائم الحق، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها»... وفي كتابات العلماء المنورين نقراً: «إن الذين يهربون من الحق والحقيقة، ومن الفلسفة وعلومها، فإنهم يريدون بناء عالم جديد وحديث من حضارة قديمة تسكنها الخرافة، وتثقّفها الإتكالية»...!!! هولاء لن ينجحوا، لأن الفلسفة لا تقر بأساطير الخرافات، وهي علم الأشياء

بحقائقها، بقدرة طاقة الإنسان... هذا لأن غرض الفيلسوف هو إصابة الحق، وفي عمله، العمل بالحق...

أما أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، فقد منع ترتيل وتلاوة أحاديث الإسرائيليات في الجامع... هذا لأنها بعيدة عن الحق، وليس فيها شيء من الحقائق المنظورة أو الملموسة، بل هي سيرة أشخاص لم يعرف التاريخ عنهم شيئاً، لا ولم يعترف المنطق العقلاني بحادثة يدعونها أعجوبة عنهم.. وكل ما نعرفه أن أسماءهم جاءت في القرآن قصصاً وأمثالاً نضربها ونقصها للناس. وقال سقراط: إفلاطون عزيز علينا، ولكن الحقيقة أعز من أفلاطون.

وقال الكندي (الذي يصفه محمد عابد الجوابري بأنه) فيلسوف لدولة العقل في الإسلام: ينبغي أن لا نستحي من إستحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى.

ويقول فيلسوف الأندلس الأكبر ابن رشد: ما في الفلسفة ليس في الدين... لكل منهما كيانه الخاص ومنهاجه الخاص... ولكن هذا لا يعني أنهما متناقضان... إنهما يرميان إلى هدف واحد... معرفة الحق... والحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له... وإذا كان هناك من أذى لحق أحدهما باسم الآخر، فإنه إنما جائهما ممن ينتسب إليهما... فالأذى إنما جاء إلى الدين من المنتسبين إليه من المتكلمين بإسمه، كما أنه لحق الفلسفة من المنتسبين إليها السائرين على طريقة المتكلمين عن الدين ويكتب أمين الريحاني، وهو أحد رواد النهضة الفكرية العربية:

«يا أخى الإنسان... انفض عن جناحك غبار الخمول، وانسى ما ورثته من عقيدة ويقين، وما اكتسبت من علم وشكوك، وما يشغلك من تقاليد وخرافات... وتعال نظير على جو الانطلاق العلمي الإنساني، ونسبح في طيات الوعي والمعرفة... إنه جو الكوكب اللامع الوضاح الهنيء المفيد... الحق فوق الملوك والباباوات والأباطرة والأمراء والأساقفة والشيوخ والفقهاء والإفتاءات... هذا لأن الله حق... والحق هو العقل، ولا يمكن معرفة الحق وإرساء الحق دون العقل... «وليس من الحق لا ولا من العدل أن نكون مطيعين لرجال الدين خوفا من جحيم أو طمعا بنعيم»... ويقول أحد الحكماء: «الدين مكبل الأفواه والعقول».

في إحدى قصائد الشاعر المهجري توفيق بربر (الحاكور - عكار - لبنان أصلاً) يقول:

غير ملك الحق لا يبقى وما قامت الدنيا على غير الإخاء

العقل والدين

فرح أنطون، وهو من كبار الزارعين بذار الوعي في واحات وصحارى العقول العربية، كتب ما يلي:

- «يضغط الدين على العقل فيصيح العقل: دعني وشأني... فإنني لا أعتقد بهذه الأشياء، ولا أعتبرها حقيقة إلا متى شاهدتها بعيني وجربتها (مع بيكون وديكارت) تجربة حسابية عقلانية، تجربة إيجابية ملموسة»...

- «كل شيء لا يقبله العقل يجب نبذه، والبرهان العلمي يجب تأويله، أي لتطبيق الدين على نظرية العقل، وليس لتأويل العقل على نظرية خيال الدين والديانات» (ابن رشد).

- ويكتب الفرنسي الجزيل الأحرار فكتور هوغو: «نحن مع الدين على رجاله المزيفين».

- وكتبت الصحافية الجريئة جمانه حداد: «المتدين الكاذب ينهي عن المكر بيد ويمارس الدعارة الفكرية بيد ثانية»...

- وقال الشاعر الجزائري عبد الرزاق بوكيه: «أنا ضد ربكم ولست ضد ربي».

- أما أرسطو رئيس فلاسفة الإنسانية (قديماً) قد كتب: «لقد ورد في أقوال الأقدمين، في سباق اسطورة من الأساطير، أن الإجرام السماوية هي آلهة... وأن الآلهة تشمل الطبيعة كلها... فإذا جردنا هذا القول من ثوبه الخرافي ونظرنا إلى ما تضمنه من المعنى الدقيق الذي قاله: إن العقول الأولى التي خلقت الكون هي آلهة. أمكننا أن نقول: ان ذلك القول في غاية الصواب»^(١)..

- العلماء يقولون ويؤكدون أن لا معجزات إلا معجزات العقل... وعقل الإنسان... هذا العقل استطاع عدا عن صنعه المعجزات الباهرة، كالكهرباء والطيران والحاكي المسموع والمرئي والكثير غيرهم... استطاع أيضاً أن يصنع عقلاً ثانياً (كمبيوتر)، تحمله بيده أو تحت إبطك، وفيه خزانة المعلومات وقواميس اللغات، وهو الخفيف الوزن والسامي القدر.

- الأصوليون الذين يهاجمون حلول العلم واكتشافات ابداع العقل، ويشتمون الفلسفة والفلاسفة باسم الغيرة على الدين، ثم يغالون في إبراز ونشر حرارة إيمانهم بالتوحيد والشفاعة. هؤلاء مهما تتوجوا بتيجان المعرفة من غير استحقاق، ومهما تظاهروا بحرارة إيمانهم وتدينهم، تبقى مقاصدهم المستورة بأثوابهم البيضاء والسوداء، والمصقولة بنصائحهم وبياناتهم المسجوع مفضوحة أمام عدسة العقل.

(١) الأصوليون استنكروا أن يكون أرسطو قد نصّ هذا التعريف وقالوا، وشيعوا انها تزوير الخطاطين.

هؤلاء الإنتفاعيون يدعون أن الله يختص بهم ولا يقبل في فردوسه
إلا أبناء عشيرتهم وطائفتهم... لقد بدّلوا استعمال جوهر الدين من
صقل الضمائر إلى التجارة بها وبيعها. هذا ومن اتجر بشيء باعه،
ومن باع ما لم يكن له، مثله مثل من يبيع الدين وليس له دين... وهذا
يجب أن يعرى وتكشف غاياته وأكاذيبه... بهذا المعنى يقول شاعر
البشر أبو العلاء المعري:

لا تقبلن ما يخبرونك ضلة إذا لم يؤيد ما يقول به العقل

ويقول شاعر الاغتراب نعمه قازان:

تجارتكم بالدين قد بار سوقها وقد قلّ فيها الصيد للمتصيد
وقد بان للعميان أن إلههم إله جميع الناس دون تعدد

العقل والدين لا يلتقيان

وتقول رجالات الدين - قساوسه وشيوخه ومطارنته وفقهاؤه... لا خالق ولا مدبر للكون غير الله، الذي هو على كل شيء قدير، والنبوة هي الاتصال بالله، وبالتالي الاتصال بالحقيقة... وهذا ليس سهلاً على كل الناس، بل الله يصطفي من عباده من يشاء ليعثه رسولاً، وليوحى إليه نبياً... ولقد كان وكانوا بعض رجال الدين قديماً (وحديثاً في بعض البلدان المتخلفة) يدعون أنهم وكلاء الله على الأرض، وينكرون رأي وجود النواميس الطبيعية الثابتة، ويكفرون صاحبه. لأن هذا القول (بالنسبة لمفهومهم) غير لائق بالخالق... عز وجل!!..

أما اليوم لم يبق مجال لمثل هذه الأفكار. سيما واكتشافات العقل العلمية تتراكم مع كل عقد من الزمن... ومع كل عام... ومع كل شهر... وكل اسبوع بل وكل يوم وكل ساعة... والعلماء يقولون ويؤكدون «أن معرفة الله من خلال معرفة الكون ونظامه» وما هو العقل الأوروبي، انتصر بواسطة العلوم على تعاليم المتدينين الأصوليين، وانتشل أوروبا والغرب من عالم الظلمات، وسلمهما قصب السباق العلمي وبوصلة قيادة عالم التطور والاكتشافات والانطلاق.

العقل الديني يربط كل شيء بالقضاء والقدر، أي بمشيئة الله...
الحياة والموت - السعادة والشقاء - الصحة والمرض - الفقر والغنى -
النصر والهزيمة - الربح والخسارة - الكوارث الطبيعية والأزمات
الاقتصادية - مواسم الخيرات ومواسم القحط والمحل - الخسارة حتى
في لعب القمار وزعبرة الشطار، وانحراف أخلاق البنات والأولاد
وازدیاد الفساد، وتتابع العثرات وازدیاد المصائب والويلات، وإخفاء
الأمانه وتفشي الخيانة، وبلاهة السلطان وفوضى الوزراء والأعوان،
واختلاف القواد وفقر البلاد وتفكك الأحزاب العتاق والجداد - وحتى
الصوص عندما يلقي القبض عليهم بالجرم المشهود يقولون: الله
تخلى عنا ولم يوفقنا في هذه السفره...!

وفي هذا الموضوع يكتب فرح أنطون: «الدين لا ينظر بمنظار
العقل، لأن الدين ينهض ويقوم على الإيمان بخالق غير منظور،
وآخرة خالدة غير منظورة، ووحى ومعجزات وبعث وحشر وثواب
وعقاب، كلها غير ممسوسة وغير معقولة ولا دليل عليها إلا ما
سطرته قصص وحكايا صفحات الكتب المقدسة...!».

وفي هذا المعنى يكتب أدونيس: «المجتمع العربي بُني بشكل
كامل على الدين، والغربي يرى الواقع في أفق المادة بينما الشرقي
يراه في أفق الوحي» (مجلة مواقف أعداد ٣٤ / ٣٥ / ٣٦).

ويقول جبران خليل جبران: «إن شئتم أن تعرفوا ربكم فلا تعنوا
بحل الأحاجي والألغاز بل تأملوا ما حولكم تجدوه لاعبا مع
أولادكم... وارفعوا أنظاركم إلى الفضاء الواسع تبصروه يمشي في
السحاب، ويبسط ذراعيه قي البرق، وينزل إلى الأرض مع المطر...»

تأملوا جيداً تروا ربكم يبتسم بثغور الأزهار، ثم ينهض ويحرك يديه بالأشجار»...

ويتابع فرح أنطون فيقول: «ليس من شأن السلطة الدينية التدخل في شؤون الحياة الدنيوية للناس، هذا لأن مهمة الأديان هي تدبير حياة الآخرة للناس وليس تدبير حياتهم في دنياهم (...). ولا يوجد دين عقلي، لأن الدين لا يخضع لمقاييس العلم والعقل. والذين يقولون أن الدين - دين عقل... هذا القول منافي لكل دين ولكل عقل»...

ويقول الشاعر الاغترابي نعمه قازان (جديتا - البقاع - لبنان أصلاً):
ماذا تقولون أنتم في الهكم...؟ قالوا هو الله حيٌّ قادرٌ أبدا
إن كان حياً وينمو فهو مندثر أو كان حياً ولا ينمو فقد جمدا
أو قادراً، كيف لم يسعد خليقته أو عاجزاً، من ترى قد أسعد السعدا
ويختتم قصيدته بهذا البيت:
ما دمت حياً ولي قلب أحب به فما أنا عابد أو جاحد أحدا

اضطهاد الدين للعلماء

حكماء مصر القدامى، الذين كانوا أساس الاكتشافات الحضارية العقلانية في التاريخ، وبعدهم علماء الهند والفرس، وعلماء أمم ما بين النهرين، ثم قافلة فلاسفة اليونان العظام التي غطت بتعاليمها واكتشافاتها وعقلانية دروس مدارسها وأبحاثها وتحليلاتها أجواء الفكر الإنساني. فكانت مناراتها تهدي أفكار العاملين على تطور معارف الإنسان، الفية بعد ألفية، وقرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل... ثم جاء بعدهم الرومان وعرب المعري والكندي وابن سينا والفارابي وابن رشد وابن طفيل وابن باجه وغيرهم...

وبرز بعد هذا، في عصر التنوير، عظماء العلم والفلسفة الأوروبيون... ومنذ بداية قرن مضى أطلت على عالمنا العربي شمس وانوار عقول عربية نيرة عالمة. منهم من قضوا اغتيالاً أو تعذيباً، ومنهم سجنوا ومنفى وتهديداً وبعاداً، كالشمّيل، والريحاني، وفرح أنطون وجبران خليل جبران، والكواكبي، وفرنسيس مراد، وجبرائيل الحلبي، وطه حسين، والعقاد، واسماعيل مظهر، وزكي نجيب محمود، ومهدي عامل، وفرج فوده، ومحمد أراكون، وهاشم صالح، ونصر حامد أبو زيد، والصادق النيهوم، وصادق جلال العظم، ومعروف الرصافي... وغيرهم... وغيرهم.

جميع هذه الجماعات العلمية المنورة العالمة، قديماً، (منذ آلاف ومئات السنين) وحديثاً (منذ خمسة قرون ونيف) تحاصر وتحاول خرق أسوار الجهل التي اشادتها رجال الديانات، وخاصة أحبار ورعاة مواشي بني إسرائيل، الذين يدعونهم أنبياء وقضاة وملوك وحاخامات ورجالات الله المفضلين على العالمين... وحتى الآن... وإنسان الوعي لم يستطع تدمير أسوار جاهلية الإنسان المتخلف... وما زالت الأساطير تجد لها في الرؤوس (خاصة الرؤوس العربية) أمكنة دافئة تتقبلها بالترحيب...

والإنسان... وهو الحيوان الوحيد الذي يتصف بالنطق، وهو أيضاً الوحيد الذي ينسج الخرافات والأساطير ويحولها إلى ميثولوجيات معقدة، وحكايا دينية سلسلة يؤمن بها إيماناً حازماً أعمى، كما لو كانت أحداث حضرها وشارك في فصولها... ويكتب الدكتور البرت حوراني في كتابه «تاريخ الشعوب العربية» (ص ٩٩): «العقل البشري بمفرده يمكنه أن يعطي معرفة تامة وأكيدة عن الكون. وطريق الفلسفة مفتوح أمام كل الإستعلامات... وإدعاءات الوحي خاطئة، والأديان خطيرة».

أنوار داروين

العالم الطبيعي الكبير شارلس داروين في أبحاثه ورحلاته وتجاربه العلمية توصل لنتيجة أصل المخلوقات وتطورها، وعمم المعرفة البيولوجية، وأصل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعي أو حفظ الأجناس المنفصلة في الصراع من أجل الحياة، فوصل في أبحاثه إلى وضع كتابه «سلالة الإنسان والانتخاب بالنسبة للجنس»، وقدم عرضاً عملياً لإنحدار الإنسان من فصيلة من فصائل القرود... رجالات الدين من جميع الطوائف والمذاهب هاجموا ولعنوا ووصفوه بالدجال

الكاذب، والكافر المنافق... هذا لأنه في زعمهم تعدى وتحدى الله الساكن فوق الغيوم والقدير على كل شيء.. وإن الشيطان الرجيم هو الذي دفعه لدراسة وتعميم هذه النظرية... وأن الكتب المقدسة لا تخطيء، ولا يمكن أن يقبل رجال الدين أن يقوم أي «عبد» من عبيد الله ويستنكرها أو يعترض على مصداقيتها... أما رجال العلم العقلي فانهم يتساءلون..؟ هل نظرية أو اطروحة الكتب المقدسة عن بدء الخليقة بآدم وحواء، وطردهما من الجنة هي الأقرب إلى العقول من نظرية داروين هل علينا أن نصدق أن الكون صنع بكلمة كن فكان..؟ وهل قصة تحدر البشرية من ضلع آدم وعشيقته حواء، جديدة أن نصدقها ونفضلها على الاكتشاف العلمي لداروين..؟ هل علينا أن نصدق مكوث الطفل «الإله» يسوع في بطن أمه تسعة أشهر وبعدها سنوات طفولته بعيدا عن إدارة الكون الذي صنعه في ستة أيام... ثم علينا أن نصدق سرعة البراق والمشاورير المكوكية للنبي محمد لتخفيض الصلاة من خمسين لخمسة...؟ لماذا كل هذا العداء بين رجالات الدين الأصوليين وبين العلم والعلماء المثورين...؟ لماذا كل هذا النفور من الفكر المعقول، والترحيب وتصديق كل فكر غير معقول... بكل تأكيد هذا الأمر ليس لصالح الدين.

اليهود في كتاب «خدام التلمود» يقولون: «أن اليهود ترجع أصولهم إلى الواحد القهار، أي أنهم فرع نسل الله»... أما بقية العوالم أتباع الديانات الأخرى فهم من روث البقر... والغريب بالأمر أن رجالات الدين الأصوليين لم يستنكروا ولم يكذبوا ولم يعترضوا ولم يقولوا شيئاً ضد نظرية اليهود القذرة، كما فعلوا ضد أطروحة داروين التي تقول أن أصل البشر من السعادين.

روي عن الرسول (صلعم) حديثه: «أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت أعز عليّ منك، بك آخذ وبك أعطي، وبك أحاسب وبك أعاقب» (عن كتاب المستطرف).

أما المعتزلة فلهم في نفس كتاب المستطرف رأي آخر، يقولون: «العقل جوهر مضيء خلقه الله عز وجل في الدماغ، وجعل نوره في القلب، يدرك به المعلومات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة»... ويتابع المستطرف قول المعتزلة عن العقل: «العقل هو كل شيء وما عداه سوى اجتهاد إيضاح»... «وفي كل بناء يجب الإعتماد على العقل»... حتى رجل العبادة المخمر بالإيمان الديني وأساطيره، الصحابي أبو الدرداء قال: «إزدد عقلا تزداد من ربك قرباً».

قال المنورون العقلانيون: كل إطروحة عقلانية هي خطر مميت على نخبة قوافل سماسة الدين، لأنها تكشف على أن دين هؤلاء السماسرة المتدينين حرب على العقل، واحتقار لعبقرية الإنسان وقدراته على اكتشاف خفايا الطبيعة، ولقوته العقلية على تسخير هذه القوى لخدمة حياة الإنسان ودفع مسيرته الحضارية.

أما أصحاب العقل الحكيم تركوا لنا وصيتهم وتحذيرهم: «إذا لم تتفق آراء وكلمات القدماء الحكيمة مع حاجات العصر ومستوى تطويره يجب تأويلها لصالح حياة المعاصرين، وإذا لم تتفق يجب نبذها... خاصة أن الذين يوظفون الدين لتبديل أنظمة دينية جديدة محل القديمة وتركيز تشريعات اتكالية منمقة وسلسلة النصوص محل دساتير قديمة..! هؤلاء سوف يجمدون ويفلسون... فالتاريخ لا يسير للوراء».

- لا يوجد دين عقلي. لأن الدين لا يخضع لمقاييس العلم ولا لدليل العقل... والذين يقولون أن الدين هو دين عقل، هذا القول مناقض لكل دين ولكل عقل.
- إذا لم يكن في الدين سوى تقييد حرية الفكر لكفى أن يكون علة وشقاء.
- الشريعة التي لا تضمن حق الناس في الحياة، لا تصدق أنها تستطيع أن تضمن حقوقهم بعد الممأة.
- تساءل أحد الفلاسفة: لماذا جعلوا الإيمان بغير المعقول أصل الديانات؟
- العقل لا يضطهد أحداً لدينه ولا يعادي إنساناً لعقيدته (ابن رشد).
- لولا وجود الإنسان لما وجدت فكرة الله.
- قوام المرء عقله (أحد الفلاسفة).
- العقل يحفضك وينصرك (أمثال إصحاح ٣).
- لا وجود للحق دون وجود العقل.
- معرفة الوجود الحق هي المعرفة العقلية (إفلاطون).
- العقل هو الذي نظم كل شيء، وهو نور إلهي، وإنه العلة لجميع الأشياء (إفلاطون).
- ليس فوق العقل إلا أنوار الهداية الإلهية (فيتاغوروس).

كن... فكان

يقول رجالات الأديان عن وجود خالق مطلق للكون، والخالق هذا مطلق التصرف في الكون وتدبيره... يجري كل شيء بتدبيره وإرادته...! هنا نسأل: إذا كان هذا حقاً وجميع الجرائم الحروب والسرقات والإعتداءات تجري بتدبير الخالق وإرادته، فهل من وجوب أن يجري الحساب والعقاب على جميع بني البشر...؟

رجالات الأديان يحللون ويحرمون وكأنهم مؤكلون من الله لبث ونشر تعاليمهم.. هذا دون إبراز أية وكالة من الله، ويقولون: ليس على الإنسان أن يعترض أو يسأل أو يبحث عن أسرار الكون لأنها من صنع الخالق العلي الجبار المنزه عن كل وصف... لقد صنع الكون في ستة أيام واستراح اليوم السابع... وآخرون يقولون أنه صنعه بسرعة تفوهه بكلمة «كن فكان»... وهنا نستسمح من رجالات الديانات أن توجه سؤالاً للعلي الجبار خالق الليل والنهار وكل فلك دوار...!: لماذا يا رب العباد لم نخلق كونا أفضل من كوننا هذا خاليا من الجريمة والجشع والكراهية والأنانية والتعامي عن الحق والحقيقة والحسد والأطماع والأكاذيب...؟؟؟

فيلسوف العقل أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد يقول: «العقل

هو قاعدة كل تطور نحو الكمال»... ويؤكد ابن رشد على قَدَم المادة، وأن هذه المادة التي صنع منها الكون كانت موجودة بذاتها، وإلا وجب أن يقال أن الكون صنع من العدم... وهذا إفتراض لا يقبله مولانا العقل... فمن العدم لا يصنع إلا العدم..

ما قاله العلماء والفلاسفة

- الإيمان الحقيقي هو الإيمان بسيادة العقل (أحد العلماء).
- ما لا يدرك بالعقل ولا يعرف بالحواس فهو عدم.
- أفضل ما رزق الله العباد هو العقل (ابن المقفع).
- الإرادة قسم من أقسام العقل (ديكارت).
- هو المرء دون العقل أعجز عاجز ولكنه بالعقل أغلب غالب (شاعر مهجري).
- العقل هو تفاعل الذكاء معه - مع العقل.
- ثورات الجاهلين هي «فورات» جاهلة لقبائل أمية متنافرة (من كلمات الصحفي البرازيلي ماريو سوبرال).
- كان هدف فولتير الأساسي وجماعته أن ينصبوا العقل ملكا، مطلق السلطان، أي دكتاتوراً مستنيراً... يعني كانوا يفضلون دكتاتورية العقل على ديمقراطية الجهل.
- لا يمكن تطبيق قصص حكايا الأساطير الدينية على العقل.
- كل من يشك بقوة العقل يكون قد شك بإنجازات العلم فيكون قد كفر.

- قبل صنعه العالم، ماذا كان يعمل الله (الكافر...! بيكيه).
- العقل أولاً... وبمقدار عقلانيتك تبان صحة تصرفاتك ومنجزاتك.
- العقل وكيل الله عند الإنسان (الجاحظ).
- السماء الحقيقية هي العقل.
- العقل هو الضامن الحقيقي لكل انطلاق (فرح أنطون).
- عقل الإنسان الحكيم الواعي يُستخدم نحو غاية المعرفة، إنما عقل الإنسان المغرور يبقى مستسلماً مستريحاً في مكانه، رازحاً تحت نير الجهل.
- سأتبع من يدعو إلى الخير جاهداً وأرحل عنها ما أمامي سوى العقل (أبو العلاء)

كلمات العقل الصانع

إذا كان عقل الإنسان استطاع عبر مسيرة مئات ملايين السنين أن يصنع المعجزات منها أنه صنع إنساناً آخر (روبوت) وعقلاً آخر (كمبيوتر هائل الصفات والإحصاءات وخازناً لمليارات المليارات من المعلومات)، وكشف أسرار الطبيعة وزار الأفلاك البعيدة.. فلماذا ينكرون قدرة هذا العقل الإنساني على صنع المعجزات والأعاجيب، التي جعلوها محتكرة بامتياز خاص للهِ القدير على كل شيء وبعده إلى القديسين والأولياء والفقهاء وأحبار اليهود الأسطوريين...! لماذا بعد البرهان على قدرة العقل يهبون حماسة لإنزال العقاب في كل من يقول أن هذا العقل هو على كل شيء قدير...!

- ويسألهم ديكارت العظيم: إذا كان العالم تجمع من الذرات، وتكوينه يقترن بتكوين الآلة، فكيف نفسّر وجود عناصر القديسين وأعاجيبهم...؟

فكرة المقدس والقدااسة تشكل في أية ثقافة تحويل الأفكار من الشك والبحث والتفسير والتأويل والتطور والتقدم إلى جريمة راسخة في العقول العذراء البسيطة.

كلمات

- العين البصيرة لولا العقل لكانت عمياء.

- وقال عمر الخيام مندداً بكل ما قالوه من الأوهام:

إن الذين ترحلوا من قبلنا نزلوا بأحداث الغرور وناموا
إشرب وخذ هي الحقيقة من فمي كل الذي قالوا لنا أوهام

- شهداء العلم هم الذين يستحقون التطويب، وهم القديسون الحقيقيون الذين علينا أن نحفظ ذكراهم ورسومهم في المدارس والبيوت والمعابد (أمين الريحاني).

- لولا وجود الإنسان لما وجدت فكرة الله... والإنسان بكل ما فيه مكتسب من الطبيعة (شبلي الشميل - كتاب النشوء والإرتقاء).

- الحياة للأقوياء في عقولهم.

- إذا كان العالم، كما يقولون، من صنع الله، فهذا يعني أن الذي لا يعرف العالم لا يعرف الله... ذلك لأن العالم محسوس ومنظور أماننا، والله خفي غير منظور... فإذا كان الله هو الذي صنع العالم فعلياً أن نعرف المصنوع لنعرف الصانع (ابن رشد).

- من ميزات العقل المكتسب: التجارب، الإختبار، دراسات العلوم والفنون، وكثرة البحث والأسفار... وميزات العقل الفطري هي النظر والتفكير (معروف الرصافي).
- إذا حاول أحد فك أغلال الغارقين في الظلمة وإصعادهم إلى النور قد يستأوون منه إلى حد أنهم يفتالونه (جمهورية إفلاطون).
- الإفتاء بأن رزقنا على الله لا يتفق مع كلام الرسول «واسعوا في مناكبها».
- يقول ويردد الأتراك مثلهم القائل: «زرعنا دعاء الله بيرزق، ما نبت لنا شيء».
- طغيان الكهنة أسوأ طغيان (ابن رشد).
- أريد أن أرى في بلاد العرب ثمار الأنبياء وثمار العلماء على شجرة واحدة (الريحاني).
- من أراد معرفة الحق عليه أن يصغى إلى الفلاسفة وليس إلى الساسة، فالذي يعلنه الفلاسفة سيصبح عقيدة الغد (مفكر أوروبي).
- نهاية الإنسان تبدأ عندما يتخلى عن طلب المعرفة (نيلو نيشارا - أستاذ في جامعة برازيليا).
- الإنسان كل ما فيه مكتسب من الطبيعة (شبلي الشميل).
- الدين قلب لعالم بلا قلب وروح لعالم بلا روح (كارل ماركس).

- العالم الكيمائي (الملحد) ابن حيان قال: «الإنسان قادر على خلق إنسان حي، عبر التركيب الصحيح للعناصر التي تخلق الحياة».

- قال أخوان الصفا «العالم إنسان كبير والإنسان عالم صغير».

- أيها الغرُّ إن خصصت بعقل فأ سألته فكل عقل نبي (المعري).

- لغدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة (من وصايا الرسول).

- يقول محرر الهند وفيلسوفها الإنساني العظيم مهاتما غاندي: «ظلت أربعين سنة أفتش عن الله وأحدده وأتصوره بأنه الحقيقة، فلما بلغت سن بعد الأربعين، أدركت الحقيقة، أي حقيقة الوجود، هي هي التي يسمونها الله».

- لو سلّم عقل المرء بالقضاء والقدر لكانت الأوبئة والأمراض المعدية قرضت أكثر البشرية، ولكان المجتمع البشري عليه أن يبريء المجرمين المغتالين الأبرياء، هذا لأن إجرامهم كان بإرادة الله...!

- العقل هو بداية كل انطلاقة تطور وإبداع، والتاريخ لم يسجل أنطلاقة حضارية ولا يعرف أي إبداع فني إلا من منتجات العقل.
- وقال أحد الأدباء الفرنسيين: الكلمة المفيدة علينا أن نحفظها قبل أن نصفق لها.

- قال النبي محمد لرجل جاءه خائفاً مرتعداً: «هون عليك يا رجل... لست بملك... أنا ابن امرأة كانت تأكل القِد».

إخوان الصفا

- إخوان الصفا، كانوا يرفضون صداقة ورفاقية كل من لا تتفق صفاته الإنسانية مع تعاليمهم. ويقولون: إذا رأيت الرجل معجباً صلفاً، أو نكداً لجوجاً، أو فضاغليظاً، أو مباحكاً ممارياً، أو حسوداً حقوداً، أو منافقاً مرائياً، أو بخيلاً شحيحاً، أو جباناً مهيناً، أو مكاراً غداراً، أو متكبراً جباراً، أو حريصاً شرهاً، أو كان محباً للمدح والثناء أكثر مما يستحق، أو كان مزرياً لنظرائه، أو محتقراً لأقرانه، ذاماً للناس... هذا يعني أنه لا يصلح للصداقة، وصفوة الإخوة.

لا اتفاق بين الأنبياء

- (...) وقال أحد المفكرين العقلانيين: «أنا أشك أن عقليات الأنبياء كانت كلها من معدن واحد أو نبع واحد أو مدرسة واحدة»... الأنبياء إتفقوا فقط على قرار واحد وهو: «إله واحد»... أما بقية الأمور فلم يتفقوا عليها.

- موسى قال أنه المعزز المكرم عند القدرة الإلهية، وإن الله لا

يترك طلباً لموسى إلا ويستجيب لتبليته... والله الذي لا ابن له
يتخذ موسى بمنزلة الابن عند الوالد.

- ويقول عيسى إنه ابن الله الوحيد.

- وقال ماني عن موسى أنه من رسل الشيطان.

- وقال محمد أنه رسول الله وقال ماني وزرادشت قولاً مخالفاً
لقول موسى وعيسى في مسألة خلق العالم.

- وقال السيد المسيح: جميع الذين أتوا قبلي هم لصوص حراميه.

- وقال ماني مخالفاً زرادشت في مسألة النور والظلمة.

- وقال المسيحيون أن اليهود قتلوا السيد المسيح ونالوا منه تعذيباً
وصلباً وجلداً وجراحاً ومساميراً وأخيراً قتلوه.

- أما النبي محمد فقد قال أن المسيح لم يجلد ولم يصلب ولم
يقتل «إنما شبّه له».

- ولكن اليهود والنصارى يقولون أنه صلب وقتل... ومنذ سنوات
مضت... أي بعد مضي ألفين عام وأكثر على دفن المسيح؛
تمكّنت (حسب ما نعتقد ونظن) مخبرات «الموساد الإسرائيلي»
من كشف الجريمة، ووافق الفاتيكان على هذا الاكتشاف، بأن
اليهود هم أبرياء من دم المسيح، والذين صلبوه وعذبوه وقتلوه
هم الرومان المجرمون...!!

وصدق... وهل تصدق هذا... يا مولاي العقل...

- رأي المخترع والمفكر الإنكليزي الثوري توماس باين: «أنا لا

أؤمن بالكنيسة الرومانية (الكاثوليكية)، ولا بالأرثوذكسية، ولا بالبروتستانتية، ولا باليهودية... ولاؤمن بالإسلام السني ولا الشيعي، ولا بأي فرع من فروعهما... ولا أصلي ولا أعبد بكنيسة أو بجامع مهما كانوا... إن عقلي هو معبودي».

- بالعقل تدرك الكليات أي الأجناس والأنواع (وليس بالدين)...

الكندي

- ليس من شأن السلطة الدينية أن تتدخل في شؤون الحياة الدنيوية للناس؛ هذا لأن مهمة الأديان تدبير حياة الآخرة للإنسان، وليس تدبير حياته في دنياه.

- يقول المتدينون: كلما ازداد جهل الإنسان كلما اشتدت حاجته إلى الدين،... فأجابهم أهل العقل: كلما زاد جهل الإنسان كلما اشتدت حاجته للعلم.

- أيها الغر إن خصصت بعقل فاسألنه فكل عقل نبي

(أبو العلاء)

قالوا:

- يقول شاعر المهجر البرازيلي شفيق معلوف في وصف إنسان

غريزة الأنانية والطمع والإجرام:

ويحك يا إنسان الق عصا سحر

ذعرت فينا الجان فعذن بالشیطان

من شرك

أخشى على الشعبان من غـدرك
في نابه السم كان فصـار في صدرك

- أما الشاعر النابغة فوزي معلوف (شقيق شقيق الأصغر) نابغة
الشعر المهجري الذي قضى في ربيع العمر، يقف يائسا حائرا في فهم
كنه الحياة - بداية ونهاية - فيقول:

كيف جئنا الدنيا؟ ومن أين جئنا؟ وإلى أي عالم سوف نمضي
هل حيننا قبل الوجود؟ وهل نبعث بعد الردى؟ وفي أي أرض
هو كنه الحياة ما زال سرُّ كل حكم فيه يؤول لنقضي!
كيف أجلو غدي؟ وأدرك أمسي أنا حرت كيف يومي سيقضي

- وعلى حيرة الشاعر النابغة، وغيره من السائلين قد أجابهم
فيلسوف الشعراء وشاعر العقل أبو العلاء المعري بقوله:

جاءت أحاديث إن صحت فإن لها شأناً ولكن فيها ضعف إسناد
فشاور العقل واترك غيره هدرا فالعقل خير مشير ضمه النادي

- وأجابهم أيضاً فيلسوف العرب العقلاني الأكبر «الكندي» بقوله:
«بالعقل فقط ندرك الكيان»... أي ندرك الأجناس والأنواع، وندرك
البداية والنهاية... ولكن الأكليروس المسيحي وفقهاء الإسلام يقولون
بصحة وصدق رواية التوراة عن بدء الخليقة والكون، ويكفرون
ويضطهدون كل من يكتب أو يقول أن التوراة هي حكايا وأساطير
سخيفة، ويكسرون أقلام كل من يفضح خرافتها... لقد أكدوا وسجلوا
وقدسوا التوراة على أنها كلام الله... ولكن أولي الألباب، أي

العلماء، وجدوا أن التوراة هي مجموعة قصص نقلت حرفياً عن الحضارات الوثنية في مصر وبابل. كان ذلك من قصة آدم وحواء، أو ابتداء الخلق وطوفان نوح، أو حكايا إبراهيم وقصص موسى والوصايا العشر المنقولة عن أصول مصرية وعن شريعة حمورابي التي ترجمت للعبرية ترجمة سيئة... وجاء في القرآن الكريم «يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون أنه من عند الله وما هو من عند الله».

وجاء في إحدى كتب أمين الريحاني ما يلي: «لما خرج العلماء الماديون على ما جاء في سفر التكوين، حمل علماء اللاهوت توراتهم وولوا مدبرين»...! ويتابع الريحاني: داروين أعطى البرهان الواضح الذي كذب به زعم موسى من حيث تكوين الإنسانية، ومذهب داروين كما يصح على الأنواع يصح على الديانات، فهي تنشأ من أصل واحد ثم تتحول وتتفرع بعضها عن بعض أولوا تفسيرات القرآن لصالح السلطة، وزورا الأحاديث لتأمين الكراسي، ونمطوا الأقاويل والأشعار لتخدير العقول. وفي هذا المعنى قال الشاعر المهجري الياس فرحات:

نتلوا أساطير أسلاف الورى فبرى	جهلا غريبا وخلطا في الديانات
والجهل والخلط ما زال كما عرفا	منذ الوجود سوى بعض اختلافات
هذي عقول بني حواء ما برحت	عمياء تسبح في بحر الظلمات
أنا ضحكنا من الماضي ولا عجب	إن صار حاضرنا أضحوكة الآتي

ومن الماء كل شيء حي:

الرسول (صلعم) أكد على بداية الوجود والتكوين كان كما يعترف «وجعلنا من الماء كل شيء حي»... هذا يعني أنه لم يقر بحكاية

التكوين اليهودية الموسوية التي تقول أن الله فبرك الكون في ستة أيام واستراح اليوم السابع... ولا ندري عدد التأويلات والتفسيرات التي دبجوها لرفض ما جاءهم به الرسول صلعم وتصديق خرافات وأساطير سفر تكوين التوراة. علما أن حادثة إقرار الرسول بتحدر الوجود من الماء كتبوها وسجلوها في عشرات مجلدات التاريخ... وهي:

«يوم تعرّض الرسول للمشركين في بدر، قام وأتباعه يجولون في التلال والجبال يفتشون عن قافلة أبي سفيان. فنزلوا بكثيب عظيم كالجبل. وذهب الرسول برفقة أحد أصحابه، وكان قريباً من بدر. فالتقيا بشيخ حيث ابترهما سائلاً: من أنتما؟ فقالا له: إخبّرنا من أنت نخبرك من نحن... ذاك بذاك... وبعدهما أخبرهما الشيخ عن مكان المشركين، سألهما: من أنتما...؟ أجابه الرسول: نحن من ماء».

العقل.. العقل... العقل

عقول بني حواء ما برحت عمياء تسبح في بحر الظلمات
(المعري)

اتصال النفس بالعقل الفاعل ليس معناه الفناء فيه أو الإدغام به، بل معناه أن ترتفع النفس بقواها عن ظلمة الطبيعة بما يكون لها من إستعداد هائل لما ابدعته ملايين سنوات تكوين العقل، وإسمه الأول (كما جاء معناه في رسالة كشف الحقائق من حكمة الموحدين الدروز) هو «علة العلل»، وهو ميّزة الإنسان لكل آن وزمان... واليوم بدا معلوماً أن العلم الحديث المعاصر يؤسس دراساته على الإيمان بالعقل... وجاء في أقوال غاليليو العظيم: «كتاب الطبيعة، إنما نتمكن قراءته بحروف الرياضيات... وحروف الرياضيات هي إنشاء عقلي خاص»... إن أطروحات كثيرة عن الفلسفة اليونانية القديمة، والفلسفة الأوروبية الحديثة، وعلوم الزمن الحالي تقول «أن العقل يكتشف نفسه في الطبيعة التي هي ذاتها العقل - بمعنى نظام أو قوانين»... وهو جملة من القواعد المستخلصة من موضوع ما...

أما العقل العربي السائر بعكس سير العلمنة، فإنه فقط يبحث أمر

الله والإنسان، وتبقى الطبيعة غائبة عنه. بينما العقل الأوروبي هو دائب العمل والتفتيش لاكتشاف أسرار الطبيعة والسيطرة عليها، تاركا العقل العربي في صلاته وتأملاته وابتهاالاته لكي يتوصل لمعرفة الله الذي «يتهمه» أنه خالق هذه الطبيعة... فالعقل في التصور العربي هو القلب والفكر والوجدان ومجمل عواطف وتأملات.

وكتب الباحث والعالم المغربي محمد عابد الجابري في كتابه - تكوين العقل العربي - صفحة ١٤٧ ما يلي: «تسربت الإسرائيليات إلى العقل العربي. وهي على العموم أخبار الغيب والجنه والنار وبداية الكون وآدم وحواء وطوفان نوح وكلها مستقاة من التوراة والتلمود. ولكنها كانت تقبل حين تقبل، على أنها تنتمي إلى النقل وليس إلى العقل»... وبعد ملاحظة الجابري هذه بدت الرؤيا لنا أن العقلية العربية تقبلت وتعاملت مع الإسلام بغير ما تعاملت مع الفلسفة اليونانية؛ كما أنها لم تتفهم وتتفاهم مع العلوم المعاصرة، وأيضاً العقلية العربية لم تهب العقل ثقتها التامة بأنه القدير على تفسير خفايا الطبيعة، وبقيت على إيمانها بالقوة غير المنظورة، وبهذا أعطت لعقلها فرصة راحة طويلة جعلت سلحفاة التطور تسبق ارنبة كليله ودمنة.

قال العارفون:

- الإنسان العربي ما زال خائفا من تسليم أمره إلى العقل، ويزداد خوفه كلما فاجأه عقله باستنتاجات تهز جزءاً كبيراً من معتقداته الخرافية (كلمات ليوسف السباعي).

- وما لا يدرك بالعقل ولا يعرف بالحواس فهو عدم، والعقل هو

الطريق الوحيد لمعرفة الكون والوجود، «والمعلومات الكونية لا يمكن معرفتها إلا بواسطة العقل» (فيتاغوروس).

- كم أمة لعبت بها جهالها فتنطّست من قبل في تعذيبها
الخوف يلجئها إلى تصديقها والعقل يحملها على تكذيبها
(المعري)

- العاقل اللبيب لا يطلب العدم ويترك الموجود، لأن المعدوم تقع
في اختبار الزيادة والنقصان، والموجود أنت تشاهده بالعيان
(من الحكمة الدرزية).

- قائم الحق هو العقل... ولا يقوم الحق إلا بالعقل.

- الإيمان الحقيقي هو الإيمان بسيادة العقل (أحد الحكماء).

- ما لا يدرك بالعقل ولا يعرف بالحواس فهو عدم (من الفلسفة
اليونانية).

- الإرادة قسم من أقسام العقل (ديكارت).

- العقل هو الذي يحمي النفس ويردها عن هواها (لسان العرب).

- الناسوت كلمة سريانية يراد بها ظهور صورة الإله بصورة
بشرية... ويقول أصحاب العقول: صورة الأله هي حسب ما
تتصوره وتتصوره عقلية المرء.

- عندما نرفع المقدس إلى مرتبة الإيمان نكون قد الغينا حكم
العقل فيه.

- أسطورة شعب الله الخاص وأرضه وتفضيله على العالمين هي
أسطورة متناقضة مع التاريخ الإنساني.

- مقدرة الإنسان على البقاء والتطور تنحصر في الإنسان نفسه «فلا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (الرعد ١١).
- العلماء وحدهم يفهمون معنى كلمة الله - وقد جاء في القرآن: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (فاطر ٢٩).
- أنا أضطرب عندما أفكر أن الله موجود، ويزيد إضطرابي عندما أظن أن الله غير موجود (محي الدين ابن عربي).
- هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان في أصول دينهم (جمال الدين الأفغاني).
- حاجتنا إلى الإيمان بالعقل كحاجة الضرير للنور، والمتألم للدواء، والمظلوم للعدالة... وحاجتنا الكبرى هي إلى الإيمان بعقلنا - بأنفسنا - بذاتنا.
- السلطان المغربي يعقوب المنصور، بنى (ميدنة) منارة عالية جداً... وكان يحلم أن تحدث الأعجوبة، ويرى من أعلاها مكة... مات ولم ير مكة...؟

مولاي العقل

أنا العقل... أنا الطبيعة
أنا الأم الكونية
سيدة كل العناصر
عُبدتُ بطرقٍ شتى
وأُطلِّقتُ عليَّ أسماءَ كثيرة
وجميع أهل الأرض يقصدوني

(ترنيمة بابلية قديمة)

وليس الجهل كالعقل:

م ما يدرون ما أصلي	أنا بي حارت الأفها
أنا الأكوان من أجلي	أنا الأفلاك بي قامت
فليس الظلم كالعدل	فصابر واصطبر واعلم
وليس الحق كالبطل	وليس الدرّ كالحصبا
وليس القول كالفعل	وليس النور كالظلماء

لا... وليس الجهل كالعقل

يا مولاي العقل

تعود بي الذاكرة إلى السنوات البعيدة. أيام طفولتي... أيام الخامسة من العمر، مع فجر الوعي... يوم كانت المرحومة جدتي «أم عباس»، مع ذكريات كل نكبة من نكبات العمر من قلب جريح تقول وتردد: يا مولاي العقل الهمنا الصبر... يا مولاي العقل... يا إمام الزمان صبرنا على مصابنا... يا مولاي العقل ثبتنا على عقيدتنا وديننا ونور مسيرتنا... يا مولاي العقل أنت على كل شيء قدير.

وحدثني المعمرون في قريتنا الصغيرة، الذين كانوا يحترمون جدتي لتصرفاتها العقلانية ابان سنوات النكبة الكبرى لبيتنا، ويقدرونها ويعترفون بدورها العقلاني الذي مثلته جدتي المرأة الأمية النبيلة... يومها دخل المفسدون بين أولاد العم الأقرباء وأولاد عمهم الأحباء، فزرعوا العداوة والخصام بين ابناء العمومة. ويوم (النقار كما يدعونه في قريتي) الفتنة استعملت جميع أنواع الأسلحة القروية المتوفرة في تلك الأيام، حجارة وعصي ودبسيات سنديانية (جمع دبوس فارسية). فأصيب شقيق جدتي الأكبر بضربات مميتة قضت عليه... فمات تاركا خمسة أولاد، فتياناً وأطفالاً.

كانت جدتي المسكينة في وضع لا تحسد عليه... اولاد عمها، أي

زوجها واشقاؤه تقاتلوا مع أولاد عمهم (أشقاء جدتي) واغتالوا شقيقها. وبعد سنوات مات لها ثلاثة أولاد طفالي، ثم زوجها قبيل الحرب العالمية الأولى... ومرت بعض عقود من الزمن، ونشأت أجيال وشبّت أجيال أخرى، ولكن ثارات وحزازات النفوس القبلية بقيت كما هي... ولم يبق لجدتي إلا ولدان، سافر أكبرهم سناً إلى البرازيل واستوطن دسكرة على سكة حديدية في الغابات البرازيلية البعيدة.. وإذا بولدي شقيقها المغدور، اللذين كانا قد سبقاه إلى الاغتراب، يخططا ويأخذا شقيقاً ثالثاً لهما إلى البرازيل ليغتال ابن عمتهم ثاراً لوالدهم... وكل هذا عملاً بالعادات القبلية الجاهلية التي كانت أخبار بطولاتها وكتب عنترياتها وجاهلية ثاراتها الأكثر انتشاراً في بيئاتنا القروية.

هذا الحدث أثار صواب جدتي، ودفع بها إلى الاقتراب من المس جنوناً والهزال حزناً مكنوناً... كانت تبكي وتقول: خسرت ابني وخسرت حناني ومحبتي وعطفي على أولاد أخي قاتلي ولدي... ولم يمض نصف عقد زمني حتى مات والدي، ابنها الباقي الوحيد... فدفنت والدي في نفس المقبرة التي دفنت فيها شقيقها وزوجها وأولادها الطفالي. وازداد تفجعها، وكانت الدموع الخرساء أشد أسى من زفرات وحشرجة الموت في الصدر... وهبت سوائل الأسى والحسرات تعصف بأحاسيس جدتي... فكانت عند منتصف الليل تغتم خلو الطرقات واطفاء القناديل وسكون ليل القرية، فتذهب في غياهب الظلمة إلى المقبرة البعيدة عن البيوت، المغطاة بالأشجار الباسقة، ونباتات شيح وعليق السنوات الغابرة... وهناك تبقى

الساعات الطوال من الليل باكية نائحة مولولة، مرددة بيتا من الشعر الذي يقول:

ياقتيلا قووض الدهر به سقف بيتي جميعا من عل

أنا لا أذكر أنني يومها عرفت معني هذا الشعر وما تعني «قووض الدهر سقف بيتي» أو كيف تمكنت جدتي الأمية من حفظه. ولكني بعد مضي سنوات عديدة على موتها، وأنا اتفحص الكتب الدينية والروايات العنترية العديدة في «منجور» منزلنا قرأت هذه الشعر، وعرفت أنه لجليلة أرملة كليب الجاهلي، الذي قتله شقيقها جساس... وهذه الجريمة هي التي كانت السبب في قيام حرب البسوس، التي دامت أربعين عاما بين قبيلتي تغلب وقائدها الشاعر المشهور تاريخيا الزير أبو ليلى المهلهل، وأبناء عمهم قبيلة بكر التي كان يقودها الفارس جساس بن مرة... فيا لمصاب وخجل العقل الحضاري، حيث تقمصت جاهلية الثارات بعد ستة عشر قرنا في قرיתי الصغيرة بين أولاد العم والعمة والخال والخالة.

وذات ليلة، وكانت جدتي عائدة من زيارتها الليلية للمقبرة، تمسح دموعها وتشهق بحسرتها... وإذا بشبح طويل القامة، ملثم وملفوف الرأس بشالٍ أسود، كي يزيد المنظر رهبة، يقفز امامها ويقول: يا أم عباس... أنا أبو صالح... لا تخافي...! لقد رأيتك أكثر من ليلة تمرين أمام منزلي، بالقرب من نافذة غرفتي، ودكنة الليل تحجبك عن اعين الناس، فلم أعرفك! ولكني عرفتك بعد سماعي نواحك وبكاك... وصوت الليل يودي بعيداً... يا أم عباس... تقول

أمثالنا الحكيمة «خير الإخوان أصدقهم في النصيحة». وأنا غيرة مني على بيتكم وسمعتك تصديت لك ناصحاً... إن غنى المرء هو غنى العقل، والفقر المدقع هو فقر العقل... والعقل يا أم عباس يحفظك ويهدئ أعصابك ويصبرك على مصابك... العقل يحبس نفس الإنسان ويردها عن هواها وأخطأها... فنصيحتي لك أن تعودني إلى عقلك، وتلزمي منزلك، وتبقي في بيتك وتنتهي زيارتك الليلية إلى هذه المقبرة الموحشة خوفاً من حدوث المصاب الأعظم... نعم... خوفاً من أن تصيبك المصيبة الكبرى والكارثة العظمى.

هنا التفتت جدتي وقالت: وهل من مصاب أكبر وأعظم من مصابي يا أبا صالح...؟ أنا دفنت شقيقي مقتولاً بأيدي أولاد عمي، أشقاء زوجي، ودفنت زوجي وأولادي في هذه المقبرة، وابني الأكبر قتلوه أولاد أخي الذين كنت أعدتهم بمنزلة أولادي... فهل من مصاب أكبر وكارثة أعظم من مصابي يا أبا صالح...؟

نعم... نعم يا أم عباس.. هناك المصيبة العظمى... أولاً: أن تفجعك ونواحك سيجر الثار القبلي المتتابع بين أولاد العمومة عقوداً من السنين، وتقول أمثالنا الحكيمة «سم العقارب ولا عداوة الأقارب» ومصيبتك العظمى هي مصابك في عقلك... فالعقل يا فاضلة هو كل شيء في حياة المرء، وما سواه سوى اجتهاد إيضاح عن ملهارة يتلهم بها صانعو الكلام الفارغ... العقل كما يقال عنه في كتب حكمتنا الخاصة، أنه سمِّي عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، ومن أطاع العقل جلب لنفسه الرحمة... فلنفترض يا أم عباس، أنك

بـخروجك في دجى هذا الليل تعرّض لك بغتة وحش برّي أو شقيّ
سافل لئيم، واصبت برعب وذعر شديدين، وزاغ دماغك قيد شعرة،
فخسرت عقلك... واصبحت في هذا الوجود لا شيء... لا شيء...
فلا عقل لك يوجّهك وينير طريق حياتك، ولا وعي لك لكي
تستعينين به وتفهمين نصائح عقلك... وقد يحملك جنونك على أن
تهيمن في الليل أو النهار عريانة امام النجوم والناس والشمس، أو
تدبّين نفسك في هاوية الإنتحار. وهذا منتهى الإلحاد بالله والكفر
بالوجود والإنسان. فتصبحين مضغة في أفواه الناس. وتخسرين
احترامك وفضيلتك، وتهان كرامتك وشرفك. هذا لأنك فقدت عقلك
الذي هو حارس كرامتك وصاين شرفك وحافظ وجودك واحترام
اسمك... واسم الإنسان يا قريبتى هو أعلى كنوزه، وهو قاعدة
أخلاقه، وإرثه الأثمن الذي سيتركه لسلالته... فيا أم عباس اقبلي
نصيحة مخلص لك ولبيتكم، وابقى في منزلك ولا تهيمين ليلا،
واعتني بتربية حفيدك الطفل، وتصرفي بتوجيه العقل الذي نعرف أن
سلطانه فوق كل سلطان، وقالت أمثالنا القروية «عقلك براسك بتعرف
خلاصك» ومن خسر عقله خسر اسمه... خسر ماضيه وحاضره
ومستقبله... خسر وجوده. بعد تلك الليلة تركت جدتي الخروج للأ
والنواح على المقبرة ومناجاة أرواح أمواتها وكانت تردد: خسرت
اولادي فلا اتحمل فوقها خسارة أولاد أخي. ويذكر المعمرون من
أبناء قريتي أنها بعد تلك الليلة تصرفت بكل تصميم على هداية
العقل، ورفضت النصائح والخطط الثأرية الجاهلية من إبنها وأولاد
عمها ومن أصدقائهم... فصفحت وصالحت ومكثت في منزلها بقية

السنوات الخمس من عمرها، تحيط حفيدها بالحنان والمحبة. وكانت دائماً تروي قصة تلك النصيحة الصادقة، وتخص بالدعاء صديقها أبي صالح، إنسان الوعي العقلاني والصديق المرشد الوفي.

نصائح العقل:

- الثارات القبلية هي استهزاء بالحياة الحضارية وجريمة ضد الوعي (كاتب اغترابي).

- الثارات عدوة القضاء والقانون، والقبلية تقوقع وتدمر، ولا سيادة إلا للعقل (الريحاني).

- الشرائع تسترق، والأديان تفرّق، والقبلية تقوقع، والثارات عدوة القضاء والقانون، ولا سيادة إلا للعقل (الريحاني).

- العقل لا يأمر ولا يوجه المرء إلا لما فيه الخير للإنسان وأهله، والذي يعكر ويدمر سعادة الناس هي أطماع الأنانية الغريزية في فكر هذا الإنسان، وجاهلية التقاليد المغروسة في عقلياتنا العفنة وتصرفاتنا الغبية.

- عقل الإنسان الواعي يُستخدم نحو غاية المعرفة والتطور، وعقل الجاهل يصول ويجول لفوران الأحقاد في الصدور، وإشعال الثارات القبلية، والمفاخرة بالجرائم الدموية.

- الثارات القبلية هي استهزاء بالعقل الحضاري، وجريمة ضد الوعي - الإنسان كان مخيراً أم مسيراً... يبقى العقل فوق الكل.

- العقل يدرك الموجودات بأسبابها.

- العقل هو الذي يحمي النفس ويردها عن هواها (قاموس لسان العرب).
- العقل هو التمييز الذي يميز به الإنسان عن الحيوان (نفس المرجع).
- سميَّ العقل بالناطق لأنه ينطق بالحق (رسالة التنزيه من حكمة الدروز).
- العقل معلم العالمين وفيه تكون الإفادة ومنه الإستفادة (من حكمة الدروز).
- سبحانك يا مبدع العقل التام (حكمة الدروز).
- ينبغي لنا أن لا نستحي من استحسان الحق من أين أتى (الكندي).
- العقل عقلان... موهوب ومكسوب.
- لا يقاس الإنسان بالحسب والنسب بل بما يستقيه من نور العقل.
- سأل أحد الفلاسفة: لماذا جعلوا الإيمان بغير المعقول أصل الديانات..؟
- العالم الكيمائي «ابن حيان» قال: الإنسان قادر على خلق إنسان حي، عبر التركيب الصحيح للعناصر التي تخلق الحياة.
- على المرء أن يكون بعقله المميز لنفسه ناصحاً، ومن سامح نفسه واتبع هواه لا يصح نصحه لسواه (من رسالة معراج الموحدين الحكمة الدرزية).

- لأمر ما خلقت الأجنحة للطيور والعقل لبني البشر (الكاتب الفلسطيني إميل حبيبي).

- العقل يحفظك وينصرك (أمثال - إصحاح ٢).

- السماء الحقيقية هي العقل.

- عقل الإنسان الحكيم الواعي يستخدم نحو غاية المعرفة، إنما عقل الإنسان المغرور يبقى مستسلماً مستريحاً في مكانه، رازحاً تحت نير الجهل.

- اكتشاف العقل لأحد أسرار الطبيعة أغلى عندي وأثمن من تاج بلاد فارس (جملة لديموقراطيس كان يرددها أبو العلاء المعري).

- القبول بغير المعقول هو خروج عن حد الإنسانية ودخول في حرم البهيمية (من كلمات البراهمة).

- البوذية دين بدون إله، ولا إبتهالات ولا نذورات، ولا طقوس ولا صلوات، ولا عداً لغيرهم من الأديان، ولا احتكار لجنت الفردوس.. يعني ليس عندهم شيء من محتويات أدياننا التسعة عشر الموجودة عندنا في رؤوس اللبنانيين، في لبنان، وحالياً صدّروها إلى عالم الاغتراب.

قد أسرف الأنس في الدعوى بجهلهم حتى ادّعوا أنهم للخلق أرباب (المعري)

- الإيمان القائم على العقل هو الإيمان الراسخ والفعلي البعيد عن الخرافات والأساطير (كلمات لعبدالله العلايلي ملحق جريدة النهار اللبنانية - ١٥ / ١١ / ٢٠١٤).

- الغلبة في كل صراع لمن كان أرجح عقلاً، وأفضل تخطيطاً،
وأسرع انطلاقاً (الدكتور باسل فرحات مغترب في سان باولو
البرازيل).

- للإنسان عقلاً فطرياً، ينتقل إليه بالوراثة عن والديه أو جديه أو
عن خاله أو عمه القريب، والمكتسب من بيئته وتجاربه الحياتية
وقومه الذي ربي أو الذين عاش بينهم ومدرسته التي عرف فيها
تهجئة الكلمة الأولى... والمكتسب بحكم الضرورة بالمؤثرات،
أو الفطري بالوراثة (باسل فرحات).

- فالقائمون على أصول هدايتي خلقوا الكل عقيدة أسطورة
(من أشعار الشاعر شكيب تقي الدين - سان باولو - البرازيل)
- الإيمان بقدرة العقل يساعد الإنسان على حل معضلات حياته،
والإيمان بالقدرة الخفية العلية تساعد الإنسان بالعودة بالسعادة...
ولكن لبعده الممات.

- سأتابع من يدعو إلى الخير جاهدا وأرحل عنها ما أمامي سوى
العقل (المعري).

- إعرف نفسك... آية محفورة على مدخل هيكل دلف... (ينسبها
لسقراط).

- من عرف نفسه فقد عرف ربه (حديث شريف).
- إذا المرء لم يعلم حقيقة نفسه فلا هو عالم لا ولا الله أعلم
(نعمه قازان).

- لا يستحي من لا يعلم أن يتعلم (الإمام علي).

- تجهّز من الحسنى بما أنت قادر عليه ولا تقبل سوى العقل
مرشدا إذا دفع الشر القبيح بمثله وإن زاد بالإحسان منك تمردا
(الرصافي).

- ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (الأنفال ٨).

- أكثر الطبقات المزاحمة بعضها بعضا هي طبقة الكذابين.

- الفيلسوف أفلوطين نظر إلى العقل فقال إنه الخير... ونظر إلى
الشر فقال أنه اللاعقل أي الجهل.

- إذا كان العالم من صنع الله فهذا يعني أن الذي لا يعرف العالم
لا يعرف الله (ابن رشد).

- أين كنا... وأين صرنا... لبسنا ثوب جهل قد حاكه الأذعياء
نتعامى عن رؤية الحق مهما لاح منه أشعة وبهاء.

- قال المثل الصيني: أن تضيء شمعة خير من أن تلعن الظلام.

- يكذبون كي يتخيلوا الله جميلا (عبدالله القصيمي).

- الإنسان إذا اتّحد عن طريق عقله الفردي بالعقل الفعال قد يصل
إلى الكمال ويصبح شبيهاً بالآلهة (ابن رشد - معرفة الوجود
الحق هو معرفة العقلية (أفلاطون).

الحقيقة

قال محرر الهند وشهيد الإنسانية العظيم مهاتما غاندي :
«ضللت أربعين عاماً مفتشاً عن الله وأحدده وأتصوره بأنه الحقيقة،
فلما بلغت سن ما فوق الأربعين أدركت الحقيقة... أي حقيقة
الوجود... هي... هي... التي يسمونها الله».
أعظم تكريم للحقيقة هو أن نقولها

(رالف أمرسون)

في هذا المنحنى الأرضي سيظل مواطىء أقدام لعابر غريب تقول :
من هنا مرّ إنسان يدل على الطريق... لكن هيهات لأبناء الطين... أن
يدركوا الحقيقة في أبناء اليقين إلا خيال رؤيا..

(العالم اللغوي الخالد الذكرى الشيخ عبدالله العلايلي).

- أما ونستون تشرشل فقد عرف الحقيقة من خلال أنانية مصلحته
السياسية، لهذا أهتم بالحفاظ عليها وأوصى بحمايتها بسلاحه
السياسي الخاص، فقال :

«الحقيقة مسألة في منتهى الأهمية، لذلك لا بد من حمايتها
بالأكاذيب».

* * *

الحقيقة أن تقال لا أن تعلم... وإنما لخطيئة أن تعلم ولا تقال...
فكم من حقائق نطقت وخنقوها وكتبت ومحوها. شوهدت من شهود
عيان ودفنوها في صدور الإعترافات المقدسة، وغيرها شنقوها حفاظاً
على سمعة كراسي السلطات الدكتاتورية المعسكرة... وكم من
الحقائق صمت شهودها عن إداء شهاداتهم بها هرباً من دهاليز
مخابرات الصنم الحاكم.. وكم من حقائق تدحض روايات المنتفعين
من اخبار الأساطير الإتكالية، وتفضح تأويلهم للرسالات الدينية،
وتعطي البراهين عن عدم صحة وأغلاط تعاليمهم التي يدعونها
سماوية مقدسة... هذه حاربوها بوسائل بربرية، مثل مشانق وحرائق
إرهاب مجالس التفتيش المسيحية التاريخية، وبالسيوف التأويلية
الأصولية الإسلامية...

كل شيء في الحياة يفنى ويتغير، أما وجه الحقيقة يبقى دائماً
ضاحكاً ساطعاً نيراً...

من يتسلح بالحقيقة يتقبل أنوارها^(١)... إن أعمالنا ومنجزاتنا المرئية
والملموسة هي التي تتحدث عن شكلنا البشري وعن حقيقة حياتنا
على الكوكب الأرضي، كما أن تحقيق حرية النقد العقلاني يطور
ازدهار حياة المجتمع... وجاء في إحدى مؤلفات الكاتب العميق
المعرفة والواسع الإطلاع كريم مروه ما يلي:

«النقد وسيلة لتعمق المعرفة المقترنة بالتقدم والتطور فتصبح طريقة
لإسعاد البشر أفراداً وجماعات وشعوباً».

(١) من يعمل الحق يتقبل النور (إنجيل يوحنا - الإصحاح الثالث).

ونحن... لبنانيون وعرب المشرق والمغرب ككل، لو أننا انتقدنا لأبطالنا خرافات وأساطير ما اعتقدنا... وقلائل هم الذين نقدوا برامج التعليم الجامعي والمدرسي التي لا يزال فيهما بقية باقية من نهج أجوبة «الله أعلم»... وقلائل الذين كتبوا وطالبوا بإشادة الجامعات العلمية العصرية وبناء المدارس على صخرة حقائق العلوم الطبيعية، كي تتمكن من جرف رمال تعاليم الخرافات وعقائد الإتكالية... قلائل من هولاء النقاد، وربما لا نجد إسما منهم مسجلاً أو معرّفاً عنه وعن مطالبه وبرنامجه يقظته... وقد أوصى فيلسوف أوروبا الأكبر «أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد» بقوله: «يجب البحث عن الحقيقة، أيا كان مصدرها»..

ونحن... لو انتقدنا لأبطالنا ما اعتقدنا...!

العلوم الحقيقية تعود إلى أمها وأساسها العلوم الطبيعية... وعندما نتابع مسيرتنا مصممين على اكتشاف الحقيقة نصل إلى نتيجة حتمية. وهي ان قصص وحكايا الأساطير الدينية ليست مقدسة... «وتلك الأمثال نضربها للناس»^(١) «وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً»^(٢) وقصصاً نقضها على الناس «نحن نقص عليك أحسن القصص»^(٣) وعلى الرغم من أن الرسول (صلعم) نبههم لهذه الحقيقة، في أكثر من آية من القرآن الكريم، إلا أنهم صمّ بكم لا يقتنعون.

(١) سورة العنكبوت ٤٣.

(٢) سورة الإسراء ٥٩.

(٣) سورة يوسف ٣.

لا حقيقة إلا على ما يقره ويقبله العقل، ولا برهان حقيقي إلا على اكتشافات العلم... ولا يوجد برهان عقلي على الافتراض بأن الله على كل شيء قدير، وأن كل ما يحدث في هذا الكون هو بمشيئته وإرادته..! ولو كان هذا الإفتاء حقاً، وما جاء في الإنجيل صحيحاً بأن «لا تسقط شعرة من رأس إنسان إلا بإرادة الله تعالى»، لكانت جرائم جميع المجرمين يحاكم الله عليها، لأنها حدثت بإرادته ورضاه، ولكان الله منع دفع سيول حمامات دماء الأبرياء التي توازي شلالات مياه الأنهار، ولما سمح بوجود هذا الجيش العرمرم من القسوس والشيوخ والحاخامات والفقهاء الوسطاء بين الناس والرب الجبار... بين العابدين والمعبود... ولبطلت مهنة صناعة وبيع الأسلحة المبيدة للحياة فوق كوكبنا الأرضي، ولكان العليّ الجبار، إله الناس، فك رقبة الوسواس الخناس، الذي يوسوس في عقول الناس، وقضى على الشرور البشرية والكوارث الطبيعية، وجعل من الكرة الأرضية فردوساً أرضياً إنسانياً...

لا يجوز في مشرقنا ومغربنا العربي، أن تبقى أجيالنا الطالعة وفتيان مدارسنا الناشئة موجهة بمخدرات حاخامات بني إسرائيل، وجالسة على مقاعد مدارس تلامذة الأساتذة الأصوليين المتدينين، الذين يهرعون عادة إلى قاموسهم المفضل «الله أعلم»...! ثم إلى التخويف بنار جهنم، وبعدها إلى التشويق بجنت الجنة وحورياتها، والوعود للجائعين بموائد كسروية ملوكية (ولكن كل هذا لما بعد الممات)... نعم لا يجوز أن نبقى نائمين نومة أهل الكهف ونحن ننظر إلى قافلة تطور الحضارات تمر من أمام نوافذ منازلنا... لا يجوز أن

نبقى زارعين في عقول أطفالنا أن كل مافي الوجود هو من منجزات القدرة غير المنظورة، الساكنة فوق الغيوم وأن نبقى ناكرين قوّة العقل المبدع كل شيء، والمكّون كل شيء، والقدير على البحث لاكتشاف حقيقة كل شيء... ناكرين كل ما يقره العقل ومقدسين كل ما لا يقره العقل ناعتين إنسان العقل الوافر بالكافر، وإنسان القليل العقل بالعالم الفاضل...

الأديان جاءت تعاليمها إلى إناس قرون مضت، في أزمنة متباينة. وكانوا في كل دور يطورونها عن دور سبق كي تتقبل العقول رسالتها وتتذوق الأنفس تزيانها، فهي تحمل في لب تعاليمها المسيحية وآياتها البيّنات الإسلامية وصايا لصقل النفس البشرية، وترويض الإنسان على محبة ومعونة ومسالمة أخيه الإنسان، وتجرب لجم أنانية الإنسان الأناني والحدّ من شروره، وزرع المحبة والتسامح بين أهل الأرض^(١)، وتدفع الناس نحو إكتساب المعرفة بواسطة فريضة العلم، وزيادة إنتاج الخيرات بواسطة حيي على الفلاح وأيضاً لإرساء العدالة بواسطة الشورى^(٢)... ولكن وأنانية عقل الإنسان الذئب، وغريزة الطمع الإنسانية هبت تتحدى العقول والمعقول، وحولت معاني الوصايا الإنسانية إلى مصالح انتهازية، والآيات البيّنات إلى طقوس وإفتاءات تخديرية، وأجهزوا على لب تعاليمها بالوعود الخيالية بخيرات الجنة والتخويف بنار جهنم، ثم كرسوا تعاليم الجبرية

(١) سورة العنكبوت ٧.

(٢) سورة الشورى ٣٨.

وشرعوا قوانين إجرامية تنص على حريق، أو جز رقبة، أو تعذيب كل من يناقض تشريعاتهم... وأخفها (عدا عن العذاب الجسدي) اتلاف ومنع كل كتاب لكاتب يبين فيه حقيقة مقاصدهم وتأويلاتهم. وفي هذا المعنى قال الشاعر الاغترابي خليل محمد العقده:

أفجاء الإسلام يرفع جوراً أم ليمضي في لجة الطغيان
شرعة الغاب هندسوها وقالوا إنها من شرائع الرحمن
الحقيقة لا تتجزأ... وكل ما لا يقبله العقل ترفضه الحقيقة...
وحقيقة الشيء هو منتهاه وأصله... وصدق الكلام هو كلام
الحقيقة^(١).. والإنسان الصالح لا تتقمص روحه إلا في الصالحين...
وجاء في تعاليم الأنجيل المسيحية: «الإنسان هو الذي يطهر الهيكل
وليس الهيكل الذي يطهر الإنسان»... والكندي، وهو فيلسوف العرب
الأوسع علماً ومعرفة يشترط بتسليط نور العقل على النصوص
المنقولة ويقول:

- «العقل علة كل معقول في الوجود... والحقيقة هي معرفة كل ما
هو فاضل ونافع»... وكتب عالم البصريات الحسن بن الهيثم (الصديق
الذي كان مقرّباً من الحاكم بأمر الله الفاطمي) ما يلي: «أنا لم أزل
منذ عهد الصبا مروياً في اعتقادات الناس، فكنت مشككاً في
جميعهم، موقناً بأن الحق واحد، والخلاف بين العلماء راجع إلى
تعدد طرقهم في البحث، واختلاف تعبيرهم في هذا البحث، وليس
إلى تعدد الحقيقة... فالحقيقة لا تتجزأ».

(١) من وصايا السيد المسيح.

- قال أحد الحكماء: «إذا ظهرت البدع فليظهر الراسخون بالعلم الحقيقة، وإن لم يفعلوا، فعليهم اللعنة... هذا وجميع الناس الواعين المنورين يدركون الحقيقة، ولا يصدقون إلا الذي يقره العقل، والعقل لا يقر إلا الحقيقة، والحقيقة لا تخاصم الحقيقة... والذي يحدث البلبلة هو الإنسان المدعي بأنه يملك الحقيقة».

حاخامات اليهود وهم أخبر الخبراء في طبخ المخدرات، ورش بهارات تأويلات التشريعات الدينية لطمس الحقيقة لمصلحة الأرباح التجارية... فبعدها نجحوا قديما في دمج العهد القديم بالجديد (أي بالإنجيل) وجعلهما على مستوى واحد بالقداسة، وأرخوا زوراً اسطورة أن يسوع الناصري مسيح الأمم يعود في نسبه إلى ابن داوود وليس ابن الإنسان أو ابن الإنسانية... وبعدها اشبعوا التعاليم والطقوس المسيحية تهويدا، انطلقوا لاستعادة الجهد القديم لحبر الأحبار، بمتابعة مزج التعاليم التوراتية بالقرآنية، وتأويل معاني الآيات البينات إلى مرجع ديني توراتي تلمودي اسطوري... واليوم... وقد تغيرت القيود وتنوعت السلاسل، واستبدل النحاسون^(١) نرى هذا التأثير البارز في هذه الحمى الأصولية الدينية... ولم يعد أي اهتمام بتأدية الفروض الدينية الإسلامية الموجبة والمفروضة فرضا مقدسا، كطلب العلم، والزكاة، وتكريس الأخوة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وفروض الشورى والفضيلة والفلاح والإنتاج... لقد أصبح الإنسان المسلم الطيب يعتقد كل اعتقاد أن حقيقة الدين الإسلامي فقط هو

(١) من كلمات أمين الريحاني.

إداء الشعائر الدينية المهودة، مثل تحريم لحم الخنزير، ولبس القلنوسة والجبّة، والوضوء، والختان، ومنع الرسم والحفر... إلخ... والغريب في هذا الأمر أن بعض فقهاء المسلمين، لا يهتمون إلا بعلم الكلام، وهذيان اللسان، وتأويل ما لا يؤوّل، وتطبيق ما لا يطبّق... فيأخذون من التوراة الطقوس التي لا يقرّ العقل حقيقتها، والتشريعات التي يرفض حتى راوية سندباد ألف ليلة وليلة تصديق قصص رواياتها... وبهذا المعنى يقول شاعر العروبة الاغترابي الياس فرحات

وطن العروبة سوف يرجع ما مضى ويعود مجدك مشرقا وضاء
سيزول جيل فاسد متعصب متأثر علماؤه الجهلاء
لا يفهمون الدين إلا جبّة وعمامة وتنطعا وهُراء
إن يخسر الوطن اللواء وأخته وسواهما فالأمر ليس بلاء
أما إذ نقص الوضوء فنكبة تذري الجبال وتغمر الأوداء

هذه الفروض التي أفتى بها بعض الفقهاء المسلمين لا تخص الدين الإسلامي أصلا... ويقول الصادق النيهوم: «إن ما يدعوه فقهاء المسلمين باسم أحكام السنة النبوية هو في شكله ومحتواه تطبيق حرفي لأحكام التوراة... اننا محاطون باليهود من كل الجهات... والفقهاء الإسلامي ورّط المسلم في شرائع يهودية بالية. إن جميع الذين يتكلمون باسم الله لم يبرزوا حتى الآن أية وكالة منه تخولهم حق التكلم باسمه».

بعض فقهاء الإسلام الدهاة تمكنوا من الوصول إلى مرتبة دينية عالية تسن وتشرع الطقوس البعيدة عن الحقيقة، وتسجلها نصوصا

للشرع وكأنها وحي له تقديره. وأصروا على مسح أدمغة أطفالهم،
والزامهم درس خرافات قصص رعاة غنم ومعزى بني اسرائيل، الذين
كللوهم بتيجان الملائكة، ورسموهم رسلا سماويين، والبسوهم جبة
الأنبياء. وبهذا قاموا بطمر الفوارق بين الشريعتين، اليهودية
والإسلامية، وسخروا الفقه الإسلامي لخدمة تفسيرات طقوس التوراة
اليهودية... وهنا نسجل بعض ما قاله ونصه الإمام الغزالي:

والمعروف عن الإمام الغزالي وعن القديس أوغوستين، أن كل
منهما أوتي بلاغة جلت الحقيقة تارة وبهرجت الظلال طورا... إنهما
على السواء يحصران الوحي في حادث خطير، منقطع النظير، يخرق
نواميس الكون المألوفة، فيتجلى فيه الله لواحد من الناس يدعي
رسولا أو نبياً... ولكنهما يختلفان في إثبات الحادث وفي من خص
بالتجلي والوحي فيقول الغزالي: «(...) إنما الأمور لا تتم إلا بإرادة
الله: مثلاً إذا القي شي في النار وكان الله لا يريد أن يحترق فإنه لا
يحترق...!! وإذا وقع شخص من عال وكانت إرادة الله لا تريد له
الموت فهو لا يموت...!!»^(١).

أما الصادق النيهوم، العالم الليبي فيقول: «حقيقة كل هذا هي
لضرب الإسلام بسيف الإسلام تمهيدا لقيام دولة التوراة العربية» وقال
أحد الشعراء:

(١) من آراء الغزالي التي أخذت بلب الأكليروس المسيحي وأعجبت بها حاخامات اليهود...
وبعد موت الغزالي بأربعين سنة ترجموا كتابه «إحياء علوم الدين» واقتبس منه أبو العبري
(١٢٨٦)، وتأثر به «بهييه بن يوسف بن باكودا»، واعتمد عليه «البرتو الكبير وتوما الأكويني»
وبعض الفلاسفة الأصوليين في العصور الوسطى.

كم من فقيه ضابط في ظلاله وحجته فيها الكتاب المنزل
وقال الشاعر «الصالح العفيف»:
ليتنا لم نعش إلى أن رأينا كل ذي جبة لدى الناس قطبا

كلمات وأمثال عن الحقيقة:

- قل الحقيقة ولو على نفسك.
- القضية العادلة لا تهاب قاضياً.
- غرض الفيلسوف اصابة الحقيقة، والعمل بالحق (الكندي).
- الحقيقة وحدها لا تكفي بل علينا أن نتقن الحوار.
- القسم الأكبر من علماء الشرق والغرب، الذين قالوا الحقيقة،
ونصوا الكتب لإشهار الحقيقة، وقالوا عن الأساطير أنها كتبت
للتخدير وليس للتنوير... هؤلاء... اضطهدوا من السلطات الدينية
والزمنية واتهموهم بالكفر، وأنهم أعداء الله، وحوكموا بالنفي،
والسجن، أو الشنق، أو الحريق، أو الغريق، أو تكسير العظام
وسحقها. كل هذا ولم يتراجعوا عن إشهارها.
- من عرف الحق عزّ عليه أن يراه مهضوما (الإمام محمد عبده).
- الحق لا يضاد الحق بل يوافقه.
- قال أحد العلماء لقضاة أصوليين يحاكمونه: لا تطمعون
بدخولكم الجنة، فعلى باب الجنة كتابة تقول: «لا يدخل جنتي
إلا علماء الحقيقة».

- علينا استماع القول واختيار الحقائق منه.

- فوا عجباً من مقالاتهم أيعمى عن الحق كل البشر
(أبو العلاء)

- الأساطير هي لبلبله عقل الإنسان في فهم الحقائق.

- حيث وُجِدَ العقل وُجِدَ النظام والحقيقة والتخطيط (باسل
فرحات).

- طالب الحقيقة، عليه بإخراج الدين من بطن الوطن، وإخراج
الوطنية من جيب الأنانية، ورمي المباهات بماضي قوميته
وأقوامه في مختبر مهملات الوعي الإنساني، وترك تعاليم
الجاهلية التي ربي عليها والأحزاب التي انتسب إليها ويتبع
ضميره المحترفون الدينون يتعاملون مع نصوص الدين بانتهازية
قبيحة لتسخيره للمآرب والمنافع وطمس الحقيقة وتبرير أشنع
المظالم لذوي السلطان (المفكر الدكتور سيد القمني - مجلة
العربي).

- بعدما أصبح العقل الالكتروني حقيقة بأيدي الكثيرين من الناس
لم يعد لحكايا جنيات الملك سليمان قيمة واعتبار.

- الحقيقة بكل صراحة يقولها فيلسوف المعرفة:

لا تبدأوني بالعداوة منكم فمسيحكم عندي نظير محمد
(المعري)

- السماء الحقيقية هي العقل.

- لا يوجد مستحيل أو أمر صعب على عقل الإنسان، وعلى

الإنسان العقلي... فالحقيقة لا بل الحقائق الكونية... عاجلا أم
آجلا... سيكشف العقل الكلي أو الجزئي أو الباطني أو
الالكتروني... كل ما خفي منها واستحال تبيانه حتى الآن.

- لا يقرّون بحقيقة مكتشفات واختراعات وقدرة العقل ولكنهم
يستعملون يوميا الآت منجزات العلم وابداع العقل.

- لا يصدقون حقيقة قدرة العقل العلمي على صنع المعجزات وهو
الذي اخترع لعوالم كوننا شمسا ثانية (الكهرباء)، وبساط ريح
أكبر من بساط سليمان (الطائرة)، واكتشف عقلا أوسع ذاكرة
لتخزين الإحصاءات، وأسرع جوابا لحل العمليات الحسابية
العويصة (العقل الإلكتروني)... وهم لا يصدقون هذه البراهين
التي يستعملونها ويلمسونها كل يوم، ويقدمون خرافات عجائب
موسى ويشوع بن نون ومقلاع داوود وحكاية أيوب وفصاحة
بغلة بلعام وعجائب دانيال وحزقيال وعاموس وحبقوق..الى ما
هناك وهناك من حكايا وأساطير وخرافة.

- أكثر العميان عماوة أولئك الذين لا يريدون أن ينظروا ويتعرفوا
على الحقيقة.

- العقل هو وحده القدير على كشف الحقيقة. وجاء في كتب
حكمة طائفة الموحدين الدروز «كل ما لا يدرك بالعقل، ولا
يعرف بالحواس هو عدم لا وجود له، ولا اعتماد عليه، ولا
يصح التوجه إليه».

- يقول بعض علماء الدين إن الإيمان مؤسس على الحق، فإذا

كان هذا حقيقة، يكون الإيمان متمماً للعقل ولا يناقضه، ولا يقدس الأساطير التي لا يقر بها العقل (من كتاب القشور واللباب - توفيق قربان - البرازيل).

- أقرّ العلم وبيّن أغلاط وفساد الاعتقاد بالعجائب والخوارق الدينية فلا سيادة ولا حقيقة إلا للنواميس الطبيعية ومصدرها العقل (المرجع السابق).

- احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان من ثمارهم تعرفونهم (من كلمات السيد المسيح - متى الأصحاح السابع).

- الحقيقة أن الشرفاء في العالم لهم قضية واحدة هي رفع شأن الإنسان وانقاذه من المآسي التي أوصلته اليها مطامع أخيه الإنسان (أديب المهجر الأرجنتيني جبران مسوح - حمص أصلاً).

- إن الظن لا يغني عن الحقيقة شيئاً.

- كل شيء في الحياة يفنى ويتغير، ولا يدوم إلا وجه الحقيقة.

- حاسب الجاهل حسب حماقته لئلا يكون حكيماً في عيني نفسه (أمثال سليمان).

- لو سلّم عقل المرء بحقيقة القضاء والقدر لكانت الأوبئة والأمراض المعدية قرضت أكثرية البشرية، ولكان المجتمع البشري عليه أن يبريء المجرمين كافة، هذا لأن جرائمهم كانت بإرادة وقضاء الله تعالى.

العظماء الثلاثة:

ثلاثة من عظماء الإنسانية، كان عقلهم في شك وبحث دائم، وسهر دائب، يعمل لتبيان حقيقة الوجود، وقلب مائدة غذاء مخدرات التاريخ البشري وتنقيتها من مواد الأساطير والخرافات السامة المخدرة المميتة... والثلاثة عاشوا في فترات زمنية متقاربة وهم:

- كارل ماركس: الفيلسوف الألماني واضع نظرية التطور التاريخي للإنسان.

- شارل داروين: العالم الإنكليزي الذي اكتشف نظرية النشوء والإرتقاء.

- سيجموند فرويد: الطبيب النمساوي الذي ابتكر أسلوب التحليل النفسي وغاص في أغوار اللاوعي عند الإنسان.

الإيمان:

- منذ أكثر من عشرة قرون «نقعوا» العقل العربي في مستنقع الإيمان الأعمى (أحد العلماء المراقبين مسيرة التطور البشري).

- الإنسان العالم العاقل يقدر ويحترم الناس لفضائلهم وليس لإيمانهم.

- أمتي كم صنم مجدته لم يكن يحمل طهر الصنم (عمر أبو ريشه).

- يقول الصوفيون: أن الاتصال بالله يتم بواسطة الإيمان والصلاة والتأمل.

- ويقول أهل العقل: «الاتصال بالله لا يتم إلا بالعلم، والبحث، والدرس، والتفكير الواقعي، حيث نصل بواسطتها إلى كشف أسرار الكون... والإنسان متى خرق هذا الحجاب ووقف على كنه الأمور وجد نفسه وجها لوجه أمام الحقيقة الأبدية».

- حاجتنا إلى الإيمان بعقولنا... بأنفسنا... وبذاتنا... حاجتنا إلى الإيمان بالإنسان وعقله الكوني، كحاجة الضرير للنور، والمتألم للدواء المسكن الشافي، والكسيح للقوائم والعصا، والمظلوم للعدالة... (كلمات لكamal جنبلاط).

أحبار قبائل العبرانيين كانوا في طليعة من زرعوا الإيمان في عقل الإنسان... جعلوه ممجداً ومقدساً ومعظماً، وإن كل من ينكر ويرفض الإيمان يكون ناكراً للرب الرحمن، ورافضاً لوحي الأديان... «ومن لا ينظر بعين الإيمان لا يرى إلا الضباب والدخان»...

أحبار العبرانيين الأوائل جعلوا من الإيمان ديناً ومعتقداً، تعود إليه وترتبط به جميع حلول مشاكل وأمور حياة المرء الفرد والمجتمع والدولة والأمة... ثم زرعوه في عقول عوالم تلك الأزمنة على النحو التالي

أولاً: الإيمان أن هناك خالقاً أوحده، لم يلد ولم يولد وليس له شريك أو ولد، لا بداية له ولا نهاية، وكل شيء مقدر منه، الرزق والفقير، والسعادة والبؤس، وطول العمر وقصره.. والإيمان بأن لا مهرب من قضاء الله وقدرته

ثانياً: الإيمان بأن الله أنزل الوحي الإلهي من السماء على موسى وعلى الـ ٢٣ نبياً يهودياً كي يصنعوا الأعاجيب

ثالثاً: الإيمان باليوم الأخير والقيامة والحساب والعقاب... في هذا اليوم ينجز الرب ما وعد به عباده المؤمنين من ثواب وجواري وقصور وجنائن... علماً أن الجنة لا يدخلها إلا اليهود المؤمنون، وهي محرمة على غيرهم من أمم الغويم... والإيمان هو الأمل البعيد الأفق الذي يعجن خبز الفقراء

رابعاً: المتدينون من اليهود يؤمنون بالملائكة والجن والشياطين... الملائكة (أعدادهم حسب أحصاء القبالة اليهودية تفوق مئات الملايين) هي مخلوقات غير مرئية، مخلوقة من نور، مهمتها حمل عرش الله، والتسبيح بحمده... أما الجن فيؤمن اليهود أنهم خلقوا من نار دون دخان، وطاووسهم يدعى غرازيل، ورئيسهم هو إبليس اللعين، الذي كان رأس الملائكة، وعندما رفض السجود لآدم «دفشه» الله من الفردوس... وأدخل مكانه آدم وزوجته الجميلة حواء، وسمح لهما بجميع ثمار الجنة إلا ثمرة المعرفة... فما أن أكل آدم ثمرة المعرفة باغراء من زوجته حتى طردهما الله من جنته... يعني لكي يبقى آدم من سكان الجنة عليه أن يبقى حماراً (بأربعة وعشرين ذينة) لا يعرف شيئاً... وبهذا المعنى قال شاعر المهجر الياس فرحات رباعيته المعروفة:

إله اليهود يحب الحمير وليس يحب الألى يفهمون
فإن تنكروا تكفروا بالكتاب وما فيه وحي كما تزعمون

أما كان آدم وهو جهول محاطا بعطف الإله الحنون
فما عرف الخير والشر حتى نفاه وعاقبه بالمنون

خامساً: يؤمن اليهود أن رأس الملائكة الذي كان إبليس اللعين
وطرده الله من الجنة، ومكانه أصبح جبرائيل راس الملائكة وملاك
الوحي... وميكائيل وإسرافيل الموكلان بخدمة الله... وإسرافيل هو
الذي ينفخ في البوق ليعلن يوم القيامة... ثم أعطى عزرائيل سلطة
ملك الموت

سادساً: يؤمن الأصوليون اليهود أن الملك سليمان الحكيم طاعة
له الجن، لأن لديه خاتم عليه اسم الله الأعظم... وبواسطة هذا الخاتم
سيطرَ على الجان والحيوانات والبحار والرياح والأنهار والغابات
والطيور والهوام إلخ... وكانوا يعتقدون أن من يملك هذا الخاتم
والإسم السري الذي عليه سيسطر على العالم، والمصيبة العظمى في
هذا الإيمان، أن أكثرية أتباع طوائف ديانات اليهودية والمسيحية
والإسلامية وما تفرّع منها من مذاهب وشيع يعتقدون به ويقدمونه

الثورة القادمة

الثورة المقبلة في العالم هي ثورة الإنسان على الإيمان بالأساطير وخرافات الطلاسم والأوهام الدينية، وعلى التفسيرات الهرطقية السامة التي روجها دهاة الأديان، وحولوها إلى مصالح تجارية مربحية، ومخدرات عقائدية لسلب المؤمنين البسطاء، ورعاية صنمية الأنظمة والسلطات الغاشمة الحاكمة والمتحكمة سعيدة في رقاب العباد.

انطلاقة فكر الإنسان في العصر الذي نعيشه هي خلاصة أروع اكتشافات التطور. هذا التطور سيكون نموذجاً لانطلاقة أجيال الغد إلى آفاق الكواكب البعيدة، وتحقيق الشرائع العادلة التي حلم ويحلم بها الفلاسفة العلماء أولي الألباب... إن اكتشافات عقل القرن الواحد والعشرين المذهلة ستحررنا من الكثير وربما من جميع المفاهيم والإحكام السابقة. وسوف تنقذنا من الإيمان بمشيئة قوة القدر المقدسة..! ومن أنانية عقل غوريلا الجد الأناني الأول.

هذه الانطلاقة العلمية العصرية المتسارعة الاكتشافات، ستلغي كل ما كنا عليه وما وصلنا اليه. وتستحدث الطرق العلمية والمناهج التي تتفق وتتوافق مع تطور وانطلاقة افكار الإنسان القاطن قرى ومدن عقل الكمبيوتر، أي عقل سكان البلدان المتطورة... الغد العقلاني سيلغي التخوم بين هذا البلد وذاك، ويمحي الإنتماء القومي بين إنسان كوكبنا

الأرضي... فلا قوميات مختلفة بين أقوام أوقيانيا وتنزانيا والهند واليابان وأوروبا وأميركا ولبنان وغيرهم من البلدان... وفي المستقبل وربما ليس بالبعيد ستلغى جوازات السفر بيننا وبين «جيراننا» سكان الزهرة وعطارد والمريخ... فتستبدل التشريعات التي يأولها الدهاء لصالح أطماع الدول القوية، وتخلّ تشريعات العدل الإنساني محلّ تشريعات أرباح الأثاني... والغد... هذا الغد المجهول...

حتماً سوف يرفض ترك بعض الشعوب تعيش حاضرها بماضيها، وأن تجعل من غدها مائدة لأمسها... في قرننا الواحد والعشرين الحالي ستقوم مسارح للهزء بمعتقداتنا الحاضرة، التي نمارسها نحن اليوم، كما نحن نهزء بمعتقدات أسلافنا الوثنيين البدائيين... إن انطلاقة العصر المتسارعة ستقضي على أشكال الضلالات والمخدرات، وعلى الإيمان برفاهية الجنة الخيالية، وتهزأ من كسل عقولنا الإتكالية، ونومنا على وسادة الأساطير الدينية، وأخذنا بالكثير من الأحكام السلفية... كل هذه سيكون مصيرها في بطون تاريخ الماضي القريب، والعقل القدير على كل شيء سيدفننها في مدافن أهرامات التاريخ العميقة.

من كلمات رسول الله: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة، والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن... وهذا يعني أن الرسول كان يؤيد الحوار حتى يبين الحق... والحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له... والإيمان الدائم هو بعد معرفة البرهان. والبرهان قبل الإيمان. لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان (المتنبي)

عروش الإستبداد

«في ظل الإرهاب والإستبداد ترهن لقمة العيش للطاعة»

منذ أكثر من ثمانية قرون، ضعفت الخلافة الإسلامية، ولم تنجدها بركة الله، لا ولم تؤمن لها السيطرة ودوام السلطة، فزالت الهيبة المقدسة عن الخليفة بأنه سلطان الله في أرضه... وتفتت الامبراطورية العربية الواسعة إلى ممالك وسلطنات وأمارات، قامت كلها على الحكم الفردي الاستبدادي. وازدادت قوة نفوذ واستبداد جنود العساكر المرتزقة وقادتهم. فسيطروا على مقدرات وثروات الخلافة، وخنقوا الإباء في صدور عرب الإباء... فلم يعد هنالك من يجروء على التنحج تأففا من مظالم هذا الحاكم أو جور ذاك السلطان أو بربرية ذاك الأمير... ومنعوا تسمية المرض بإسمه، فبقينا لا نستطيع الشفاء... وحولوا تفسير الآيات البينات في الرسالة المحمدية إلى ما يتفق مع مصلحة العروش والتيجان الإستبدادية والسلطنات الغبية المتخلفة، وتناسوا الشورى، لدرجة أنه إذا قام من يذكرهم بها يشدونه إلى غياهب سجون المباحث، أو للسفر إلى دنيا الآخرة.

أمام هذا الإرهاب إنطفأت شعلة الإبتكار العربية خاصة والإسلامية

عامّة، وحل الفقه التّخديري المصلحي الإنتهازي محلّ التحليل
العقلاني العلمي المتطور، وتفوق الإيمان بالمخدرات الصوفية
الإتكالية على الطرح الفلسفي للماديين والحسابيين، حيث أُحرقت
مؤلفاتهم وأودعوا السجون، وجُزت أعناق رؤوس الكثيرين منهم...
وأرهنّت اللقمة للطاعة.

التضحية في عيد الأضحى

الجعد بن درهم كان من فئة المرجئة وأول من قال بخلق القرآن، ورفض أساطير رعاة مواشي الإسرائيليين الذين ندعوهم أنبياء... وتآلفت معه وأحاطته فئة من أصحاب العقول النيرة، واعتزلوا ومعهم كتبهم فسميوا «المعتزلة»... كان ذلك في أواخر العصر الأموي، أي حوالي سنة ١٢٠هـ حينها أظهر الجعد فكرته بخلق القرآن. وكان ذلك في دمشق، عاصمة الخلافة، فاغضب الأمويين وهموا باعتقاله وقتله، فهرب إلى الكوفة، حيث التقى مع الجهم بن صفوان الذي أخذ عنه خلق القرآن. ثم ما لبث عامل الأمويين على الكوفة، خالد بن عبدالله القسري أن اعتقله... وطال اعتقاله. فاشتكى أهله طول غيابه إلى الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك. فأبدى إعجابه من كون الجعد ما زال حيا. فكتب إلى عامله في الكوفة يأمره بقتله جزاء على «جرائمه» الثلاث الكبرى، التي كان يشيعها وهي:

١ موسى ما كلم الله تكليماً

٢ - والله ما اتخذ إبراهيم خليلاً

٣ - والقرآن ليس منزلاً بل من إنتاج عقل الإنسان...

ويوم عيد الأضحى خطب خالد القسري خطبته الإجرامية
المشهورة فقال:

أيها الناس: انصرفوا وضحوا بتضحياتكم... تقبل الله منا ومنكم
فإني أريد اليوم أن أضحى بالجعد بن درهم.
وأمر بقطع رأسه.

دروس المخدرات الدينية

منذ قرون مضت، وكانت أوروبا قد نهضت من جاهليتها، وابتدأت بمخططها الكولونيالي... بدءاً في أفريقيا والبلدان الإسلامية... فكانوا يمنعون تدريس المبادئ النهضوية الثورية عن شعوب وتلامذة المستعمرات بحجة ان تلك المبادئ التي ايقظت شعوب اوروبا لا تصلح لشعوب وتلاميذ المستعمرات... ومنذ بداية ذاك التاريخ الإرهابي برزت دلائل وظروف التحالف بين سلطات الحكومات الشرقية وبين تعاليم «الغزالي» الدينية... وتستراً بقناع الثقافة والاهتمام بتعليم الناشئة أصدروا قرارات التعليم الإلزامي... الإلزامي فقط التعليم الديني!... فكان هذا الإلزامي وسيلة لتسليم ملايين الأطفال إلى عهدة الفقهاء الأصوليين... كل فقيه يتولى حشو أدمغة تلامذته الأطفال بالحكايا والقصص الدينية، وبمعلومات موجهة عمداً أو جهلاً لشل عقل الطالب وتدمير قدرته طفلاً وشاباً على التفكير المنطقي، وأيضاً لا يسمح له على استنكار تعاليم الاتكالية وأساطير التخدير... هذا المعلم الجاهل، الذي يلبسونه أفخم الألقاب المزركشة، مثل الأستاذ العالم والمربي الفاضل، يغرس في عقول طلابه أن النصوص الدينية هي الحقيقة والحقائق، ولا مناص من قبولها، ولا مفر من الإيمان

بها عقيدة حياتية من المهد إلى اللحد، وأيضاً لا يسمح للطلاب برفضها أو ابداء الإستغراب بالسؤال عن حقيقة قصصها.

هذه التعاليم لا تفيد شيئاً، بل تفسد وتحجم عقول العامة وتخذّر عقول الناشئة وتقيّد تفكيرهم... وبدلاً من أن تكون لنا في المستقبل أجيالاً تدرس وتبحث وتستنبط. فإننا، نتيجة لغرسات الفقهاء، سوف يكون لنا جيل اتكالي مؤمن، يعتقد ويصدق بانه «عبد» مسير بألة التحكم الربانية من بعيد... وعدا عن هذه الإتكالية فإنهم يزرعون في العقول البدائية الساذجة وعقول الأطفال الناشئة الحقد والبغض والعداء ضد من يجاورون ويعرفون من أبناء المذاهب والطوائف الأخرى.

كلمات:

- أنا ضد ربكم لا ضد ربي (الشاعر الجزائري عبد الرزاق بوكيه).
- سأل ولد والده يا أبي: من هو المرثد الذي عناه الخطيب المتدين أمس..؟

هو الذي يترك ديننا ويتبع دين غيرنا

والذي يترك دين غيرنا ويتبع ديننا...؟

يكون رجل مؤمن كريم محترم...!!

الإيمان والإنسان:

- إيمان البلهاء... وهو إيمان يلازم الإنسان طوال أيام بلاهته الحياتية.
- إيمان الوراثة... وهو مورثات المرء (من جنّات) من الآباء والجدود والخوولة والعمومة ومدار تربيته ومعها قصص الغيبات وأعاجيب الجنيات وأساطير الخرافات.
- إيمان خلود النفس بعد الممات إيمان العجائز الذين لا يجادلون ولا يبحثون ولا يعترفون إلا «الله على كل شيء قدير».
- إيمان القضاء والقدر (المكتوب ما منو مهروب).
- إيمان الثواب والعقاب.
- إيمان التصوف وعذاب النفس ومكافأة الله لهم في جنة الخلود.
- الإيمان بقوة وقدرة المال على شراء كل شيء حتى ضمائر تلاميذ المسيح ورفاق نبي المسلمين.
- إيمان الكذابين بذكاء المفسدين.
- إيمان الكبش بنوايا القائمين على تسمينه.
- إيمان المستسلمين بصدق وعود الفاتحين.
- إيمان الإنسان بذئب الإنسان.

إيمان الخلفاء والسلاطين

كان الأمويون يشيعون ويعلنون أن كل ما قاموا به وما اقترفوه من مظالم المذابح كان بإرادة الله تعالى، وهو الذي قدرهم على أن يعطوا الأوامر لقتل الحسين حفيد رسول الله، وضرب الكعبة بالمنجنيق، وتحكيم سكين الحجاج السفاح في أرواح مئات الآف الناس... كانوا يقولون ان الله سوف يبرئهم من كل هذه الآثام المجرمة، لأن هذا كان قضاءً وقدرًا، وكل ما جرى أبان عهد بني أمية كان بإرادة الله الذي قدرهم عليه... وهذا ما اسميناه إيمان الخلفاء والسلاطين.

أما الخليفة العباسي المنصور الدنانيقي البخيل. في أيام موسم الحج. وقف في بيت مكة يخطب ويقول للناس:

«أيها الناس: إنما أنا سلطان الله في أرضه. أسوسكم بتوفيقه وتسديده. وأنا خازنه على فيئه، أعمل بمشيئته، وأقسمه بإرادته، وأعطيته بإذنه. وقد جعلني الله عليه قفلا، فإذا شاء فتحني، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني... فأرغبوا إلى الله أيها الناس، وسلوه في هذا اليوم الشريف، الذي وهب لكم من فضله في كتابه أن يوفقني للصواب، ويسدني للرشاد، ويلهمني الرافة بكم والإحسان إليكم، ويفتحني لأعطياتكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم... إنه سميع مجيب...».

ومن نوادير الإفتاءات الدينية أن الشيخ «محمد أبو زهرة في كتابه»

(الإمام زيد وعصره) أدلى برأي طريف، حلل فيه سبب فشل زيد بن علي، في ثورته على هشام بن عبد الملك، وثم نجاح ثورة العباسيين على الأمويين فقال:

«إنها مشيئة الله تعالى أن لا ينتهي حكم الأمويين على أيدي رحيمة، لئلا يفوتهم نصيبهم من العقاب على ما اقترفوه من الجرائم فسقطوا بأيدي أناس من طرازهم»...

وعلى ذكر الإرهاب وسفك الدماء، لا بأس أن نكتب للقراء بعض أخبار الأحكام السلطانية العربية وجرائم الخلفاء والحكام والولاة...
فمثلاً: «زياد بن أبيه» الوالي على العراق من قبل شقيقه (...). الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي أصدر أوامره بمنع التجول - والقتل على التهمة والظن، وقتل البريء كي يخاف المذنب... لقد طبق قانون القتل على فلاح خرج للأيفتش عن بقرته... وحكم زياد بقطع لسان رشيد الهجري، وقطع اللسان طريقة إرهابية غير معتادة عند العرب... أما نائب زياد على البصرة «الصحابي سمره بن جندب» فقد أعدم ثمانية آلاف من أهل البصرة تطبيقاً لمبدأ زياد، بالقتل على التهمة... والحجاج بن يوسف، الذي كان نسخة أجرام متطورة عن زياد... لقد سفك دماء مئات الآف المسلمين، وضرب الكعبة بالمنجنيق... وهشام بن عبد الملك طبّق بنفسه طريقة القتل بقطع الأيدي والأرجل... وأذا انتقلنا إلى عهد العباسيين نكتفي بذكر قائد جيوشهم أبو مسلم الخرساني الذي يكتب المؤرخون العرب عنه أنه بأوامره أعدم ستمائة ألف بين رجل وامرأة وغلام... وذلك عملاً بوصية الإمام إبراهيم، أول إمام للدعوة العباسية، حيث كتب إليه أن يقتل أي غلام بلغ خمسة أشبار إذا شك في ولايته.

بعد مرور هذه الأحكام بما يقارب التسعة قرون، قال السلطان العثماني سليمان القانوني إلى سفير فرنسا الذي جاء اسطمبول للتفاوض معه بشأن بلاد المجر، فأجابه وخاطبه مخاطبة ايمان السلاطين فقال: «هذه المملكة تخصني، حكامها يحكمون بأوامري، أعزلهم إذا أردت واثبتهم إذا أردت... هذا حقي في التصرف بهذه المملكة لأن شعبها عبيدي وخدمي... وقال الدكتاتور الفاشي الصغير موسيليني... القانون أنا... وأنا القانون». ومع بداية قرننا الحالي - عصر الاكتشافات والعلوم - داء قذافي ليبيا فيقول أنه «ملك الملوك» وبشار أسد سوريا ليذعي أن مملكة آل الأسد إلى الأبد... إلخ. وقد تضيق مزابل التاريخ بأسماء حكام شرقيين وغربيين كهؤلاء قادمين إليها.

هكذا كانوا يؤمنون ويعتقدون ويصرحون أن مسؤولية مظالم الرعية تقع على عاتق الله الذي قدر تعاسة المظلومين، وإلهام الحكام بقفل خزينة المملكة ومنع أعطيات الشعب. وأيضاً إن الله هو الذي أوحى للحكام بفساد أخلاقهم بفساد أخلاقهم وعهر تصرفاتهم الإجرامية وفراغ ضمائرهم، وأن شعب ورعايا السلطنة أو الخلافة هم أرقاء الحكام وخدمهم وعبيدهم، وأن شنق وقتل ودفن ملايين الناس ظلماً وقهراً كان بإرادة الله تعالى، فهو الذي قدر الملوك والحكام بتنفيذ المظالم وإزهاق أرواح العباد...! وفي هذا المعنى كتب أمير البيان شكيب أرسلان (في مؤلفه لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم) ما يلي: «من أكبر أسباب تدهور المسلمين فساد أخلاق أمرائهم. لقد ظن هؤلاء أن الأمة خلقت لهم، يفعلون ما يشاؤون...!».

يكتب الفيلسوف الفرتسي أرنست رينان :

«كل من زار المشرق أو افريقيا جوبه بنوع الحلقة الحديدية المغلقة، التي تسجن رأس المؤمن، جاعلة اياه مغلقا تماماً عن استيعاب العلم وغير قادر أن يفتح على أي فكر جديد...».

ونسجل مع رأي رينان عدة آراء معروفة ومغمورة :

- كيف يكون الإنسان أميناً مع الفقر، صادقاً مع الظلم، ومحبا مع الحقد والبغض والفرقة... علما أن منازل الحقد تبني بأحجار الاهانات (فرح أنطون).

- طالب الحقيقة عليه أن يترك الإيمان بكل ما هو مقدس وغير منظور وغير ملموس... وهو لا يستطيع أن يكون متعصبا لمعتقد، أو لحزب، أو لطائفة أو لمذهب، أو لقومية أو لوطن، أو لقبيلة أو جماعة، أو لقريب أو غريب أو نسيب، وحتى لمعشوقة.

ونذكر القارىء مردين ما كتبناه، أن طالب الحقيقة عليه بإخراج الدين من بطن الوطن، وإخراج الوطنية من جيب المصلحة، وعليه أن يترك جميع الجاهليات التي ربّي عليها ويتبع ضميره الإنساني... وفي هذا المعنى سجل كمال جنبلاط في دستور حزبه التقدمي الإشتراكي يوم تاسيسه البند التالي: «إذا ضميرك تناقض مع دستور حزبك فاتبع ضميرك وأترك حزبك».

في عقود القرن الماضي (القرن العشرين) تكونت في بلداننا العربية

جمعيات كثيرة، وأحزاب سياسية عديدة، ومجمّعات طائفية صغيرة وذات غيرة قوية للوحدة العربية وللدفاع عن الدين والحفاظ على التقاليد والإرث المجيد، وأيضاً برزت فرق كبيرة تدّعي محبة الوطن والتضحية التامة فداءً للقوميات... وبعد الأخذ والرد والممارسة والجد تبين أن قصدها الحقيقي هو وصول قادة هذه الجمعيات والأحزاب والتجمّعات إلى السلطة، واحتكار المراكز وكراسي وخزينة الدولة... لهذا أفلست وتلاشت جميعها أمام «فورات» المواطنين، وغضب جماهير المخدوعين... وقد لا يصمد بعد الإمتحان إلا من تبع ضميره وأهمل أنانية حزبه.

ويقول شاعر عرب المهجر البرازيلي الياس فرحات:
وثورة الجائعين إذ نشبت فكل قصر لنارها حطب

الإيمان بين الواقع والخرافة:

- «ولا تتبع أهوائهم عن ما جاءك من الحق» (المائدة ٤٨).
- «ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون» (الأنفال ٨).
- ويقول السيد المسيح: «جميع الذين اتوا قبلي هم سراق لصوص» (لوقا ١٠).

كثيرة هي الآيات البينات في القرآن الكريم، التي تكشف الحقائق وتدفع إنسان الوعي لمعرفة. علما أن دهاة الفقه لا يقبلون بتأويلها لصالح العلم والتطور، بل يؤولوها لغاية تنويم وتخدير العقول إيماناً تاماً بقصص الغيبات وجنى ثمارها لصالح جياب أنانياتهم... ولكن

بما أن السباق على إنتاج قصص الخرافات، وصقل إخراجها، محكية ومرئية ومكتوبة حملت أقلية من أصحاب الفكر التقدمي أن يتصدوا (على الرغم من قلة عددهم، وخطر مغامرة التصدي، وفقر عزالهم الإعلامي) بأقلامهم لهذه الهجمة الدينية الأصولية الخطرة، التي بدت أعلامها تخفق وتطل من على قمم بلداننا الإسلامية، في ظهيرة القرن الواحد والعشرين، قرن الاكتشافات العلمية الباهرة، مدعية الإيمان بالإسلام، وتارة الدفاع عنه... فكان هذا الصراع القائم، الذي نراه، بين آداب الوعي العقلاني وبين عظمات التنويم والتخدير... بين انتفاضات الثورين طلبة التغيير والانطلاق وبين الأصوليين الجاهلين العنيدين... بين أقلام ومنابر المنورين أهل الفكر التقدمي وبين أقلام ومنابر المضللين الدينين ومفسي الرسائل الدينية تفسيراً يصب في مصالح كراسي السلطات ومطامع سماسرتهم ودموية عصاباتهم الحاملة عقيدة الإجرام...

إن أصحاب الفكر التقدمي وحملة العقل الإبداعي الإنساني لا يؤمنون بهذه الكمية من الأساطير والإدعاءات، قليلة كانت أم كثيرة، ولا يقرّون أنها مقدسة... لقد قاموا يفسرون الآيات البيّنات تفسيراً عقلانياً ويوؤلونها لخدمة العلم، ولا يمارسون تأويل هذه الآيات لخدمة الدين... وكانوا إذا تناولوا المضللون وقالوا إن أعاجيب أنبياء بني إسرائيل مقدسة وقد أوحى بها في القرآن، كانوا يجيبونهم بقول السيد المسيح: «جميع الذين أتوا قبلي هم سراق لصوص» (لوقا ١٠)، وبآيات قرآنية تدحض مزاعمهم وتذكر المؤمنين الغافلين أن ما جاء في القرآن من قصص عن بني إسرائيل إنما أمثال وآيات

للاستشهاد وليست للاعتقاد، وقصص للحكي وللنقل وليست للعقل... ومن القرآن كانوا يستشهدون:

- «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون»
(العنكبوت ٤٣).

- «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين» (يوسف ٣).

- «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (الزمر ٩) ---
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب» (الزمر ١٨).

- «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (فاطر ٢٨).

- «لا تفسدوا بالأرض بعد إصلاحها» (الأعراف ٥٦).

- «ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون» (إبراهيم ٢٥).

- «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يؤتي الحكمة من يشاء ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً»
(البقرة ٢٦٩).

- «ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون» (الأنفال ٢١).

- «ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون»
(البقرة ٧٨).

وعدا عن الآيات البيّنات، فقد كانت هناك كتب وأقوال حكماء العلم، الذين كانت مساهمتهم بائنة في كشح سخافات الأساطير عن

العقليات العربية... كانوا يأتونهم بالبراهين عن الأساطير انها خرافات وحكايا ساذجة، ومن غير المعقول أن تكون ربانية مقدسة. والعقل البشري هو وحده الذي يمكنه أن يعطي المعرفة التامة والأكيدة عن الكون. وإن إدعاءات الوحي خاطئة. والعظة بتقديس حكايا الخرافات والإيمان بها هي استهتار وتحقير لعقل اكتشافات القرن الحالي... فإنسان اليوم هو أرقى من إنسان أمس، ولا يصدق عقله مثل هذه الحكايا، فكيف بإنسان الغد الذي سيكون حتماً أرقى من إنسان اليوم...

وكان أصحاب العقول الواعية، والأفكار النيّرة، وأقلام الوعي الجريئة يهربون من مظالم السلطنة العثمانية، التي كانت يومها صاحبة كل سلطة في بلادنا، والتي كانت ترعى فقه التخلف الظلامي وإفتاءات الجهل، وتقفل مطابع الصحف التي تنشر مقالات وأشعار الأفكار الواعية المعاصرة... لهذا قامت مجموعات الواعين تهرب إلى مصر وإلى العالم الجديد. ومن هناك، عبر المحيط والبحار تبعث بمقالاتها وصحفها وكتبها سائلة متسائلة؟ أيمن للعقول الواعية أن تؤمن بكل هذه الخرافات؟؟ هل يمكن حتى للإنسان العادي أن يقدسها..؟ ثم كيف يمكننا أن نعيش الإيمان بين الخرافة والواقع..؟

كانوا يكتبون ويتساءلون

كيف نصدّق الحكايا المدونة في التوراة، والتي لو نقلنا جميع قصصها لكان لزاما علينا أن ننقل معظم صفحات العهد القديم البالغة ١٣٥٨ صفحة بحجم الحرف الصغير... هذا الكتاب يدعونه الكتاب

المقدس وإنه كلام الله... هذا علما أن محتويات صفحات التوراة، نظرا لسرد قصص العهر فيها، تحمل بوليس الأخلاق على منع دخولها إلى بيوت العائلات... أما قيمتها التاريخية فهي تعادل قيمتها الأخلاقية، أي لا قيمة لها، لأن أزمانها ومكانها حكايا خيال خصب لا وجود لها... إن إعتبار التوراة مرجعاً للتاريخ يؤدي إلى المزيد من التعمية على التاريخ، ويفتح المجال الأوسع لتزويره... المؤرخ السوري فراس السواح فضح في كتابه، أرام دمشق وإسرائيل، خلط وأخطاء السرد التوراتي للتاريخ، وكتب في صفحة ٢٦٨ «البحث عن التاريخ في النص التوراتي هو عمل أشبه بالبحث عن السمسم في كيس من البندق».

والسؤال هو: هل التوراة هي مصدر من مصادر التاريخ، أم هي حكايا خرافات قديمة؟

مصيبة الإنسان في هذا الإيمان

يا لمصاب عقل الإنسان... كيف يمكننا أن نتعامل مع هذه الأساطير التي عششت في رؤوسنا ونأخذها ديانة مقدسة، ونبني أفكارنا على أسس خرافاتها ومقدساتها..؟! - كيف نتعامل ونؤمن بالمنقولات اليسوعية، وبالروايات الإسلامية، والتأويلات القرآنية، والقصص التراثية، والحكايا التوراتية..؟

- كيف نؤمن ونصدق أن هذا الكون خلقه الله في ستة أيام ولما أحاط به التعب استراح اليوم السابع..؟

- كيف نقدر ونرضى أن تكون البشرية جاءت من نسل آدم (طبعاً دون فحوصات د.ن.آ) ولهذا السبب، دون تذكرة أو إخراج قيد يدعوننا نحن أهل الأرض، بأسم أبنينا «بني آدم»..؟!..!!

- كيف نؤمن ونقدس قصة طوفان نوح، ورعاية الله الخصوصية له، وقد وجدوا مثلها قصصاً وأساطير عديدة عند الشعوب الهندية والصينية القديمة وغيرها..؟

- وكيف نقدر ونصدق أيضاً أن لوط كان نبياً وهو الذي يقول عنه الكتاب المقدس أنه سكر وضاجع ابنتيه..؟ فكانت حصيلة سكرته أنه بعد تسعة أشهر أصبح أباً وجداً لطفلين...!!

- وكيف نؤمن ونصدق حكاية أبراهيم مع الله الذي زاره وطلب منه أن يضحي بابنه برهانا عن حبه وطاعته له..؟

- كيف نؤمن ونصدق أن يعقوب، في غور الأردن، تصدى الله له (ونقلاً ما سجل على صفحات التوراة - تكوين الأصحاح الثاني والثلاثين).

وتحداه لإجراء دق مباححة (مصارعة) فقبل يعقوب التحدي، وبقيا طوال الليل بين كر وفر. وقبيل الفجر، وكاد يعقوب أن يبطح الله، تقدم الله منه وهناك على شجاعته وصلابة عوده وقال له: من الآن وصاعداً سيكون اسمك «إسرائيل» وهذه الأصقاع من النهر إلى النهر (من نهر النيل إلى نهر دجلة وشط العرب) هو مقدمة مني لذريتك موطناً مقدساً ويدعى اسم هذا الوطن كاسمك «إسرائيل»... كل هذا جرى دون شاهد حي يوقع اسمه على صك هذا العطاء

الحاتمي المقدس...؟! فقط بعد مضي أكثر من خمسين قرناً، على هذه المنحة الإلهية بأن في بريطانيا، التي كانت عظمى، شخص يدعى لورد بلفور، الذي شهد بصدق الوصية، ووقع وعداً بتنفيذها... وهكذا حصل... فكان أن برزت سنة ١٩٤٨ دولة منحها الله ليعقوب، باسم دولة إسرائيل...!! وصدقت أكثر دول العالم على أكبر كذبة تاريخية «هدية السماء ليهود الأرض».

كيف نصدق ونؤمن بموسى وحكايا أعاجيب عصاه التي شق فيها البحر، وكيف صعد الجبل ونزل الله لمقابلته وكلمه واعطاه الوصايا العشر محفورة على بلاطة كبيرة حملها له من بابل حمورابي إلى طور سيناء..؟

كيف نصدق أن موسى سمع حفيفاً من أغصان الشجرة وذهب يقول: «أنه سمع من الله الوصايا العشر... إن هذه خرافة الملكة الخرافية المتوجة لجميع الخرافات، التي لا يقبلها ولا يصدقها العقل البشري... إن البشرية التي اتخذت من طاقة عقولها دروساً لفهم كل أسرار الطبيعة وحل رموزها، هذه العقول أحق وأجدر أن تكون لسان الله من الجماد وأوراق الأشجار»... وقد علقت كتب الحكمة الدرزية تعليقا على هذه الحكاية الغريبة بالنص التالي: «كيف يجوز أن نقول أن الله سبحانه وتعالى خاطب وتكلم من أوراق شجرة، علماً أن هذه الشجرة قد يصيبها اليباس فتقلع وتحرق ويتبخر حطبها ويداس ورقها مع كلام الله»...!

كيف نصدق نطق بغلة بلعام (بعض الكتاب يكتبون أنها كديشة

وليست بغلة) هذه البغلة تكلمت العبرية الفصحى بطلاقة أرقى من اشعارالرئيس الإسرائيلي الشاعر سلمان شازار..

كيف نؤمن بحكاية «أيوب»، والرهان الذي جرى بين الرب وبين ابليس على زحزحة إيمانه بالله.

كيف نؤمن ونصدق أن المسيح الرب بقي تسعة أشهر في رحم والدته بعيدا عن عالمه الذي صنعه، وأنه حقاً قام من بين الأموات... وكيف يكون هذا أن يموت المسيح معذبا ومهاناً ومصلوبا بأيدي زمرة من أوباش أزقة أبناء أورشليم وهو رب البشرأ و ابن رب البشر الذي هو على كل شيء قدير...؟ وهل الإنسان قادر على قتل الإله وتعليقه بالمسامير فوق خشبة الصليب...؟ ترى هل أن الإنسان أقوى وأبطش من الإله أو ابنه؟... إذا كان هذا الحادث صدقا لوجب علينا أن نقول: أن الإنسان الذي صلب الرب أو ابنه، هو على كل شيء قدير...؟ وللاستفهام عن هذه الأعجوبة يقول الشاعر العراقي معروف الرصافي:

عجباً للمسيح بين النصارى وإلى أي والد نسبوه
اسلموه إلى اليهود وقالوا أنهم بعد صلبه قتلوه
ليت شعري وليتني كنت أدري ساعة الصلب أين كان أبوه

هل نصدق ونؤمن أن عيسى كان يرتل القرآن وهو في رحم أمه

مريم...؟

كيف نصدق ونؤمن بقصة هبوط الملاك وشق صدر الرسول محمد بن عبدالله وحشوه بالنور، و ثم قصة المعراج والإسراء من المسجد الحرام إلى الأقصى، ومواجهة رب العرش وذهابه وأياه

مرات عشر، وكيف تمت المكاسرة وتخفيض عدد الصلاة من خمسين إلى خمسة... ترى الا نبحت كي نعرف أن حلم محمد ما هو إلا حلما، ولا يمكن أن يكون إلا خرافة من الخرافات الإسرائيلية التي نقلوها وشيعوها عن لسان رسول العقل والوعي وأنزلوها في قرآن عثمان أنها أعجوبة، والقصد من زرعها لكي تبدو حكايا الأساطير وكأنها تخص جميع الديانات، وليست الخرافات فقط من اختصاص التوراة اليهودية... نعم كيف يمكننا أن نتعامل مع مجموعة هذه الخرافات والأساطير، وآلاف القصص مثيلاتها ونصدقها ونعلمها لأجيالنا، ثم نمجد ونحترم ونجل المتدينين المبشرين بقداستها...

يا مولاي العقل...! هل يمكن أن يصدق أو أن يؤمن إنسان عاقل بهذه الحكايا...؟! إن مصيبتنا العربية العظمي هي: بينما بشرية عالمنا الأرضي تبني جامعاتها ويتعالى صرح أكاديمياتها، وتبان براهين أبحاث عقلياتها، الراضة والمستنكرة الأساطير الدينية، وتسير في مشوارها العلمي البعيد للسياحة بين الكواكب، والتنقل بين الزهرة وعطارد والمريخ، نحن العرب نسير إلى الوراء، مفتشين عن عباءة قحطان ودشداشة عدنان، للمفاخرة بهما نسبا قبلنا لنا وأثارا تاريخية لأحفادنا.

كتبوا ونظموا:

- ديانات الشرق كانت أعظم البواعث على استبداد حكامه وملوكه... لقد رفع كهنته الأقدمون الشعوذة إلى مرتبة فن راقٍ (الدكتور خليل سعاده سان باولو - الشوير أصلا).

- قال النبي العربي: المسيح لم يصلب ولم يجلد ولم يقتل إنما شُبه له، ولكن اليهود الذين قتلوه وصلبوه والنصارى الذين دفنوه يقولون: أنه جلد وصلب وقتل... فمن تريدون أن نصدق...؟

- الدين في الشرق الأدنى، هو مادة للنفوذ السياسي، والتكتل الطائفي، والوجاهة الاجتماعية وطريقاً للمنافع والمآرب الشخصية (من إحدى مقالات الأدب الاغترابي).

- أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما ديانتم مكرّ من القدماء (المعري).

ونسجل بعض أبيات من قصيدة لشاعر الاغتراب البرازيلي خليل محمد العقده (القرعون لبنان - أصلاً) مستنكراً حكايا الخرافات التي ينسبونها للرسول العربي فيقول:

كم بدعة حبك السفاه خيوطها جعلوها قدس الكلام المنزل
وضعت لتهزأ بالعقول، وقد جرى صرفاً تقبلها بغير تعقل
خبر العروج به مثال بارز فمحاله قد فاق كل تحمل
زعموا بأن غسلت ملائكة السما قبل العروج إلى مقابلة العلي
قلب النبي... وما تضمّن جوفه وحشوه إيماناً بشكل أفضل
أفديننا لا تستقيم أموره إلا إذا حشيت بأسخف مقول...؟
- الحب دين «ابن عربي».

أدين بدين الحب أن توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

أما الشاعر «أبو دلامه» فكان له رأي آخر حيث قال:

تلوم على ترك الصلاة حليلتي فقلت أغربي عن ناظري أنت طالق
لماذا أصلي؟ أين باعي ومنزلي وأين خيولي والحلى والمناطق

أصلي؟ ولا فتر من الأرض يحتوي عليه يميني...! إنني لمنافق
بلى... إن عليّ الله وسع لم أزل أصلي له ما لاح في الجو بارق
فإن صلاة السيء الحال كلها مخارق ليست تحتهن حقائق
وقال أبو العلاء المعري:

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنوناً وترزق أحمقا
فلا ذنب يارب على أمرى رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

التاريخ لا يسير إلى الوراء

يخاف رجال الدين الإسلامي من عدم قدرة الإنسان العربي أن يوفق بين الاكتشافات المعاصرة وبين عادات وعقليات الأمتس الجامدة.. بين الإيمان بالماضي وبين أنوار العلم الحاضر... وعلى هذا الأمر أجاب أحد أصحاب الألباب بقوله: «إن الذين يوظفون الدين لتركيز أنظمة جامدة متخلفة ويزرعون بذار الأساطير تخديراً للعقول... هؤلاء هم الذين سوف يجمدون ويفلسون... فالتاريخ لا يسير إلى الوراء».

هل الدين أفيون الشعوب؟

ليس الدين دائماً أفيون الشعوب... كما قال كارل ماركس... ولكنه عندما يستخدم للمواربة والتضليل والتخدير وتزوير تاريخ مسيرة البشر يصبح هكذا... والمبشرون الذين يؤدون هذه المهمة يكونون شخصيات أشد خطراً من مهربي الأفيون.

(كلمات للعالم الإسرائيلي «إسرائيل شاحك» مدرّس مطرود من جامعة أورشلين الصهيونية).

الفصل الثاني

الأديان

- «الأديان ليست للحراثة... لا وليست للتجارة... لا ولا للسياسة... ولا للتقشف... ولا للزينة... إنها الأديان فلسفات الحياة كمصافي الحياة، كي تصفّيها من بعض الحشرات والجراثيم».

(أمين الريحاني)

سراير أبي العلاء

بني زمني هل تعلمون سرايرنا علمت ولكني بها غير بائح
متى ما كشفتكم عن حقائق دينكم تكشفتكم عن مخزيات الفضائح

العلم والكتب المقدسة

كل ما جاء في كتب الأديان المقدسة من معلومات عن الفلك والأرض وبدء الكون والنجوم والسموات، وغيرها وغيرها من التفسيرات والتحليلات، كلها برهنت الأبحاث العلمية أنها معلومات ليست معصومة عن الخطأ، بل هي خيال أناس عرفوا وعلموا شيئاً وغابت عنهم أشياء... الأفضل أن لا ندعوها معرفة بل «إدعاء»... هذا

كي نخفف من عناد بعض رجالات الدين الذين يفرضون غرسها في عقول الناشئة، ولا يقبلون الشك بها أو الحوار والبحث عن أخطاء حسابات أطروحاتها... علما إنهم بهذا يمنعون صقل وتفسير المعلومات، ويجمّدون التطور البشري وتقدم الحضارة... وهذا سيسبب ابتعاد كل من يدخل الجامعات العلمية عن الدين، وأن يهمل وينسف كتب هذا الدين ومعلوماته التي لا تتفق مع اكتشافات العلم... ويكتب الصادق النيهوم: ما دام مجتمعنا يسمح لفقهاء جامد العقليّة أن يحشر نفسه ويقول ما يشاء باسم الله فلا بد من وقوع كارثة الجهل... ويكتب الدكتور شبلي الشميل: «الدين ليس العقبة الحقيقية في سبيل العمران والنهضة بل رجال الدين هم أنفسهم العقبة».

ويلفت الدكتور صادق جلال العظم نظرنا إلى الأمر التالي:

«في الكتب الدينية يقولون: إن الله خلق آدم من «الوحل» ثم أمر الملائكة أن يسجدوا له، فسجدوا إلا إبليس، مما دعا الله إلى أن لعنه وطرده من الجنة...! فهل هذه الحادثة وقعت فعلاً...؟ هل هذه حقيقة...؟ لأنها جاءت في القرآن... إذن علينا أن نضيفها إلى صفحات تاريخ الكون الذي يدرس في مدارسنا وجامعاتنا وكلياتنا العلمية... إن محاولة طمس النزاع بين الدين والعلم هي محاولة يائسة، لأن الدين يتعارض مع العلم ومع المعرفة قلباً وقالباً، روحاً ونصاً» (انتهى كلام الدكتور صادق).

في الغرب قام مئات لا بل آلاف المفكرين والعلماء الباحثين، وفندوا وبينوا أخطاء وباطل كل معلومات جاءت في الكتب الدينية،

وتركوا اعتبار نهجها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعلميا، وفصلوا الدين فصلا تاما عن سياسة الدولة وتشريعاتها، فوثبت أوروبا ودفعت الكون بأسره نحو الانطلاق والأزدهار العلمي.

أما عندنا، وفي عالمنا المتدين، فإن بعض أئمة المساجد وكهان الكنائس والمعابد يغرقون في الجهالة الدينية، أي الإعتماد على نقل ما لا يصدق، يعني الإعتماد الكلي على النقل دون العقل، مهما احتوى هذا النقل من كتب البدع غير المقبولة... ثم هنالك الكارثة الأعظم وهي: إن بعض حكوماتنا تضع الجوائز المليونية لمن يقطع رأس ويحطم قلم كل من يتجرأ ويدل على أخطاء وأغلاط تلك الكتب، ونعود لتعليق العالم الصادق النيهوم الذي يقول:

«ما يجري في أوطاننا العربية تحت شعار الدين والتدين هو في حقيقته هروب جماعي من صوت العقل».

هل يصدق العقل هذه الحكايا؟

(إن معظم أقاصيص التوراة كانت حكايا فلسطينية شعبية متداولة خلال العصر الفارسي - المؤرخ السوري فراس السواح).

كيف نؤمن ونصدق ونقدس اسطورة موسى الذي يقول أن الله كان لا يرد له طلبا؛ (كلمتو ما بتصير تنين عند رب العباد...!) لقد طلب منه إن يميت جميع الأبقار في مصر بشرا وحيوانات ففعل الرب هذا وأماتهم في ليلة واحدة... دون قضاة ومحكمة ومرافعات ومحامين إتهام ودفاع... لهذا نحتار كيف الناس آمنوا وصلوا لهذا الرب، رب موسى، الذي يقتل جميع الأبقار، دون ارتكاب أية خطيئة، وبينهم

الكبار والصغار والبنات والصبيان والمؤمنين والكفار، وشق له البحر بضربته المهولة من عصاه الطويلة الغليظة.!! كل هذا كما يقولون استجابة لطلب دلح موسى لكي ينقذ شعبه من وطأة حكم فرعون، الذي لم يذكر اسمه ولا تاريخ عصره في سطر من صفحات التوراة...! ثم سلمه الوصايا العشر، مكتوبة كما تقول أفلام هوليوود بأحرف انكليزية... هذا قبل ولادة الإنكليز ودولتهم وأحرف لغتهم بعشرات القرون..

كيف نؤمن ونصدق أن الله أوقف الشمس في قرص الفلك اكراما لطلب يشوع بن نون..؟ وإن النبي ايليا كان عنده مركبة نارية عابرة حدود القارات القديمة قبل صواريخ أميركا وروسيا وكوريا الشمالية بخمسين قرنا..؟

كيف نؤمن ونصدق ونقدس قصة يونس الذي تقول التوراة أنه بقي أياماً ثلاث في بطن الحوت ضيفاً مكرماً وكأنه في أوتيل فينيسيا اللبناني المرّفه ذو الخمسة نجوم..؟

كيف نؤمن ونقدس اسم سليمان بن داوود، الذي يقولون أنه كان نبيا حكيماً، ويكتبون عنه الحكايا الغريبة العجيبة، بأنه كان ملكاً جباراً، تخضع له الأنس والجن، ويكلم (الهدهد والحمار) الطيور وجميع الحيوانات، بنفس الوقت، ويسافر على بساط الريح، وبني هيكل كبيراً للرب... وكان حسب ما سطر في التوراة - سفرالملوك الأول - أصحاب ٢١ «أنه أحب نساء غريبات كثيرات مع بنت فرعون: من موآبيات، وعمونيات، وآدوميات، وحثيات

وصيدونيات»، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم ولا يدخلون اليكم... فكانت لسليمان سبعمئة من النساء السيدات وثلاثمئة من السراري + زائد اسطورة الملكة بلقيس التي اغتصبها على سريرها يوم زيارتها له في قصره... هذا وجميع مبشري الديانات الكبرى الثلاث، وما تفرع منها من مذاهب الأقليات توصي بتقديس اسم سليمان «الحكيم». بعضهم عندما يصلون يذكرون اسم سليمان بالقداسة مع صلواتهم ويقولون «صلى الله على شرفه».

يسوع والإيمان

كيف نؤمن أن يسوع المسيح يرجع بنسبه إلى داوود، وأنه أحد مسلسل أنبياء بني إسرائيل، وكانت رسالته المحبة - التسامح - السلام - الصدق - الضمير - الوفاء - الإحسان - الإيثار - القناعة... وهي العكس تماماً عن رسالات وتعاليم أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا دعاة لسفك الدماء والدمار وحريق مدن وبلدان ما يدعونهم بالغويم أعدائهم... هؤلاء الأنبياء الذين عناهم السيد المسيح في أصحاب لوقا - السفر العاشر عندما قال: «جميع الذين أتوا قبلي هم سراق لصوص». كيف نؤمن أنه ينتسب إلى أحدهم... إلى داوود، الذي غدر بأقرب الناس واخلصهم له، وهو قائد جيشه الشجاع أوريا الحتي المتفاني في الدفاع عن عرشه، حيث أرسل من يغتاله غدرا كي يرث ارملة الجميلة ويضمها إلى نسائه وبيته (صموئيل الثاني إصحاح ١١)...

كان السيد المسيح معلماً أخلاقياً وإنسانياً رائعاً يفوق وصف

الكلمات... لهذا نرى رسالته الإنسانية وفيها الكثير من أخلاقيات البوذية والكونفوشيوسية والإفلاطونية والرواقية والزراداشتية وجميع مذاهب العالم الكبرى المتشابهة في تعاليمها الروحية الإنسانية... والسبب يعود إلى كون البشر يتمتعون بالحس العقلاني الفطري، ويتقبلون بغبطة كل تعاليم تصقل نفسياتهم... ولكن العبرانية اللامعقولة والميتفازيقيون اليونانيون أفسدوا الديانة المسيحية التي زهرها بولس (على حد كتابة أمين معلوف)، كي يتقبلها العقل اليوناني، وحولوها إلى رسالة إستثمار وإهراق دماء الإنسان.

إن حاخامات الدين اليهودي الذين عملوا قديماً من الديانة مورداً (لتقاسم كنوز الهيكل بين الحاخام والهيكل)، وحديثاً عقيدة الصهيونية التي وحثت العنصرية مع مصلحة الديانة اليهودية (التي دعوها ودبجوها باسم قومية) يؤيدها المنتفعون من طقوس الديانات الموروثة... هؤلاء الحاخامات الساهرون دائماً على خطوات التطور الإستثماري، قاموا طوال القرون الأربعة الأولى من ظهور المسيحية، وحرقوا ونكّلوا باتباع الرسالة اليسوعية. وبعدها عادوا ونصوا وسطروا ما حسن لمصلحتهم وعنصريتهم، ودمجوا الأنجيل وإصحاحاته الروحية بتوراتهم الخرافية الدموية للإنسانية... وبعد هذا جاء دور أطماع الأكليروس الذين نصبوا أنفسهم وكلاء عيسى وأبو عيسى علي البشر، حيث بدلوا المقصد الروحي لتعاليم السيد المسيح إلى مقصد إشادة إمبراطوريات سياسية ومالية، وغيروا المعنى الإنساني للصليب «الصليب شعار السلام» اتخذوه شعاراً للحرب وإهراق الدماء، ورفعوه رايات لفتوحات وغزوات عاثت في بلدان الشرق الأدنى طوال

قرنين قتلاً وحرقاً ونهباً، ودعوها دون خجل صليبية... وخطب البابا أوربان الثاني في موعظته «لجنود الرب» الذاهبين إلى الحروب الصليبية في الشرق: فقال: «يا له من عار. إذ قام جنس خسيس مثل هذا الجنس المنحل (يعني المسلمين) تستعبده الشياطين بهزيمة شعب يتحلى بإيمان عظيم يزهو ويتألق باسم المسيح»...

وكتب البابا انوسنسيو إلى لويس التاسع ملك فرنسا، الذي قاد الحملة الصليبية الثامنة إلى سوريا ومصر (سنة ١٢٤٧) واحتل دمياط، ثم هُزم وأسر ومرض: وهذه بعض مقاطع من رسالة الحبر الأعظم له:

«لقد أصدرنا صكوك الغفران للمحاربين وحرمانها على المتخلفين عن القتال - عليكم بقتل الرجال والنساء والأطفال المسلمين - أنقلوا ثروات الشرق وكنوزه إلينا - أحرقوا كل ما تبقى من بلاد الشرق بلاد الكفر - إنتمموا لأجدادكم» وما أن همدت هذه الحروب وهُزموا من الشرق حتى أقاموا في أوروبا مجالساً دموية بربرية دعوها «مجالس التفتيش المقدسة» مهمتها حريق أو تقطيع جسد، وفقاً عيني، وتكسير جمجمة، وسلخ جلد كل شخص لا ينظر بعين الإيمان إلى أحكام الكردينال أو المطران... المتشرع البرازيلي الشهير «روي بربوزا» يكتب في صفحات كتابه صلاة العابد: «أيام سلطة وحكم المطران الفاتيكانى الدموي طوماس توركامادا من سنة ١٤٨٣ إلى ١٤٩٨. أن محاكم مجالس التفتيش (المقدسة..!) حكمت على ما بين ١١٤ إلى ٣٠٠ عائلة (أفراداً وجماعات) بالسجن المؤبد، وحكموا على ٩٧٣٠٠ (سبعة وتسعين ألفاً وثلاث مئة) شخص حريقاً بالنار، وعشرة الآف

كافراً..! أماتوهم بدغدغة أجسادهم عراة على الجمر»... أما الموسوعة
ميرادور (ترجمة الموسوعة البريطانية للبرتغالية) تدوّن: إنه أيام
المطران توركامادا حرقوا أحياء (١٠٢٢٠) عشرة آلاف ومئتي وعشرين
شخصاً وشنقوا ستة آلاف وثمان مئة وستين (٦٨٦٠) وحكموا على
(٩٧٣٠٠) سبعة وتسعين ألفاً وثلاثمئة شخصاً بتهم مختلفة.

المعلم بطرس ديانو، أول مؤسس لمدرسة تعاليم فلسفة ابن رشد
في إيطاليا خاصة وأوروبا عامة، نال الجزاء على عمله العلمي هذا...
وهم، لم يسفروه إلى الجحيم حالاً... بل حرق رجالاً ديوان
مجالس التفتيش عظامه، بعد مرور عدة عقود على موته، عقاباً له..!
والعالم جوردانو برونو أُحرق (سنة ١٦٠٠) لأنه قال بوحدة الوجود
وأن عالماً هذا يحتوي عوالم كثيرة... وأيضاً أصدر ديوان مجالس
التفتيش «المقدسة» على العالم الإيطالي «غاليليو غاليلي» الذي طوّر
نظرية «نيقولا كوبرنيكوس» وأثبت دوران الأرض حول الشمس
الحكم التالي:

الحكم على غاليليو

«بناء على ما بلغ المجمع المقدس من أنك تؤمن بصحة المذهب
الخاطئ (!) والقائل بأن الشمس مركز العالم - وبناء على أمر سيدنا
بولس الخامس (البابا في ذلك الحين) وأصحاب النيافة كرادلة
المحكمة العليا... يرى اللاهوتيون أصحاب الرأي والتصريف أن
القضيتين المتعلقةتين بسكون الشمس وحركة الأرض مناقضتان
للعقل (!) ومغلوطتان في اللاهوت... فالأولى هرطقة صريحة. والثانية

فيها خطأ من ناحية الإيمان. فنحن نقول ونلفظ ونحكم ونعلن: أنك أنت غاليليو المذكور أصبحت في نظر المجمع المقدس، محل شبهة قوية بالهرطقة، لاعتقادك وتمسكك بنظرية خاطئة ومناقضة للكتب الإلهية المقدسة. ونحن نأمر بمنع كتاب (محاولات غاليليو) بموجب مرسوم علني، ونحكم عليك بالسجن بالمدة التي نرى تحديدها... وبهذا المعنى كتبت الصحفية اللبنانية صاحبة القلم الجريء جمانه حداد: «ليست الكنيسة أقل تسامحا (يعني إجراما) من الإسلام، ولكن الكنيسة اكتشفت طرقات أكثر زيفاً ونفاقاً لمحاربة أولئك الذين يجرؤون على الوقوف بوجه سلطانها».

موت الشيطان الرجيم

الدكتور صادق جلال العظم يحملنا أن نتساءل معه في ما جاء في مؤلفاته... ترى لو أسلم الشيطان الرجيم هل نتابع تلاوة القرآن... «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»..؟

من الذي يكفل أن رجال الدين يسمحون للشيطان أن يسلم ويشهد... ومن هو الذي يؤكد أن رجالات الدين يرضون أو يقرون بتوبة الشيطان الرجيم... وهم الراسخون في علم المصلحة الخاصة... ترى الا يعلمون أن مهمتهم ستبطل ويصبحون عاطلين عن العمل، وخاصة العمل في بناء المساجد والكنائس والجوامع والمآذن، ووسيلة رواتبهم ومرابحهم ستنتهي مع نهاية شيطنة الشيطان، وأن مهنتهم ومراكز زعاماتهم الدينية الاجتماعية والسياسية القيادية ستنتهي وتبطل يوم يتوب أو يموت الشيطان الرجيم، حيث تنتهي مع موت

الشیطان الأعیاد الدینیة الموروثة من عصور وثنیة النمرود بن کنعان
وقبل أيام جاهلیة کهان الیمامة...

ترى ألا یعلم هؤلاء الراسخون فی علم التخیوف بنار جهنم
والمخدرین للبطاء الطیبین بوعود بجنات تجری فیها الأنهار، وتسبح
الحوریات عاریات وتمطر لهم السماء عسلا وزبدة... ألا یعلمون أنهم
إذا تاب أو مات الشیطان وأتباعه سیصبح رجال الدین، «مجموعات
عاطلة عن العمل وعن قبض الرواتب وإدارة الأوقاف الغنیة».. إلخ.

مسیح الأمم

تعالم السید المسیح فسروها وأولوها لصالح ومصالح الكهنوت
وأصحاب السلطة والثروة... كانوا وما زالوا یدعون للإیمان المطلق
مستعینین بكلام السید المسیح (متی أصحاب ۱۷) الذي یقول: «فالحق
أقول لكم لو كان لكم إیمان مثل حبة خردل لکنتم تقولون لهذا الجبل
انتقل من هنا إلى هنالك فینتقل ولا یكون شیء غیر ممکن لديکم».

وصیة السید المسیح بالإیمان تصلح لكل آن وزمان ومكان، ولكن
مع تفسیر معناها تفسیرا عقلانيا وليس تفسیرا دینیا تخدیریا ومصالحیا..
السید المسیح أوصی أن یكون عندك إیمان ولو بحجم حبة الخردل...
إیمان بماذا...؟ إیمان بالله... والله حق... والحق هو العقل... ولو
راجعتم عقلکم ایها المبشرون...! هذا إذا كان لديکم مقدار حبة خردل
منه...! لوجدتم أن الدین آمنوا بقدرة العقل أنجزوا ربما مئات المرات
هذه الأعجوبة التي نوه بذكرها السید المسیح... هذه الآلات التي

اخترعها العقل طالما نقلت الجبال وحولت السهول جبالا والجبال سهولا، وشقت البر فتم لقاء مياه المتوسط مع الأحمر ومياه الباسفيك مع الأطلنتيك، (ولما كانت العجلة من الشيطان فإن إنجازات العقل كانت بمدة أطول من إنجاز أعجوبة موسى بفتح البحر)... وهنا علينا أن ندعوا إلى الإيمان المطلق بقدرة العقل... الإيمان الحقيقي هو الإيمان بسيادة العقل... العقل سيد الدنيا والآخرة أيضاً...! العقل الذي هو على كل شيء قدير وهو الذي أوصل الإنسان إلى عصرنا العلمي الحاضر - عصر الاكتشافات العلمية الباهرة العجيبة - عصر الرحلات وتنقل الإنسان (يشم الهواء) على سطح الكواكب الدائرة مع كوكبنا الأرضي حول الشمس... العقل الذي تستعملون منجزاته كل ساعة وكل يوم في منازلكم ومعاملكم وحقولكم... (ويقول هيغل) كل ما هو واقعي هو عقلي، وكلما هو عقلي فهو واقعي... ويقول شاعر العقل أبو العلاء المعري:

أيها الغر إن خصصت بعقل فاسألنه فكل عقل نبئ

ويقول أحد شعراء المهجر البرازيلي:

هو المرء قبل العقل أعجز عاجز ولكنه بالعقل أغلب غالب

- وجاء في إحدى رسائل الحكمة الدرزية: «الواجب على المرء

العاقل، والإنسان الفاضل أن يكون بعقله المميز لنفسه ناصحاً...

فالعقل أبداع من نور القوة السرمدية... والعقل هو ذلك النور القائم في

كل زمان ووقت وأوان... العقل: أبداع لنا نورا شعشعانيا وجعله

عنصرًا لانبعثت العلوم الحقيقية، وإنشاء الصور الإنسانية. فهو العقل الكلي والسابق الأول، ذو البدايات والنهايات. منه انبعثت الأشياء واليه تعود الأشياء... والمعلومات الإلهية لا توجد معرفتها إلا بالعقل».

وقال الفيلسوف طاليس: العقل يلغي الأسطورة لأنه يستقي من الطبيعة مرتكزاته - وهكذا قال العقل (عبارة كان يرددتها الفيلسوف زينون).

ما من إيمان... أي إيمان عادي، أو سطحي، أو متعام، إلا وتحتته كفر، وما من كفر... أي كفر كان، إلا وتحتته إيمان حقيقي (من كلمات الحسين بن منصور الملقب بالحلاج).

وقال بديع الزمان الهمذاني: لو انتقدتم لأبطلتم ما اعتقدتم.

البراهمة والرسل الأنبياء

قال البراهمة عن استحالة النبوءات: «إن الذي يأتي به الرسل لا يخلو من أحد أمرين!! وأما أن يكون معقولا وإما أن لا يكون معقولا... فإذا كان معقولا فقد كفانا العقل التام إدراكه والوصول إليه، فأبي حاجة لنا بالرسل...؟ وإذا لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا».

وأجابوا النبي محمد بقولهم:

«إذا كان القرآن موافقا للعقل، غنينا بالعقل عن دعوته، وإذا كان مخالفا للعقل فقد يسقط الإقرار بنبوءته».

الإله الحقيقي للهند

في كتب الهند المقدسة نقرأ ما يلي:

«الإله الحقيقي هو غير إله المعابد... إنه لا يوصف، ولا ينعت، ولا يسمّى... لأن من سماه نعتة، ومن نعتة فقد وصفه، ومن وصفه فقد حدّده، ومن حدّده ادعى إدراكه... فاستوجب العقاب».

كلمات لمسيح الأمم

- «من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً» (متى اصحاح ٢٠).

- «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون» (متى اصحاح ٥).

- «لا تقاوموا الشر بالشر» (متى ٥).

- «من يفعل السيئات يبغض النور» (يوحنا ٣).

- «إحترزوا من الأنبياء الذين يأتوكم بثياب الحملان» (متى ٧).

- «السبت جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت» (مرقص ٢).

- «إحذروا الكتبة الذين يرغبون المشي بالطيالة ويحيون التحيات في الأسواق والمجالس (...). والذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلة يطيلون الصلاة، هؤلاء يأخذون دينونة أعظم» (لوقا ٢٠).

- «مكتوب بيت أبي للصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (متى ٢١).

هل يمكن أن نبقى مؤمنين ومصدين للأعاجيب التوراتية غير المعقولة التي ينسبونها للسيد المسيح؟ ونؤمن أن عيسى كانت تعاليمه ضد العدالة وضد أكتشافات العقل العلمية..؟، وأنه كان يتكلم وهو في الرحم؟، ويترك أولاد ازقة إسرائيل وجندرمة بيلاطوس البنطي يصلبوه ويجلدوه ويعذبوه وهو ابن الله..؟ أو كما يقول آخرون أنه هو الله نفسه وهو على كل شيء قدير..؟

السيد المسيح (وكلمة المسيح «مسيًا» - تعني الهادي) لم يكن بحاجة إلى قصص خرافات وأساطير غير المعقولة كي يقدس إسمه، ويكفي قراءة تعاليمه وتوصياته ونصائحه التي بانث أنها لصقل النفس وتكوين مجتمع إنساني خال من الجور والظلم والأطماع والحسد والحروب والإجرام... تكفي هذه كي يقدس اسمه ويصبح كما تدعوه حكمة الدروز «مسيح الأمم» - أو كما يشرح عنه النابغة جبران خليل جبران في كتابه «يسوع ابن الإنسان»... إنه أمثلة الفداء لهداية البشرية للخير والفضيلة... أما زرع قصص الأعاجيب الضخمة المفخمة اللامعقولة، وتنظيم رهبة طقوسها، وتعيين تاريخ مناسبات أعيادها، والقول أنه الله القادر على كل شيء ويبقى تسعة أشهر في بطن أمه... هذه الأساطير لا تزيد اسم يسوع المسيح قيمة وقداسة... هذا لأنها أعاجيب مناسبات لجمع ثروات الحسنات، وتستعمل لتغطية حكايا الأساطير التوراتية الضخمة الأكاذيب التي سبقتها، وتحميها من الفضيحة... كما أنها تساعد على استمرارية تنويم عقول الناشئة، وتكون حاجزا لمنع عولمة العلمنة... وإشادة الأهمية العلمية... وعلى الرغم من قول يسوع الناصري (متى الأصحاح السادس) «لا يقدر

أحد أن يخدم سيدين. لأنه أما أن يبغض الواحد ويحب الآخر. لا تقدر أن تخدموا الله والمال... وهذا أيضاً يفضح تصرفات المتدينين في جمع المال، ولا يتفق وثروات الفاتيكان المقدسة والمنتشرة في أصقاع المعموره... ولا تتفق هذه الثروة مع دخول الجمل العملاق إلى سم (خرم) الإبرة الضيق...!!

ثروة الفاتيكان

للفاتيكان في الكرة الأرضية مليون ملكية... وقيمة هذه الممتلكات ترليونين من النقد الذهبي. والترليون هو بليون بليون (المعذرة من القراء فأنا لست خبيراً بالماتيماتكا بمثل هذه الأرقام كي أفسرها لكم) والذي أعرفه نقلا عن المجلة أن نصف هذه الممتلكات هي في إيطاليا... وللفاتيكان في العالم مائة وخمسة وعشرين ألف (١٢٥٠٠٠) مستشفى ومركز صحي، وطبعا هذه المؤسسات الصحية ليست لتقديم الخدمات المجانية للمرضى المعوزين بل هي لجنى الأرباح... وأيضاً للفاتيكان مائتي وستة آلاف وتسعمائة وإثني وثمانين (٢٠٦٩٨٢) مركزاً للتعليم الكاثوليكي، وفيها أكثر من ٥٣ مليون تلميذ^(١).

(١) هذه الأرقام نقلاً عن مجلة الفاجه VEJA أوسع المجلات البرازيلية الإسبوعية إنتشاراً - عدد ٢٣١٢ تاريخ ١٣/ اذار/ ٢٠١٣.

يسوع:

يا قائلًا لا تعبدوا ربين هذا ال
يا قائلًا لا تكذبوا، لا تسرقوا
لا تجعلوا يسراكم تدري بما
وللاعينكم باركوا، ولمبغضيكم
وإذا لطمتم لا تردوا لا طما
يا قائلًا هذا وذلك كله
مال لا تمسوا له عبادا
لا تغضبوا، لا تحملوا أحقادا
يمناكم تعطي الوري إنجادا
أحسنوا، ولمن مضوا حسادا
حتى يكون اللطم منه معادا
الزرع ما أعطى المراد حصاد

(للشاعر المهجري ميشال مغربي - سان باولو - البرازيل - حمص

أصلاً)

لو عاد المسيح...

- لو عاد السيد المسيح وشاهد ما يقوم به الفريسيون اليوم لإضطر
أن يصلب نفسه على يدهم مرة أخرى للدفاع عن المباديء التي
صلب من أجلها في المرة الماضية (فرح أنطون).

- المسيحية في حالتها الحاضرة... عدوة المسيح (الريحاني).

فيدل كاسترو والحبر الأعظم

سنة ١٩٩٨ عندما زار قداسة البابا جوان الثاني بلاد كوبا، استقبله
الزعيم الكوبي فيدل كاسترو استقبالا حارا وكرمه تكريما لائقا بشخصه
الكريم، وقال له: «أنا معجب بكم ومقدّر لكم تصريحكم الجريء،
عن غاليلاو وعن أخطاء مجالس التفتيش، وعن إهراق الدماء في

الحروب الصليبية، وعن الجرائم التي إرتكبها الفاتحون في قارتنا
الأميركية»...

العالم المادي

لا يوجد شيء ثابت... العالم كله وكافة عناصره فريسة التطور...
القديم يموت والجديد يولد وينشأ، دائماً في كل مكان، فليس هناك
من جواهر دائمة، ولا من مبادئ خالدة... إن التي تبقى وحدها دائماً
خالدة في الحركة الكونية هي المادة، ومن حيث هي مادة تلد قوانين
تحولاتها ويقول العالم نورباخ: إن تاريخ العالم ليس على أنه مظهر
من مظاهر تطوير العقل والروح كما قال هيغل بل انه مظهر من تطور
المادة... والمذهب المادي يرى أن العالم المادي هو وحده العالم
الحقيقي... والعقل ليس إلا إنتاجاً لعضو مادي هو الدماغ.

وكتب الدكتور باسل فرحات: القديم يحتضر، والجديد لم يولد
بعد... وفي هذا الفصل، فصل الصراع بين القديم والجديد تظهر
أعراض جيدة وسيئة، كثيرة وعظيمة في تنوعها... ولكن الخلود دائماً
للأفضل والأنسب والمفيد.

محمد النبي الإنسان

(إذا ما تشجعنا وفتحنا ورشة التفكير في محمد والقرآن لكسر تحريم النقاش الحر، فإننا سنبقى ندور حول أنفسنا كبغل الطاحون المعصوب العينين... إن معرفة شخصية محمد النفسية على ضوء العلوم المعاصرة، خاصة علوم النفس، جعل القرآن، لأول مرة، قابلاً للفهم.

(كتاب محمد الإيمان ومحمد التاريخ - دار الجمل)

كان محمد الرسول رائد ثورة هدفها التجديد والانطلاق بالإنسان إلى آفاق زمنية سباقه... توحد أولاً طاقات الفروسية الشجاعة الصبورة الجبارة للإشقاء العدنانين وأبناء عمهم القحطانيين. فتنتشلهم من الصحارى العطشى للماء وللحضارة، والمنسية من التاريخ... والتي كانت تهيمن على عقولها البدائية تعاويد كهنة الأصنام الحجرية... لتنقلهم إلى مجتمع جديد... حدوده ما تصل إليه نغمات إقرأ وحي على الفلاح، وتطاله سيوفهم من أمصار وأقطار هي جنات تجري فيها الأنهار، وتتفجر من سهولها وجبالها ووديانها ينابيع الخيرات، وتمطر سماؤها عسلاً ولبناً... ولما كانت فرسان ذلك الزمان، قوية وشجاعة صبورة، وعلى أهبة المغامرة وتحدي مستقبل المصير... وكان ذكائها البدوي الفطري يدفعها لقبول التغيير. فقد استجابت لصوت وتعاليم

وتشريعات النبي الرائد... سيما وكان تواضعه الريادي وآيات قرآنه
البيانية تبعث في عقول عوالم شبه الجزيرة العربية سحر الوعي،
وكانت غرسات التشريعات الأعدل والأسمى من جميع تشريعات تلك
الأزمنة تأخذ بلب جماهير تلك القبائل البدائية، فيهرع أفرادها
وجماعاتها الي صفوف المتفانين في إرساء الرسالة الجديدة، والى
فرق المقاتلين للدفاع عنها، ونشر أعلامها، وزرع تعاليمها الدينية
البديلة عن تعاليم جاهلية العبودية والربا وديانة الأصنام وتقديس
اللات والعزى... العقائد الدينية التي كانت تدغدغ أفكار بدو الصحراء
يومها عن وجود إله واحد، كانت مكتسبة من أحبار المسيحيين
الأثيوبيين والنسطوريين ومن تراث نصوص توراة اليهود وحاخاماتهم
العنصريين المنتشرين بين الحبشة واليمن وخيبر الشمال الصحراوي...
لهذا نرى العقل العربي القديم نما وشب وتعلم، وتقبل تعاليم الرسول
العظيم، متأثرا بموروثات أحبار النصارى ومزيجها مع معتقدات بني
إسرائيل، وتعاليم انبياء اليهود الأسطوريين، وحكايات أبطالهم
الخيالية وقصص توراتهم اللاعقلانية.

محمد التاريخ

محمد^(١) أعظم رجل عرفه التاريخ... لقد أحدث في البشرية أعظم
انقلاب في عالم الدين والسياسة والاجتماع. وقد أوجد هذا الانقلاب
نهضة عربية المبتدأ، عالمية المنتهى، بدلت مجرى الحياة الإنسانية،
وحولتها إلى ما هو أعلى مما كانت عليه قبلها، حتى أن أثارها في

(١) معروف الرصافي - كتاب الشخصية المحمدية - صفحة ١٦ منشورات دار الجمل).

القليل من الزمن عمت الشرق والغرب، ولم تنزل أثارها باقية إلى يومنا هذا، وستبقى إلى ما شاء الله.. تلك الشخصية العظيمة التي يمثلها شخص محمد بن عبدالله، قد إجتمع فيها من عناصر الكمال البشري ما لم يعرف التاريخ اجتماعه في أحد قبله... عزم لا يرده راد، وتفكير عميق الغور بعيد المرمى، وخيال واسع قوي يكاد يقاوم الحقيقة بقوته، وطموح إلى العلى لا يعلو عليه طموح.

- «إن الجنة خلف هذا الجبين إحفظه يا أبا طالب من عيون الشامتين» (كلمات الراهب بحيرة).

الرسول الهادي المتشرع:

- «محمد فيلسوف وخطيب ورسول ومتشرع وهادي الإنسان إلى العقل، وناشر العقائد المعقولة والموافقة للذهن واللب، منشيء عشرين دولة على الأرض، وفتاح دولة روحية في السماء... فأى رجل أدرك من العظمة الإنسانية ما أدركه، وأي إنسان بلغ من الكمال مثلما بلغ» (من كلمات الشاعر الفرنسي الفونسو لامرتين).

النبي والمصلح الديني:

- «قليلون هم الرجال الذين أحدثوا في تاريخ البشرية الأثر العميق الدائم الذي أحدثه محمد... لقد حقق محمد النجاح الذي لم ينله مثله لا نبي ولا مصلح ديني في أي زمن من الأزمنة» (الموسوعة البريطانية المترجمة للبرتغالية - موسوعة ميرادور).

أعظم عظماء التاريخ:

- «إن محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ» (الكاتب الأميركي ويل دورانت، كتاب قصة الحضارة).

منقذ البشرية:

- «إن محمدا يجب أن يدعى منقذ البشرية... ، إنني أعتقد أنه لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة... إن محمدا هو أكمل البشر من الغابرين والحاضرين ولا يتصور وجود مثله في اللاحق» (كلمات برنرد شو).

ذاكرة محمد:

كانت أعظم ذاكرة عقلية لإنسان مر على غبراء الكرة الأرضية... لقد قرأ... أو قرأوا له... كتب الأولين، فبقيت بذاكرته. فكان يستشهد بتوراة اليهود وأنجيل النصارى عند كل حادثة.

قال الشاعر القروي:

بدا من القفر نوراً للورى وهدى فيا تمدن عمّ الكون من بدوي
وقال الشاعر المهجري حسني غراب (حمص - أصلاً):
لله درك يا ابن عبد الله كم أسبغت من فضل على الصحراء
حليت بالإيمان عطر جيدها وغمرت حالك ليلها بضياء
ورفعت للإسلام فيها دولة بسطت جناحيها على الغبراء
واليوم ضيّع أضيّع الأبناء ما ورثوه من شرف من الآباء

المهمة الصعبة:

كانت جاهلية العرب كجاهلية شعوب تلك الأزمنة السالفة. مجتمع غباوة وأمية ورعاة في بادية قاحلة... قبائل متنافرة متقاتلة غازية بعضها بعضا، متغنية بأمجاد همجية، ومفاخرة بتقاليد جاهلية... هادرة بطولاتها وراء ثارات دموية نزقة طائشة، أو لأجل منازعات قبلية بلهاء ساذجة. تمارس عادات شرسة كواد البنات، وتقديس الحجر، وغزوات دماء واعتداءات غاشمة... وحدثت الأعجوبة... أعجوبة الإنسان النبي والنبي الإنسان محمد بن عبد الله... وكأنما فاصل الزمن بين إطلالة الوعي وغياب الجهل شبيه بالفاصل الزمني بين إطلالة نهار وزوال ليل، فكان الحدث وكأنه أعجوبة سماوية... وبعدها أخذ فجر هذا الوعي ينبعث منه قرآناً مبيناً، وشمس المعرفة تشرق من حديثه وتشع من كلماته أنواراً للعقول الجاهلة. وغدت الآيات البينات صوت الناس الحقيقي، كما يقول المثل الشعبي البرازيلي... «صوت الشعب هو صوت الرب»... ونظراً لمورثات العقائد الدينية القديمة في العقول البدائية، فقد أنزل في القرآن الكثير من الأمثال والقصص التوراتية والإنجيلية. كقصص نوح وإبراهيم ويوسف وموسى ويشوع وسليمان إلخ... وفسّر الراسخون في العلم هذه الآيات أصدق تفسير إذ قالوا: انها جاءت للإستشهاد وليست للاعتقاد... للنقل وليست للعقل... للتسلية وليست للتوعية... للتخويف وليست للتصنيف... وبرهانا على هذا التفسير فقد جاء في القرآن «هو الذي أنزل عليك

الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشبهات فأما الذين في قلوبهن زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم» (آل عمران ٧).

- «وما نرسل الآيات إلا تخويفا» (الإسراء ٥٩).

- «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» (العنكبوت ٤٣).

- «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله من الغافلين» (يوسف ٣).

وكان الرسول المتواضع يقول: أنا إنسان مثلكم... أنا ابن امرأة كانت تأكل القد... أنا لا آمركم ولا أصنع المعجزات السحرية... أنا رسول أبلغكم بما يوحى إليّ... ولا من يوحى إليه إلا العقل الجبار الذي هو بداية كل نورانية تطور إنساني... فكانت أحاديث الرسول الشريفة وآيات قرآنه الكريمة تثير مخزّنات ذكاء الفطرة في ذهنية البدوي الصحراوي الذي لم يكن يعرف من واجبات الحياة إلا الغزو والثأر، والسيف والرمح، والخيل والبيداء، والمبارزة ونظم الأشعار، والضيافة وتقديس الأصنام

دين السلام والتطور

الدين المحمدي الجديد كان روح تغيير جديدة مع المستضعفين
و ضد المستكبرين... وكانت بداية تعاليمه زرع روح التآخي بين
الإنسان وأخيه الإنسان جبرا لا اختيارا حيث يقول: «الإنسان أخ
الإنسان أحب أم كره»... ويفرض الوعي العقلاني على المؤمنين حيث
يضع عنوانا لرسالته كلمة «اقرأ» والفريضة الأولى هي «العلم فريضة
على كل مسلم ومسلمة» والنداء الأول هو نداء العمل والإنتاج «حيّ
على الفلاح»... وتزاحمت الآيات البيّنات دافعة مسيرة الإنسان نحو
الأفضل والأرغد، وبدت تعاليم الإسلام موجهة بدقة لإحلال السلام.
لهذا أقر الشهر الحرام، فكان هذا الشهر نداءً إلى تحريم حمل
السلاح، وتحريم القتال وإهراق الدماء... أي إقرار السلام بين الناس
لبعض الوقت طالما هم عاجزون عن إقراره في كل الأوقات، فتنوفر
لهم الفرص للتفاوض والمحادثات لإحلال السلام الدائم، وتبان
الفروقات بين طمأنينة شهر السلام وويلات أشهر الحرب... وفي أيامنا
الحالية يكتب أحد الكتاب: «هل يذكر أو يتذكر المبشرون والفقهاء
المسلمون أن الشهر الحرام هو نداء للحضارة الإنسانية وصوتها
الداعي إلى إحلال السلام العالمي..؟ وهل يدرك القادة الكبار أن

الإنسانية جمعاء بحاجة ان تتبنى دستوراً علمانياً إنسانياً يعمل بالتوجيه الواعي الهادف وبالتخطيط العلمي المعاصر لخدمة المجتمع وازدهار وتطور حياة الإنسان في ضلال الأمن والسلام الدائمين.؟ بعيداً عن الإكراه والإرهاب والديماغوجية والاحتكار وزرع مخدرات الأساطير في مخوخ الأجيال الصاعدة؟ وللتاريخ نسجل أنه لا يوجد مستحيل أمام الوعي العقلاني... والمستحيل هو فقط امتياز للنائمين على بساط الإتكالية، وداخل خيام الجاهلية.

الآيات البيّنات والإيمان

«ولست أبالي أن يقال محمد أبلّ أم إكتضت عليه المآثم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم»
(الإمام محمد عبده)

الآيات البيّنات المحكمّات، هي قواعد عملية موجهة للمؤمنين. منها نستقي المعرفة... لكن التأويلات الأنانية للفقهاء المجتهدين بتفسير هذه الآيات تُبعد الطلاب المبتدئين وكبار العارفين عن الاهتمام بها... إن الثورة العلمية المعاصرة أوصلتنا ما أوصلتنا إليه من تفجر معارفي، فأصبح بإمكاننا أن نستنتج بالمنطق نظام الأحداث... وكلما ازدادت معلوماتنا واتسع وعينا العقلاني ازدادت مقدرتنا على استنتاجات أصح وأكثر موضوعية، وعلى إنجازات أفيد للمجتمع والأفراد... وعقلية إنسان القرن الواحد والعشرين المتطورة المعاصرة، لا تقبل الإيمان الأعمى باقوال الفقهاء وارشاداتهم المخدرة وتأويلاتهم للآيات القرآنية، وتزويرهم للأحاديث النبوية... لا تقبل

ولا تنقل ولا تكتب التأويلات لهذه الآيات ولا تقر بتحريفها من أجل مصالح انانية أو كراسي سياسية... هذه الآيات لا يعلم تفسيرها إلا الله والراسخون في العلم... ولما كان الله بعد ما كلم موسى ورفاقه أنبياء إسرائيل...!! قد قطع خطوط الاتصال «بأبناء آدم»، فإن تفسيرات هذه الآيات تبقى على عاتق أولي الألباب الراسخون في العلم... والعلم هو معرفة الأشياء بحقائقها.

وليكن لنا جولة مع بعض الآيات البيّنات المحكّمات (مستأذنين من صديقنا واستاذنا العالم الدكتور باسل فرحات دخولنا إلى ميدان الحوار معه (حسب ما اعتدنا عليه) لتفسير وتحليل وفهم وإفهام رسالة النبي العربي الكريم، وتفسير ما تيسّر تفسيره، ضمن إمكانية وعينا العقلاني المكتسب وليس بدافع الإيمان العمياني الموروث.

باسل فرحات

الدكتور باسل فرحات: من مواليد انطاكية المسلوخة عن الوطن السوري الأم... بعد تتركها، تركها إلى حلب... هناك تنافر مع وظيفة في الدولة حيث لا حرية حوار بين الأمر والمأمور والرئيس المرؤوس، فهاجر إلى سان باولو - البرازيل سنة ١٩٤٧ - وما زال لليوم في عمره الطويل (٩٣ سنة)، يحمل شهادة المحاماة، ويقوم بجولات طويلة وأبحاث عميقة لتحديد وتفسير الآيات البيّنات، ولطالما طال حوارنا معه، وكان بعقلية العالم ورحابة عقلانيته ومودة صداقته وأندفاعه لنشر الإفادة، يهرع لاجتماعاتنا الأدبية المهجرية

وندواتنا ويفيدنا بما تيسر لأبحاثه، حيث كان حصيلة حصاده العلمي،
لموضوعنا هذا المرجع الأغنى...

وقل رب زدني علماً

- قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إليّ (الكهف ١١٠) أنا إنسان
يوحي إليّ ويتقبل النور أي أنه إنسان عادي يتطور ويصيب
ويخطئ.

- وقل ربي زدني علماً (طه ١١٤) العلم وهو أئمن ما في الوجود.
حتى الأنبياء الذين يقولون أنهم يعرفون علم الماضي والحاضر
والمستقبل يطلبون أن يزدادون علماً ومعرفة.

- ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون (المؤمنون ٣٤)
المعنى أطيعوا القانون وليس الفرد.

- إنما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر ٢٨) - العلماء وحدهم
يفهمون معنى كلمة الله، ويعلمون أنه يتجلى في القوانين الطبيعية
التي يكتشفونها تدريجياً مع تراكم المعرفة. وبما أن المفكرين أي
الراسخين في العلم أم الفيزيائيين، مع اختلاف المكان والأزمان،
فإن آراءهم ستختلف باختلاف النظريات العلمية والاجتماعية
التي يتبنوها.

- لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي (البقرة ٢٥٦) المقدرة
على التمييز بين الرشد والغي مصدرها الوعي العقلاني والعلم
المعاصر.

- هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ (الزمر ٩).
- ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (الأنبياء ١٠٧) أي أن القرآن ما جاء للعرب أو للمسلمين فقط بل جاء للناس جميعاً.

البعض من الآيات ترافق تطور العصر

- وأحلّ البيع وحرم الربا (البقرة ٢٧٥).
- وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (البقرة ٢٧٩).
- لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم وشاورهم في الأمر.
- ومن قتل نفسا بغير نفس أو فسد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً.
- ولما بلغ أشده أتيناه حكما وعلما (يوسف ٢٢) يعني لا يجوز أن يستلم الحكم مراهق لا خبرة له (اللهم إلا إذا هرعوا للطريقة العربية السورية فيكبزون عمر البشار ليحل محل والده الأسد (وتاريخياً كما حلّ يزيد محل معاوية ودفنوا الشورى).
- فأما الزبد فيذهب جُفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض (الرعد ١٧) أي أن الأحكام العادلة البناءة التي جرت في عهد ذلك الحاكم العادل تبقى خالدة في تاريخ البلاد، والأحكام الرعناء الظالمة تذهب جُفاء.

- كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة (البقرة ٢٤٩) أقلية من أهل العلم المعاصر تتغلب على أكثرية جاهلة متخلفة).
- وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم (الأنفال ٦٠).
- وإن جنحوا للسلم فاجنح لها (الأنفال ٦١).
- قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين (لا سلطة وراثية).
- إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (الرعد ١١).
- ولا تستوي الحسنة ولا السيئة أدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة وكأنه وليُّ حميم (فصلت ٣٤).
- فاصبروا صبرا جميلا إنهم يرونه بعيدا ونراه قريباً (المعارج ٥ - ٦ - ٧).

الديمقراطية

- لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي (البقرة ٢٥٦).
- والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم (الشورى ٣٨).
- إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (النساء ٥٨).

- وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر(الكهف ٢٩).

- لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (البقرة ٢٨٦) يعني أن الله لا يتدخل في شؤون الناس، لذلك فليقم كل صاحب حاجة إلى حاجته، والإيمان لا يكفي بل يحتاج إلى معرفة.

- هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (الزمر ٩) يعني هل يستوي البصير والضرير؟

- وما جعل عليكم في الدين من حرج (الحج ٧٨).

- لكم دينكم ولي دين (الكافرون ٦).

- وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الأصح ما استطعت(هود ٨٨).

- وليس للإنسان إلا ما سعى.

المساواة بين الرجل والمرأة

- ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم (النساء ١٢٩) وتفسير هذا إلغاء الآية ٣ من سورة النساء التي تسمح بالزواج من أربعة.

- للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً (النساء ٧).

- نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهنّ (البقرة ١٨٧).

- ولهن مثل الذي عليهن (البقرة ٢٢٨).

- فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف (٢٣١).

- اصطفى البنات على البنين (الصفافات ١٥٣).

إلغاء العبودية

- ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله (آل عمران ٧٩).

- ما كان لنبي أن يكون له أسرى (الأنفال ٦٧)

- الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره (ليس سيده ولا عبده) - من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه (من خطبة الرسول يوم فتح مكة).

قانون العدالة

- إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (النساء ٥٨).

- يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها (النساء ١٩).

- وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا - فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم (المائدة ٤٨) فالله هو الحق، والحق من العقل الذي لا يحكم إلا بالعدل.

- ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا

الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتهم فأعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (الأنعام ١٥٢).

- وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يُغني عن الحق شيئاً (يونس ٣٦).

- علي مع الحق، يا أبا بكر، كفي وكف علي في العدل سواء (حديث للرسول).

- من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام (حديث شريف).

- أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر (حديث شريف).

- في استفتاء طرحه الفاتح الدموي هولاءكو على فقهاء بغداد بعد حريق مكاتبها وقطع رؤوس من صادفتهم سفار سيوف جنوده سائلاً؟: أيهما أفضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر؟ صمت الفقهاء ولكن فقيه الشيعة الإمامية ابن طاووس الحسيني أفتى على أن «السلطان الكافر العادل أفضل من السلطان المسلم الجائر» - الرسول نهى عن قتل العمال في جيش الأعداء... ويوم صادف فلاحاً عائداً من عمله ويده موحلتان تقدم منه وقبل يده... فتعجب مرافقوه وسألوه: لماذا تقبل اليد الموحلة؟ أجاب: الله يحب هذه اليد... اليد التي تعمل.

الإصلاح الزراعي

- إن الأرض يرثها عبادي الصالحون (الأنبياء ١٠٥).
- الأرض البوار لمن أحيّاها.
- ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (القصص ٥).
- وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبّوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين (الزمر ٧).

العلم

- العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (أي ان الإسلام لا يقبل الأميين ولكي تكون مسلما عليك أن تكون أما حاويا أو طالبا للعلم الذي هو فرض إجباري على المسلمين).
- أطلبوا العلم ولو في الصين (مهما كان بعيدا حتى ولو كان في الصين التي كانت يومها قبل تطوير المواصلات أبعد الأقطار).
- أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد (أي التخصص).
- ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد (سبأ ٨).
- إقرأ... وربك الأكرم - الذي علّم بالقلم - علّم الإنسان ما لم يعلم (العلق ٣ - ٥).
- ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وليّ ولا نصير (البقرة ١٢٠).

- يؤتى الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً (البقرة ٢٦٩).
- وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم (آل عمران ٧).
- وقل رب زدني علماً (طه ١١٤) هذا لأن العلم أثمر شيئا.
- العلماء هم ورثة الأنبياء (حديث شريف).
- كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالثة (أي الأمي الجاهل) فتهلك (حديث شريف).
- قليل من العمل مع العلم كثير، وكثير من العمل مع الجهل قليل (حديث شريف).
- لغدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مئة غزوة (حديث شريف).
- من مات وميراثه الأقلام والمحابر دخل الجنة (حديث شريف).
- كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (هود ١).

الشك

- وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي (البقرة ٢٦٠) فالذي لا يشك لا يبحث والذي لا يبحث لا يصل للحقيقة.
- الشك نبراس اليقين.
- الرسول رفض الإيمان بقدرة القدر بكسوف الشمس يوم موت ابنه إبراهيم وأجاب الناس الذين شيعوا أن الشمس كسفت حدادا

على موت ابن النبي وقال: «الشمس والقمر آياتان من آيات الله لا ينخسفان لموت إنسان أو لحياته».

المعاصرة

- ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها (البقرة ١٠٦).
- قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين - قال لقد كنتم أنتم وأبائكم في ضلال مبين (الأنبياء ٥٣ و ٥٤).
- لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (المائدة ٤٨).
- إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (الرعد ١١).
- قل كل يعمل على شاكلته (الإسراء ٨٤).
- وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً (يونس ٣٦).
- من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم لا يبخسون (هود ١٥).
- وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون (التوبة ١٠٥).
- أني لا أضيع عمل عامل منكم ذكر أم أنثى (آل عمران ١٩٥).

تعليق مختصر

هذا بعض من الآيات البيئات المحكمات، وما تبقى من الآيات فهي أما قواعد اجتماعية تشريعية لتنظيم المجتمع، وحاجاته المتغيرة

باستمرار، إذ لكل «جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً» (المائدة ٤٨) وأما «نحن نقص عليك أحسن القصص» (يوسف ٣) أو «أمثالاً نضربها للناس ولا يعقلها إلا العالمون» (العنكبوت ٤٣) أو «ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد» (هود ١٠٠) ذلك «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة» (يوسف ١١١)... وهي كلها موجهة لأهل الكلام وأهل البيان والعرفان تأييداً للآيات البينات المحكمات والمتشابهات.

يستنتج من هذا أن على علماء العرب المنتشرين في اصقاع العالم، وهم نسبياً كثرة، ولكنهم كالخلايا الطليقة لا تشكل جسماً ولا جهازاً حياً عاملاً. عليهم أن يتنادوا ويخططوا نهجاً لما نحن بحاجة إليه... وهو نقل العرب من حالة التخلف والجمود... من حالة مستهلكين لمدينة مستوردة ومفروضة إلى حالة تطور متسارعة وإبداع مدنية تضعهم من جديد في طليعة العالم حضارة ومكانة... وهذا ليس بحلم طوباوي لأن «النصر للمخططين إذا خططوا» فينقلون المجتمع من مرحلة التخطيط إلى التفاعل والتنفيذ. «وإذا عزمتم فنقذ» ولنا بإسرائيل العدو، الصغيرة، المزعومة، والمنتصرة على مجموعة دولنا، (ومعها الكبرى والعظمى) أقرب مثل... صاحب الفكر الوحدوي المناضل ساطع الحصري كتب: «العامل الثقافي واللغوي والشعوري لا العامل الديني هو أبرز عوامل تكوين القومية العربية... إن دولة الوحدة العربية لا بد أن تكون علمانية تفصل الدين عن الدولة».

وكتب الباحث اللبناني هادي العلي كتابه «فصول من الإسلام السياسي»: القرآن، روعيت في صياغة آياته ميول العرب الجاهليين الأدبية مع تفرد بلاغي أريد به أن يكون من دلائل النبوة.

وكتب الأمير شكيب أرسلان في كتابه لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم: «جاء العلماء المتزلفون لأولئك الأمراء، المتقلبون في نعمائهم، وأفتوا لهم بجواز قتل ذلك الناصح بحجة انه شق عصا الطاعة، وخرج من الجماعة».

«ومن أكبر أسباب تقهقر المسلمين فساد أخلاق أمرائهم. لقد ظن هؤلاء أن الأمة خلقت لهم، يفعلون بها ما يشاؤون...!» (المصدر السابق).

العدو الأكبر

يوم البارحة... وما أبعد البارحة وما أقربها... ناداني جارنا العجوز، وهو فرد من عجائز زمان جاهلينا المعاصرة، والخبير في أخبار الفرسان القدامى، وزوجته المطيعة، كي أشاركهما في شراب «قرعة المتي»؛ وما أن جلست حتى أخذ يحدثني بقوله: لا عدو للإنسان الا الشيطان الرجيم لعنه الله في كل مكان وزمان... هذا الشيطان اللثيم يهاجم الإنسان باشكال مختلفة... أحياناً بشكل وحش مخيف وحيناً بشكل حية رقطاع، وأيضاً بشكل خيال منظور أو غير منظور لأحد فرسان الجان. فيشل حركة المرء المضروب ويجرحه أو يضربه على «بوزه» فيصبح أعلى سقف حلقه أسفله وأسفل حلقه أعلى من أذنيه... ألم تسمع خبرية ما فعله مع عمنا المرحوم أبو فرهود؟ الذي داس على رقبة فرخ الجان الذي كان نائماً في كعب الدرج بخيال غير منظور... حينها انتفض فرخ الجان وصفح (سمط) العجوز أبو فرهود كفاً مهولاً ايقظ صدهاء جميع الجيران، «فلوق» نيعه طيلة سنتين وأكثر ولم يشفَ ويعود إلى حالته الطبيعية الا بعد «رقوة» جارتنا أم محمد رحمها الله.

سمعت هذا التعريف من جيراننا الأعزاء، أبو فرهود وزوجته، عن

العدو الأكبر للإنسان، فتذكرت وذكرت لهما، أنني قرأت قبلها بيومين في إحدى الصحف مقالا عن مرض السرطان أنه هو العدو الأكبر للجنس البشري، وأن العلماء يوجهون كل اهتمام لاكتشاف الدواء الشافي لإنقاذ العالم منه... ضحك الجار العجوز المجرب من الأيام، وقال لي: «حط عقلك براسك يا جار... السرطان قد ما يكون قوي وكبير ما هو أقوى ولا أكبر من الشيطان الرجيم»..! الشيطان لعنه الله.. واردف بحماس: قل معي لعنة الله على الشيطان الرجيم. وإرضاء للجار استغيت الشيطان ولعنته...!

وتابع أبو فرهود... وهذا الشيطان هو أشد خطرا وأعظم عداوة للناس من السرطان الذي قرأت عنه..! ولا يخفك أن كل ما يقوم به هذا الشيطان الرجيم من مهالك وويلات للناس هي بإرادة الله تعالى كي يمتحن عباده، أي عبده...!

هذا ما سمعته من الجار. هو ان الشيطان الذي نعرفه بالخيال والأحلام وقصص القيل والقال هو العدو الأكبر، وكل ما يقوم به من أعمال شريرة ضد الإنسان والمكان والزمان هو أيضا بإرادة الله تعالى...!! أما السرطان الذي نشعر به أنه داخل أعضاء جسدنا، يتغذى من لحمنا ويشرب من دمنا ويقضم حياتنا فهو العدو الأصغر...!

بركان الجهل

المطامع الفردية، وجشع الأنانية، ومصالحة الشعوذة الدينية، واسلاك القبلية الجاهلية، وتعاليم الإتكالية، وعود خيال الجنة

الرضوانية، والتفسيرات التخديرية، وجميع روابط الجهل هذه، انتفضت وقامت تشد بنا إلى الرجوع لوراء التاريخ، وتعرقل مسيرة انطلاقة الإنسان... وهبّ ثعالب السياسة وتجار الديانات يولولون ويفسّرون التعاليم المحمدية والمسيحية بما يتفق مع مصالح جيوبهم الإنتهازية، ويستنبطون القوانين الدينية المربحية فيحللون منها ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون... وبعد إلغاء الشورى نزل المال إلى الساحة كي يشتري الضمائر تأييدا للسلطة... وأخذت قصص الغيبات تحرث في الرؤوس قدسية الطقوس لتزرع في العقول كل لا معقول^(١). وهبّ بركان الجهل يقذف حممه غربا وشرقا، تارة مطرانيا مسيحيا وطورا إفتاء فقيها إسلاميا... هودوا وصايا فريضة العلم وحلّلوا محرمات الربا، وصلبوا ابن الإنسان، وأقاموا المحاكم النيرونية التفتيشية على كل من يخالف وصاياهم، وستوا السيوف وغمقوا النطوع لجز رقاب كل من يتأفف من مظالمهم ويستنكر خرافاتهم وتعاليم فقهاءهم المبطنة بطعم الجهل والتخدير... ونظرا لكون نموذج العقل العربي البدوي الجاهلي ما زال حضوره قويا في وجداننا ورؤيانا العقلية، إلى يومنا هذا. فإن تعاليم التخدير والتنويم وجدت وتجد دائما لها مكانا دافئا في مجتمعاتنا...

الإسلام جعل من العلم فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة، ولكن الفقهاء حوروه وفسروه خصما للعلم... كثيرون من سلاطين

(١) الإسلام هو دين العمل لا دين الكسل، ولا هو دين الإتكالية على القدر (شكيب أرسلان).

المسلمين كانوا يتغنون بجهلهم العلم واقفال المدارس ، وابعاد المرأة خاصة عن كتاب التدريس ، وحجتهم بهذا أن النبي محمد كان أمياً فلا ضرورة العلم لأتباعه... وفي هذا الميدان - ميدان صراع الدين والعلم خسر الدين المعركة.. وقد نبّه النبي محمد لهذا الأمر عندما قال الآية الخالدة في الحث على العلم «رب زدني علماً»، وعن كتاب الدين (القرآن) الذي «لا يعرف تفسيره وتأويله إلا الله والراسخون في العلم»... ومنذ الماضي البعيد ولليوم والراسخون في العلم يحذرون من تحدي الدين للعلم... وكان ابن رشد(وهو من أولي الألباب وأحد فلاسفة العالم المنورين العظام) ينادي بالتوفيق بين الدين والفلسفة ويقول: «يجب التأويل لتطبيق الدين على العلم، لا لتطبيق العلم على الدين. وكل شيء في الدين لا يقبله العقل ولا يقره البرهان العلمي، يجب تأويله»... إن المبادئ الدينية المنزهة عن كل شائبة وتعاليمها الإنسانية ليست بحاجة لأن يدافع الأصوليون عنها...

أي متى يقطعون رأسك... هنا... وهناك

- إذا شهرت وأعلنت أنك لا تصدق حكاية آدم أنه جد الجنس البشري.

- ولا تؤمن أن البشرية متحدرة من نوح السكير وأولاده الثلاثة سام وحام ويافث.

- وأن لوط الذي أسكروه بناته، ما هو نبي... والذي فعله مع إبنتيه، ليس فعل انبياء، بل عمل سكارى فاسقين أردياء... وفعله هذا مكتسبا من قصص الجنس القديمة التاريخ.

- وأن إبراهيم الخليل، ليس خليل الله، بل شخصية اسطورية في الميتولوجية التوراتية. لم يثبت أي تاريخ علمي وجوده. فهو لا يتعدى أن يكون بطلا لقصة يهودية أو اسطورة عبرانية، وضعوها موضع القداسة، ككل أساطيرهم وقصصهم وحكايا أنبيائهم.
- وإذا قلت أن موسى ليس كلیم الله، ولا شق البحر بعصاه، وتاريخه وقصته ليست إلا حكاية ضخمة الأكاذيب.
- وأنت لا تصدق حكاية يشوع بن نون بأنه كان صديقا حميما لله تعالى وطلب منه أيقاف الشمس في قرص الفلك، فاستجاب الله طلبه وأوقف الشمس إكراماً له.
- ولا تصدق أن بغلة أي «كديشة» النبي بلعام نطقت نثرا أم شعرا وتكلمت بفصاحة عبرية نادرة..!
- وأنت ترفض أن تصلي وتسلم على رعاة المعزى اليهود الذين ندعوهم أنبياء، وتقول عندما تذكر اسمائهم عليهم السلام.
- وإذا صرحت أنك معجبا بفكرة المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن من عقول مجموعة علماء، وعلى رأسهم عقل النبي الإنسان، والعبقري العظيم محمد بن عبدالله، الذي استمد وعيه وعبقريته من هيولية العقل السرمدي الكلبي، أي من الطاقة المحركة للوجود - طاقة العقل التي ندعوها الله...
- وإذا نبهت وكتبت أن حبر الأحبار كان مكارا قهارا أعتنق الإسلام لغاية إدخال الإسرائيليات في صفحات نسخ قرآن عثمان بن عفان، عندها يقطعون رأسك بالثلاث.

- ويقطعون رأسك بتهمة الكفر إذا صرحت أنك لا تريد الذهاب إلى الجنة، وأنك بملء إرادتك تفضل جهنم الخالية من تشريعاتهم وأساطيرهم على جنتهم المليئة بالحكايا وقصص الغيب.

- ويقطعون رأسك بتهمة الإرهاب إذا عملت مع العاملين لانتشال حرية الإنسان وحقوق الإنسان من أقبية المباحث العميقة، ومن غياهب السجون «الثورية» الديمقراطية المزيفة المزورة، وسحب هذه الحرية من تحت جزمات العسكر والمخابرات الرهيبة.

- وإذا طالبت بفصل الدين عن السياسة... وعن التجارة.

- وإذا طالبت بتشريع الزواج المدني.

- وإذا ناديت بفصل اللقمة عن الطاعة.

- وإذا أعلنت أنك تؤمن بعلاقة اسم المرء بعد مماته مع منجزاته في سنوات حياته.

- وإذا دعيت لفصل الثقافة عن مواظب ببغاءات رجال الدين المدعّين بمعرفة الوجود وما وراء الوجود.

- وإذا أعلنت أنك لا تؤمن بالآخرة وجناتها التي تجري من تحتها الأنهار وحورياتها الصغار والكبار.

- وإذا عشقت أو تزوجت فتاة من غير دينك.

- وإذا تدّخلت في ما لا يعينك وأعلنت «أن أفيون الديانة المسيحية

اسمه القديس أوغستينو، وأن أفيون ديانة الإسلام يدعى الإمام الغزالي».

- وإذا رفضت رسالات وتشريعات الحكماء القديمة التي لا تتفق مع حاجات العصر ومستوى تطوره.

- وإذا توافقت على تفسيرات الدين وأعلنت «أن الأرض تدور».

- وإذا رددت قول أبي العلاء المعري «بأن الوجود في الكون الكبير هو الوجود أيضاً في الكون الصغير الذي هو الإنسان».

دين المحبة

أبني... دع جدل الديانات التي صدمت عقولا في الورى ونفوسا
إن شئت أن ترضي ضميرك فاتخذ دين المحبة هادياً وأنيسا
دين تدين به القلوب جميعها قبل المسيح وقبل مولد موسى

(من أشعار حليم دموس لبنان)

على أهل العلم، إفهام الإنسان وحمله على تصديق المعقول،
ونبذ قصص الخرافات وعقائد أصحاب المصالح والميول.

أيها المتدينون لا تتقاتلوا

«فالآلهة لما خلقت البشر، جعلت الموت لهم نصيباً، وحبست في أيديهم الحياة»

(ملحمة جلقامش)

- لا يوجد مستحيل على عقل الإنسان وعلى الإنسان العقلي.
- جسد الأمير لا يساوي أكثر من جسد الأجير

(بوذا)

- الندامة حبا بالغفران كالإحسان حبا بالشكران

(الريحاني)

- علينا التوجه إلى العقل شرقياً كان أم غربياً

(صادق جلال العظم)

يقول الإنسان المسلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له... ويقول الإنسان المسيحي: إله واحد أمين... وهذا يعني أنه يوجد فقط إله واحد للمسلمين وللمسيحيين... فلماذا كل هذا التنافر والخلاف والتقاتل بين أتباع الديانتين لتفضيل إله على آخر طالما أنه لا يوجد إلا إله واحد للجميع...؟ ويقول الكاتب الإنكليزي إدوار لين: «الدين يفرّق الشرقيين والخرافات تجمعهم».

رسالة تولوستوي

وفي رسالة للكاتب الروسي الشهير «تولوستوي» إلى الإمام محمد عبده، يقول فيها: أعتقد أنني لا أخطيء حين أعتقد أن الدين الذي أعتقده هو نفسه الدين الذي تعتقونه... فالأديان من حيث تعاليمها هي دين واحد ينشد الفضيلة ويوصي بالمساواة في الحقوق والواجبات.

يسوع المسلم

للشاعر الاغترابي نعمه قازان:

هو الإسلام تسليم وسلم ولم أر مسلماً إلا يسوعا
ولا بطلا رأيت ولا حساما تغلب مغمداً إلا يسوعا
لئن تهجر يسوع تكن عقوقا بأحمد فهو لم يهجر يسوعا
يهوذا باعه عدأً ونقداً ونحن نبيعه صيتا وسيعا

مزج الدين مع السياسة

مزج الدين مع دنيا السياسة مضر كل الضرر، وخصوصا في عصرنا - عصر تقدم العلم السياسي، وإبداله في بعض البلدان من خدمة الوطن إلي خدمة الجيب.

قال الإمام الرضا:

إني لأكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحق ذو الجهل فيفتتنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا

تقول الفلسفة البوذية: إن الشعور العقلي المنسجم هو السعادة

الحقيقية... ويقول أحد الخبراء في الدين والسياسة: إن التفوق والتعصب الديني الذي يوفر للبعض مراحاً دنيئة مثل كراسي الوظائف، ومجالس أحكام، ودشكات وجاهة^(١)... كل هذا سيتبخر في مجتمع الوعي والعمل والإنتاج... والجمع بين الدين والسياسة يضعف الدين ويعرضه لمطبات السياسة وأحاييلها... هذا لأن أطماع السياسيين وطموحاتهم الأنانية السلطوية تستهين بمكارم الأخلاق التي توصي الديانات باحترامها... فالسلطات الدينية تعمل بوصاياها وتعاليمها لترتيب حياة الآخرة، والدولة وسلطاتها وقوانينها تعمل لترتيب وتحسين وتأمين حياة الإنسان في هذه الدنيا، ولا لقاء بين السلطتين...

إذا وضعتم الدين في مواجهة العلمنة فإن الخسارة ستقع على الدين... العلم براهينه منظورة وملموسة، أما الدين براهينه خيالية... والإيمان بغير المعقول يؤول بالمجتمع إلى الأفول.

هدف الإنسان منذ بداية وجود وعيه هو البحث عن أصول الأشياء وأصلها، وهذه الحكمة وهذا الهدف الإنساني وجد مع الإنسان قبل مكالمة الله لموسى، وقبل تمييز شعب الله الخاص، وقبل إرسال ابن الله الوحيد لسكان الأرض، وأيضاً قبل هبوط الوحي وتكليف خاطر جبرائيل بالهبوط والصعود عشرات المرات يومياً من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء كي يبلغ الرسول وحي الآيات...!

(١) الدشك: مقعد الصدارة والوجاهة في المجالس القروية (كلمة فارسية تعني الفراش - المنجد).

وكتب شهيد العلم والعلماء كمال جنبلاط : إن أهمية الإنسان في الوجود هي التفتيش عن الحقيقة.

الإيمان عند بلهاء الباكستان

سنة ١٩٨٣ قامت شابة باكستانية شيعية «ملهمة»، من مدينة كراتشي، وجمعت حولها أعوانا وأتباعا، آمنوا ببركتها وصدقوا روايات أحلامها... «أن الإمام الحسين ظهر لها، وأكد على مسامعها أن مياه اليم ستنشقّ حتماً بفعل معجزة من عنده تعالى، وستكون طريق الحج (براً) إلى كربلاء سالكة سيراً على الأقدام عبر البصرة».

خطبت الشابة المؤمنة بين أتباعها فاستمعوها وقصت لهم حلمها فصدقوها، وطلبت منهم المسير إلى كربلاء فأمنوا بها وأيدوها، ونزلت مياه البحر، فنزلوا البحر ورائها وتبعوها، ولكنهم لحد هذا التاريخ لم يصلوا إلى كربلاء، لا ولم يعد إلى باكستان منهم مؤمناً واحدا...!!

الإيمان عند بلهاء الأميركيان

يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٧٩... في عصرنا الحالي... عصر الاكتشافات العلمية... عصر أمجاد (الولايات المتحدة) الدولة الأميركية في التطور والإزدهار والسباق الحضاري التقني... في هذا العصر بالذات وجدت قوات الأمن في غويانا الأنكليزية (أحدى الغويانات الثلاث - الأنكليزية - الهولندية - والفرنسية في القارة الأميركية الجنوبية بين فينزويلا والبرازيل) جثث ألف ومائة أميركي

وأمركية قتلى... ماتوا جميعا انتحارا، وشربوا السم بكل طيبة خاطر في مخيمهم بمدينة جونستاون.

هؤلاء الأميركيان، المؤمنون بالهاء ينتمون إلى المذهب المسمى «هيكل الشعب» الذي يتزعمه المبشر الإنجيلي المؤمن «جيمي جوناس» وهؤلاء المؤمنون انتحروا بواسطة تجرعهم السم بأقذاح المرطبات... كانوا يتسابقون على الأقذاح لانهم كانوا يستعجلون الوصول إلى الجنة قبل رفاقهم...

تفسير نظرية داروين على الطريقة اللبنانية الطائفية

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد إشادة الجامعتين العلميتين (اليسوعية والأميركية) و بروز المزاحمة بين الإرساليات الأجنبية لإفتتاح المدارس في لبنان، و رواج الطباعة والصحافة والتأليف، أصبحت بيروت تلقب عن جدارة «عاصمة الشرق الثقافية». وفي العقد الثامن من ذلك القرن، وخاصة في أروقة الجامعة الأميركية، أصبحت نظرية العالم داروين «التطور التاريخي للعالم العضوي» الذي زاد عليها «كتابه أصل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعي»، و كتابه الآخر «سلالة الإنسان والانتخاب بالنسبة للجنس»... أصبحت هذه النظريات العلمية التي ساهمت في ظهور البيولوجيا العلمية والإيضاح ضد تفسيرات اللاهوت عن اصول النسب للإنسان... نظرية تشارلز داروين هذه ساعدت في تأسيس العلم الطبيعي على المادية الجدلية... وحولت الحوار الدائم بين طلاب الجامعة الأميركية إلى مؤيدين ورافضين للنظرية... سيما وكان ان توفي

العالم داروين يومها (نيسان ١٨٨٢) وتطور الحوار إلى تنافر واضرابات واقتتال بين المتدينين الذين رفضوا رفضاً باتاً نظرية داروين التي تنكر عليهم تحذّره من جدنا المرحوم آدم، الجميل الخلقة والحلو الشمائل، وعشيقته الجميلة جدتنا حوا...! وتنسبهم أنهم يتحدّرون من جنس السعادين البشعين القامة والصورة.. وأخيراً... وكل خلاف لبناني له حله الوسط... بلا لا غالب ولا مغلوب... فقد قامت فئة من الطلاب المحايدون واعطت تعريفاً مذهبياً لبنانياً، قريباً للنكته، عن أصول الأنواع والأجناس، وهو كما يلي:

اللبناني السني: أصوله من الجمل لأن الإسلام والجمل من الصحراء.

اللبناني الماروني: من العنزة: لأن الماروني والعنزة من سكان الجبال.

اللبناني الشيعي: من البقرة: لأن البقره حيوان حزين.

اللبناني الدرزي: من الثور: نظراً ل لباس رأس الدرزي وعناده.

اللبناني الأرثوذكسي: من الحصان: لصهيله ولبيطه ونظافته.

اللبناني البروتستانتى: من الهر: نظراً لشبه عينه بعين الهر^(١).

نظرية اليهود للأصول الإنسانية

تقول أسطورة من أساطير اليهود الخارقة: «أن الأرض يحملها ملاك جبار، له يد في الشرق ويد في الغرب، وهو واقف على ياقوته

(١) المرجع كتاب رواية «تبليط البحر»: صفحة ٧٥ لرشيد الضعيف، دار رياض الريس.

خضراء بحجم صخرة كبيرة قائمة على قرن ثور يدعى الريان»...
وأحبار اليهود لا يعترفون بنظرية داروين، ويشاركون علماء الأديان
الأخرى في انتقاء أحط النعوت المهينة لداروين، مثل: الدجال،
واللعين، والمنافق، إلخ... هذا لأن أحبار اليهود لهم نظريتهم الخاصة
عن تحدر الإنسان وأصوله... إنهم يقولون أن اليهود هم من نسل الله
وأهله وشعبه الخاص (الله خلقهم ورفع إيدو)... أما بقية الشعوب
والأمم البشرية (الغويم) فقد خلقها الله من روث البقر.

والغريب العجيب... أن جميع رجالات الأديان الذين استنكروا
نظرية داروين وشتموه لأنه نسب أصول تحدرهم إلى السعادين. فقد
وجموا وصمتوا ولم يحتجوا أو يستنكروا النظرية اليهودية القائلة،
أنهم من روث البقر...!

الاقتصاد الطائفي

الخبير البلجيكي «فإن زند» الذي دعوه إلى لبنان لترتيب عملية
اقتصاده وماليته ومواسمه الزراعية والسياحية... بعد التجربة وخبرة
المعرفة وحك المعلومات والشهادات العلمية الاقتصادية، رفع العشرة
وقال:

كيف يمكنني أن أرتب اقتصاد وطن: التبغ فيه شيعي... والتفاح
ماروني والبرتقال سني... والعنب درزي - مسيحي... والزيتون
أرثوذكسي درزي...؟!

كلمات وآيات

- لا فضيلة إلا المعرفة.

- قد يقف التاريخ مئات السنين عند محطات جمود إنساني منتظرا
الإنسان ليخرج من جموده وجاهليته... ولكنه لا يسير إلى الوراء
أبدأ.

- الحياة للأقوياء في عقولهم...

- المتملقون لا يصلحون للشورى.

- من زار المشرق وافريقيا جوبه بنوع الحلقة الحديدية التي تسجن
رأس المؤمن، جاعلة إياه مغلقا تماما عن استيعاب العلم وغير
قادر أن يفتح على أي شيء جديد (ارنست رينان).

- ومن البلية عذل من لا يرعوي عن جهله وخطاب من لا يفهم
- بعض علماء الأغريق قالوا عن ألوهية الفكر في الإنسان (كتاب
محمد التاريخ والإيمان - دار الجمل).

- هل يمكن أن يكون لإنسان ما حجم حبة خردل من العقل
ويصدق أن موسى شق البحر بضربة من عصاه المهولة...

- الشاعر المهجري خليل محمد العقده يندب حالة ما وصلنا إليه
فيقول:

غير خاف قد رجعنا القهقري والورى سار حثيثا للأمام
ذاك انا نحسب العقل بليه والورى يتخذ العقل إمام

- صار الإنسان معقداً بسبب تمسكه بالتقاليد.

- الروح الشرقية ببساطتها تقفل الدماغ البشري في وجه أية فكرة انطلاق عقلانية جديدة... هذه الروح التي أنتجت اليهودية والمسيحية والإسلام، أصبحت غير قادرة على إنتاج شيء آخر إلا الأساطير (مفكرّ وباحث أوروبي).

- أنا لا أصدق ولا أوّمن أن الله خلق الناس فقط كي يعبدوه.

- العقل لا يقبل أن نؤمن إيماناً أعمى بحكايا التوراة.

- التراث المنقول الذي يتعارض مع المعقول لا قيمة له (الفيلسوف الإنساني جبرائيل دا كوستا المضطهد من الحاخامات).

- نجح الفقه في وضع الإنسان ضد أخيه الإنسان... وطوال أربعة عشر قرناً تعلم المواطن المسلم أن يكره حرّيته ويرفض حقه الشرعي في المسؤولية (من كلمات الصادق النيهوم).

- سيكون من أمّتي علماء فسّاق... وقراء جهال... ونعوذ بالله من العالم الفاجر (حديث شريف).

- قال السيد المسيح: من ثمارهم تعرفونهم (وثمارهم تعني عقولهم).

- يقول أحد مراقبي تطورات الأمم: العقل العربي والعقرب يتشابهان في الكثير من الميزات: فمثلاً: العقرب لا يموت من الإشعاع الذري... والعقل العربي لم يتأثر ولم يتعلم شيئاً من اكتشافات العصر الذري.

- وكتب الصحافي العميق المعرفة أحمد أبو المجد: لا أمل في

صحوة... ولا رجاء في بعث... ولا جدوى من حديث عن تقدم أو تنمية أو انطلاق إلا إذا تحركت العقول في الرؤوس وشب المسلمون إلى منهج العلم الذي بسلطانه يتمايز الناس.

- لغدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة (حديث لمحمد الرسول).

- نحن الشعب العربي ما زلنا مقيدون بسلاسل ثقيلة مربوطة بجيفة الماضي.

- الذين يظنون أنهم بواسطة التأويل والتفسيرات المغرية يمكنهم تبديل الأنظمة بأنظمة خداع جديدة ودكتاتوريات معاصرة، هؤلاء سوف يجمدون ويفلسون، فالتاريخ لا يعود للوراء.

- الذين يقاومون التعليم واكتساب المعرفة هم أعداء الدين وأخصام وصايا الرسول الذي فرض العلم على كل مسلم ومسلمة (من كلمات الأمير شكيب أرسلان).

- الذين يستعملون الدين من أجل مصالحهم المربحية هم أشد المدافعين عن التفسيرات الدينية اللاعقلانية.

- غاية وأهمية الإنسان في الوجود التفتيش عن الحقيقة (كمال جنبلاط).

- هل البشر اليوم هي كما كانت أيام ظهور دعوة العقل؟ هنا علينا أن نغير ما بأنفسنا كي نستطيع مرافقة مسيرة التطور.

- منذ اثني عشر قرناً والعرب نقعوا العقل العربي في مستنقع الإيمان الأعمى.

- لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.
- «علينا باستماع القول واختيار أحسنه» (كلام كان يردده محمد مهدي شمس الدين).
- العلم ينبه غافلنا، ويعلم جاهلنا، وينشط عاملنا، ويبعث النشاط في خاملنا (كلمات للأمير شكيب أرسلان).
- الذين يقاومون اكتساب المعرفة هم أعداء التطور، وهم أيضاً أعداء الدين.
- الكفر المخيف هو الكفر بنفسك (كارليل).
- الفضيلة بدون علم أفضل من العلم بدون فضيلة (جان جاك روسو).
- من عرف نفسه فقد عرف ربه (حديث شريف).
- الله بحاجة للإنسان والعالم، لأنه بدونهما يصبح راع بلا رعية... فعلى من سيمارس الوهيته (هيغل).
- معرفة الوجود الحق هي معرفة العقلية (إفلاطون).
- المتحجرون عقلياً... الذين يفاخرون بصلافة عقائدية، وأمجاد تراثية، وتقاليد قبلية، وغيره دينية هم أشد الفرق تضليلاً للمجتمع والناس، وأعلاهم حنكة في تجارة العقائد السياسية لخداع المراهقين الناشئين، وأكثرهم خبرة في خداع المتدينين المؤمنين (الأمير شكيب أرسلان).
- في عالمنا العربي، على الكلمة أن يكون لها قوة وصلابة

رصاص المسدس كي تتمكن من دخول وخرق الرؤوس الحجرية الجامدة (كلمة لأديب اغترابي).

- عقل الإنسان الحكيم الواعي يستخدم نحو غاية المعرفة، أما عقل المغرور يبقى مضطجعاً مستريحاً في مكانه تحت نير من الجهل، مستسلماً متخيلاً مدبراً وحائكاً مؤامرات الخداع والغدر لجاره خاصةً أو لأخيه الإنسان عامةً.

- العبرانية هي التي أفسدت وسممت الأديان.

- الطاعة فرض للسلطة إذا كانت السلطة بتصرفاتها ومنجزاتها متفقة مع العقل.

- الأنانية قيد لأنها محدودة، وهي عزلة مغلقة على ذاتها، والإنعتاق من الأنانية لا يتحقق فينا إلا بالتضحية وسيطرة المحبة الشاملة (كمال جنبلاط في كتاب الجدليات).

- لا يوجد شيء ثابت على الإطلاق. والإنسان أصبح معقداً بسبب تمسكه بالتقاليد (كمال جنبلاط).

- إننا في الواقع جزء من الحقيقة ومن الخير الكامن في صميم الكون (كمال جنبلاط).

- الإيمان بالحياة هو الإيمان بالتطور، ولولا التطور لما كانت الحياة... والتطور هو تطور الكون والجماد، والمادة الحية، والإنسان، والجماعة بجميع عناصرها الروحية والمادية... (كمال جنبلاط).

- التطور هو مظهر ووسيلة لإنشاء وبقاء سيرورة الكون بأسره. وهو

حدث تقديمي شامل غير قابل للإرتداد والرجوع إلى ما قبل
(كمال جنبلاط في كتاب الجدليات).

- يستحيل على المرء أن يؤمن بربه إذا لم يتوفر له قبل ذلك
الإيمان بنفسه (فيفكاندا عرفاني هندي).

- حاجتنا إلى الإيمان بذاتنا... الإيمان بالإنسان... كحاجة الضرير
للنور، والمتألم للمسكن والمظلوم للغوث والحنان (جنبلاط).

- الفقهاء جماجم معدة للتشذيب والتجريح.

- ليس في الدنيا من الآخرة إلا الأسماء (عبدالله ابن العباس).

- الدوافع الذاتية للقوة والريح شقت مسارها المشوب بالعنف عبر
الزمن (كتاب القمع السياسي عفيف فراج صفحة ٣٧).

- الحروب الصليبية حوّلت قطاع الطرق من لصوص مجرمين إلى
رجال دين طاهرين يقتلون ويسرقون ويحرقون بمعجزات دينية
مقدسة (عفيف فراج - كتاب القمع السياسي).

- الإسلام منع التمييز العنصري حيث جاء في القرآن «أيها الناس
اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة».

- ومن البلية عدل من لا يرعوي عن عيه وخطاب من لا يفهم
(المتنبي)

- يسوع المسيح جاء جاء ليعلمنا الرفق والمحبة والمساواة ويجعل
الجميع أخوة.. مبطلا قسمة الناس إلى قسمين اسياذ وعبيد
وأغنياء وفقراء (من كتاب أورشليم الجديدة لفرح أنطون
ص ٤٤).

- ليس للعلم وطن... الإنسانية بأجمعها هي وطن العلم (باستور).

- ليكن علمك خاضعا لأحكام عقلك.

- شهية الصليبيين لأكل اللحم يوم دخولهم مدينة معرة النعمان، وشويهم الأطفال كانت إكتسابا قليلاً من شهية العباسيين الذين فطروا على بساط وخوان جثث اولاد عمهم الأمويين...؟

- إبليس اللعين شخصية ميثولوجية أبدعتها ملكة الإنسان الخرافية وطورها وضخمها خيالها الخصب (الدكتور صادق جلال العظم).

- الفقهاء فرضوا فرضاً مقدساً تحريم الرسم. دون وجود أي نص ديني على تحريمه. وهكذا حرّموا الحضارة الإسلامية من الرسم والنحت، وأدى الحرمان إلى تجاهل المسلمين للمجتمع والطبيعة، حيث انعدم الفن التسجيلي، ولم تسجل الحضارة الإسلامية لوحة وثائقية واحدة عن لون الحياة فيها (من ملاحظات العالم الليبي الصادق النهوم).

- لما ظهر الدين كان عقل الإنسان في بدائية نوم الطفولة، ولم يكن للعلم سلطان. كل العلوم المعروفة كانت علوم بدائية، فألفوا الأساطير، ورحبت بها عقول تلك الأزمنة، وما زالوا لليوم يفرضونها في مدارس البلدان المتخلفة إرهاباً وغصبا للناشئة أن يؤمنوا بها.

- قال الشاعر السوري عيسى عصفور:

يا قارع الأجراس مافي قرعها ثأر وعتق

بين العبادة والرياء وبين عقل الناس فرق

- وقال الفنان البرازيلي بادرو دي لارا:

* هنالك جماعات فقيرة. فقيرة للغاية.. لا تملك شيئاً ولا تحوي شيئاً إلا المال..!

* كل رابح في لعب القمار يشكر الله الذي يحبه وأعطاه الربح، وكل خسران يسبه ويقذف اسمه بأسوأ النعوت

- كتب شبلي الشميل في كتابه النشوء والإرتقاء: «الذين يقولون بوجود قوة أبدعت العالم من لا شيء، هؤلاء لا يستندون في قولهم على شيء».

- «يا مقلنسي الجهل... ومعممي الضلال... أين رأيتم في أديانكم ما يسمح لكم بأن تزرعوا في رؤوس أتباعكم الجاهلين التفريق بين الناس إلى حد التباغض والتقاتل والمذابح» (أمين الريحاني).
- «علوم الفقه سخافات... وعلوم الكلام هي أشبه بالهذيان، كما أن علوم اللغة مماحككات لا طائل تحتها، وليست كلاماً للتعبير عن الفكر» (شبلي الشميل).

- وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم (وهذا أن الناس مسؤولون عن مصيرهم شرعاً وعملياً، وعما جنته وما كسبت أيديهم).

المعتزلة والذرة

المعتزلة هم من تكلم عن الذرة من العلماء العرب القدامى... لقد عبروا عنه بالمذهب «الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ»... هذا المذهب أخذوه عن علماء اليونان الذين قال نفر منهم: «إن الأجسام في هذا العالم مؤلفة من تجمع مقادير معينة من العناصر الأربعة - الهواء، الماء، التراب، النار.. ان هذه الأجسام مركبة من ذرات، والذرات دقائق من الصغر، ولها أحجام معينة متفاوتة في الصغر، وقالوا قولاً كثيراً غير ما نعرفه اليوم عن الذرة»..

أما المعتزلة فقد خاضوا كثيراً في البحث عن الذرة، أو عن الجزء الذي لا يتجزأ، وعلى حد قول عمر فروخ، أنهم لم يكن مقصدهم سبقاً أو كشفاً علمياً، بل في سبيل إطمئنان ديني يدور حول قدرة الله، وهذا يدل على أن عمر فروخ كان يريد نقصان رسالة المعتزلة العقلانية والنيل منها.

أوثان الماضي والحاضر

بقايا آثار القدماء: بعلبك - بابل - نينوى - أهرامات مصر ومدافنها - اسطمبول - أثينا - رومه - رودوس وتدمر إلخ... كلها تدل على أن الوثنية أبدعت في فن النقش لتعظيم أصنام آلهتها... وعندما جاءت الديانات. نزلت إلى ساحة مبارات تكريم الآلهة مع الوثنية. فأشادت الكنائس وقببها، والجوامع وماآذنها، والمعابد وباحاتها. فكانت المسابقة بين وثنية الماضي مع وثنية الحاضر... كل هذا لم تستفاد البشرية منه بشي... والذين استفادوا هم أصحاب المنافع الخاصة... وكل ما بقي من آثارات لا يدل على إيمان وتعبّد الإنسان، بل على عبودية الفرد فكرا وعقيدة وجسما... أما قصة ابتداء الخلق فهو سرد لا معنى له... ولهذا الموضوع كتب الشهيد كمال جنبلاط:

«أي متى بدأ الخلق...؟ قصة لا معنى لها... لأن الزمان وجد بوجود الخلق، والوعي لا ينفصل عن الوجود كما لا ينفصل الوجود عن الوعي».

نحن السابقون

وفي فجر الإسلام، حدثت مشادة بين فقيه مسلم وأحد يهود

خير، الذي زاف وزاد بهجاء الإسلام، ولكنه أقرّ بأن اليهودية كانت
اسبق من المسيحية والإسلام في نشر قصص الخرافات، والأساس
الأول للأساطير المخدرة، فقال وكأنه موجهها شعره للخليفة عمر ابن
الخطاب (أباحفص):

يصول أبا حفص علينا بدرة رويدك إن المرء يطفو ويرسب
فلو كان موسى صادقاً ما ظهرتم علينا... ولكن دولة ثم تذهب
ونحن سبقناكم إلى المين^(١) فاعرفوا لنا رتبة البادي الذي هو أكذب
مشيتم على آثارنا في طريقنا وبغيتكم في أن تسودوا وتُرهبوا

يا مولاي العقل هل تصدق قصة إبراهيم...؟!؟

(...) وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم. فقال له يا
إبراهيم. فقال ها أناذا. فقال: خذ ابنك وحيذك الذي تحبه إسحق
واذهب إلى أرض المريا (...). وأصعده هناك محرقة على أحد
الجبال... فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله، بنى هناك إبراهيم
المذبح، ورتّب الحطب وربط إسحق ابنه ووضع على المذبح فوق
الحطب، ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه ناداه ملاك الرب
من السماء وقال إبراهيم... إبراهيم... فقال ها أنا ذا... فقال لا تمد
يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً. لأنني الآن علمت أنك خائف الله
فلم تمسك ابنك وحيذك عني. فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش

(١) المين يعني الكذب.

وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده المحرقة عوضاً عن ابنه (التوراة - تكوين. الإصحاح ٢٢).

وجاء في القرآن - نفس الموضوع - ولكنه في سرد لغوي أرفع بيانا واسلس أسلوباً... وطالما أنهم قالوا وآمنوا بأن التوراة مثلها مثل القرآن، جميع كلماتها من وحي الله...!! فإن هذا قد يكون برهاناً على أن رب محمد كان أبرع وأشطر بالإنشاء وإتقان اللغة العربية من رب إبراهيم... يقول القرآن: «فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أنني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتى افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله مع الصابرين فلما أسلما وتلّه للجبين، وناديناه يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم» (الصفحات ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - و١٠٧) هذا ولأجل هذا الحلم الذي يقول عنه القرآن أنه لم يتحقق، يهرع المسلمون جميعاً للاجتماع بالذكرى المقدسة... التضحية... ويتسابقون الإدعاء مع اليهود، بأن اسماعيل (العربي) وليس اسحاق (اليهودي) كان غلام التضحية الخرافية، من أجل خاطر الرب المحب اهراق دماء الطفالي، وامتحان طاعة عبده إبراهيم.

الأم الطليانية والتضحية بإبنها

من جهة ثانية. كانت هناك امرأة ايطالية وكان لها رأي آخر... والقصة هي: فقدت أم إيطالية ابنها الوحيد، وأصبحت في حالة يرثى لها من الغم والحزن واليأس... زارها أحد رجال الكهنوت العميق المعرفة في تفسير أسفار الكتاب المقدس - معزياً مواسياً - وقال لها:

إن الله بين حين وآخر يجرب عبیده... ومرة طلب الله من إبراهيم أن يضحي بابنه، أي أن يذبح ابنه بيده، ويقدمه ضحية له، فلم يتردد الأب في تلبية طلب الخالق..!

أجابت الأم وقد سحق قلبها بهذه المواساة... أصحيح هذا...؟ أيها الراعي المتدين المهذب...! العميق المعرفة في الكتب الدينية...! ولكن لو أن الله طلب هذا الطلب من الأم... مني أنا مثلاً... لكنت نشرت عرضه... و... و... و...

كيف نصدق

«بعدما ارتكب جدنا آدم خطيئة المجامعة الغرامية مع جدتنا الجذابة حواء، التقى مع الله وقال: يا رب... أسألك بحق محمد... لما غفرت لي...؟ فقال الله: وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد... فقال جدنا آدم لا فض فوه: لأنك يا رب لما خلقتني ونفخت بي من روحك رفعت رأسي فرأيت في قوائم العرش مكتوباً (لا إله إلا الله ومحمد رسول الله)، فعرفت أنك لم تضيف إلى إسمك إلا اسم من هو أحب إليك... فقال الله: صدقت يا آدم. إنه لأحب الخلق إليّ... أدعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك...!»

(عن كتاب العلامة مرتضى العسكري - كبير أئمة الشيعة)

- كيف نصدق ونؤمن بقصة الملاك الذي هبط وشق صدر النبي الطفل وحشاه بالنور؟

- ثم كيف نقدر قصة الإسراء من الحجاز إلى المسجد الأقصى،

ثم ركوبه البراق وصعوده وذهابه وأياه إلى الحضرة الإلهية عشر
مرات لتخفيف الصلاة من خمسين إلى خمسة..؟

وفي هذا المعنى نظم شاعر المهجر البرازيلي «خليل محمد
العقده» (القرعون - لبنان أصلاً) معلقته، والتي بكل فخر، بأشعار
الاغتراب البرازيلي، نسجل منها هذه الأبيات:

كم بدعة، حبك السفاه خيوطها حبكاً وأحكم مَينَها بالمجمل
وضعت لتَهزأ بالعقول، وقد جرى صرفاً تقبلها بغير تعقل
خبر العروج به مثال بارز فمحاله قد فاق كل تخيل
زعموا بأن غسلت ملائكة السما قبل العروج إلى مقابلة العلي
قلب النبي... وما تضمن جوفه وحشوه إيماناً بشكل أفضل
أفديننا لا تستقيم أموره إلا إذا حشيت بأسخف مقول...

ويتابع الشاعر خليل محمد العقده قصائده و أبياته مستغرباً حكاية
الإسراء وروايات مسلم والبخاري، وفي إحدى قصائده يعجب
ويستنكر غسل قلب الرسول، وأن يكون موسى الدليل الخبير والأعلم
بمقابلة عرش الله القوي الجبار، فيقول:

يا ليوم أتى، وجبريل فيه قد تدلى، وفوق مكة حوّم
يبتغي مرقد الرسول ويبغي شق صدر الرسول في حد لهدم
ثم يحشوه حكمة و يقينا بعد غسل الفؤاد في بئر زمزم
أفرغ الطختسان في الجوف حرصاً كله... ثم خاطه، وتختم!
وتولى إلى السماء مجداً ينهب الجوب بالنبي المكرّم
طلب الإذن بالدخول فأعطى بعدما... أخرج الملاك وقدم

وببطء تثائب الباب لَمَا
آدم الخير... صاح جبريل مرحى
يا حبيبي... هذا أبوك... فسَلِّم
في السماوات كلها كان يجري
عاد من لدن ربه... بفروض
ففضى بالصلاة خمسين منها
رضيا... والنبى، لكنّ موسى
فتصدى لها، ولو أن موسى
إن في الشعب، يا محمد، ضعفاً
وأعاد النبى يمكس فيها
ومضى أحمد... سميعاً مطيعاً
خمساً بعد خمساً حط منها
وانتهى الأمر خمساً وتجلّى
فهى خمسون في الثواب، وخمس

خلفه قد أطلّ شيخ معمم
باحترام... وآدم يتبسم
قال جبريل للنبي: فسَلِّم
بانتظام نفس الحوار المصمم
باهظت... كمن يعود بمغنى
كل يوم على العباد وأبرم
(فأبن عمران) كان بالناس أرحم
لم يعلم نبينا... ما تعلم
لا يفي حقها، ولو قيل أسلم
بعدهما أقدم النبى وأحجم
عائداً نحو ربه يتظلم
مثل فعل التجار من أجل درهم
ثم نادى إلهنا وتكلّم
في التقاضى وكل أمر محكّم

يتنزهون في الفردوس...!!

يا سيدي مولاي العقل... حتى الشعراء الغاؤون، الذين في كل
واد يهيمون، استنكروا ورفضوا تصديق أقوال وحكايا تجار الديانات
والرواة وقصص المنتفعين من زرع أساطير المخدرات الدينية في
العقول البريئة البدائية.

كيف نصدق عشرات لا بل مئات الحكايا الخرافية عن يسوع

ومحمد، يشيّعها ويُدّرسها الرجال التجار بالديانتين، أبسطها وأخفها
تحمل أصحاب العقول النيرة على إعلان استنكارها وتكذيبها.

يا مولاي العقل... كيف يمكن للناس... أصحاب العقول أن
تتعامل مع هذه الحكايا والأساطير التي قدسوها...؟

يا مولاي العقل... نحن بحاجة إلى جيل عربي طالبا للمعرفة
والوعي، سليما من أساطير ومكروب الخرافات «ال م ق د س ة»...
لقد وقع مجتمعنا العربي كله في فخ الجهل، وجاهلية السلطات
الإنتهازية تسلخ جلدنا ونحن أحياء.

يا مولاي العقل: لقد مضى على حكاية وفاة موسى وانتقاله من
هذه الدنيا الفانية أكثر من أربعين قرنا. ومضى على صلب وآلام يسوع
المسيح عشرين قرنا، وعلى موت محمد أربعة عشر قرنا. ولا يزال
رجالات السلطات الدينية يزرعون الاعتقاد بأن هؤلاء الثلاثة مع
مجموعة الأنبياء (ال ٢٤ نبيا) وأنصارهم ورفاقهم ما زالوا أحياء في
الجنة، يسرحون ويمرحون... يتنزهون ويتسامرون بنوادير أهل
الأرض، حتى بأشعارنا الغرامية، وزواجنا وطلاقنا، وفقرنا وثرواتنا...
وينتظرون أيضاً فرصة للعودة إلى كوكبنا الأرضي وجز رؤوس وأعناق
الذين رفضوا الإصغاء لهم وتقديس تعاليم خرافاتهم.

يا مولاي العقل...

هل هذه القصص ومعلومات هذه الحكايا هي فريضة على الإنسان
أن يصدّقها ويحملها في مجتمه كعقيدة مقدسة، ومع كل شروق

يصلي ويسلم على اسماء أولئك الأنبياء الأسطوريين، ويتهمل إليهم
طالباً رضاهم ومعونتهم...؟

أمر تستخف بها عقول وما يدري الفتى لمن الثبور
كتاب محمد وكتاب موسى وانجيل ابن مريم والزبور
نهت أمما فما قبلت وبارت نصيحتها فكل القوم بور
أصول قد بنين على فساد وتقوى الله سوق لا قبور

(أبو العلاء)

إحتجاج على نبي المسلمين

العالم الديني العميق المعرفة..! الشيخ العالم مصطفى شكري...!
كبير قادة الإخوان المسلمين، الفرع الإرهابي (جماعة التكفير
والهجرة) اعترض واحتج على فريضة العلم التي أوصى بها الرسول
(صلعم) «العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

الشيخ العالم...! وكان ذلك أيام التسعينات من القرن العشرين
المنصرم، حيث استنكر الشيخ الجليل هذه الفريضة وأفتى (لا فض
بوقه) بقوله: «إن خير أمة أخرجت للناس ينبغي أن تكون أمية
بالفطرة... هذا لأن النبي لم يقيم المدارس والمعاهد والجامعات لتعليم
المسلمين الطب والرياضيات، ولم يهدر عمره في تعليم الناس الكتابة
والعلوم المختلفة، إنما أضع عمره في تعليمهم العبادة»... (من كتاب
الفرق الإسلامية - اللواء حسن صادق).

الشيخ الإخوانجي نسي قول الرسول ووصاياه «اطلبوا العلم من

المهد إلى اللحد... أطلبوا العلم ولو في الصين.. إقرأ وربك الأكرم...
الذي علّم بالقلم... علم الإنسان ما لم يعلم... والقلم وما يسطرون...
وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون... ما بال أقوام لا
يتعلمون من جيرانهم ولا ينتفعون... ونسي الشيخ المذكور أن
الرسول بعد وقعة بدر جعل فداء لكل أسير تعليم الكتابة لعشرة من
أبناء المدينة..

وأن أول طلب للرسول من الله تعالى كان: «رب زدني علماً».

ولهذا يقول شاعر المهجر الأرجنتيني «حنا جاسر»:

تَصْهَيِّنَ الدينَ حتى صار قاداته لا يعرفون من الأديان ما الخبر

إفتاءات ومواعظ الغزالي

يوصي الإمام الغزالي في كتابه «أصول الدين» صفحتي ٢٣٥ -

٢٣٦ ما يلي:

«الصلاة الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن،
ويستشهد الغزالي برسول الله أنه قال: من صلى عليّ في يوم الجمعة
ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة. ومن يدخل الجامع عليه أن
لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن (قل هو الله أحد) مئتي
مرة، في كل ركعة خمسين مرة... ومن فعل هذا لم يمت حتى يرى
مقعده في الجنة».

إيمان البشر

مالي وإيمان البشر لست على الدنيا خفر
لا لست مسؤولاً عن العميان إذ فقدوا البصر
دعهم يصومون، يضلون ويمشون وراء حجر
دعهم ينوحون ويبكون كخنساء صخر
دعهم يخجون ويرمون حصاةً في الحفر
عقلي بريء لا يلام إذا بأصنام كفر
وإذا نفرت وما عبت ولا ركعت للرموز أو الصور
مهلاً... أخي الإنسان قف... وتعال نحسب للعشر
هذي النصائح والمواعظ والتعاويذ الكبر
ما حققت أملاً لنا لا... ولا ردت قدر
مثل المواعظ للأنام مثل المخدر بالأبر
من منا ينمو صحة بسماع وعظ أو خبر

(أحد أدباء المهجر - ضفاف الأمازون - البرازيل)

أي عالم نحن

ليس قدر الشعوب ما خط يوماً إنما القدر ما تخط العقول
للوصل إلى أهداف إنسانية علمية فاننا نحتاج إلى وسائل علمية
إنسانية، وعلينا أن نؤمن دستوراً تنصه مجموعة عقول العلماء
الإنسانيين... فالغلبة في صراع الحياة للأكثر معاصرة وتخطيطاً
وتطوراً... وتحقيق الانتصار الحضاري لا يتم إلا بتنظيم زائد ووعي
متزايد... والمثقف هو من الم يعلم محيطه... أما نحن... فإننا هذه
العوامل العربية المهزومة تاريخياً... لا نملك سلاح المنتصر الذي هو
العلم العقلاني، وسلاحنا نحن، هو الصلاة والابتهالات للقوة غير
المنظورة كي تنصرنا... نحن المهزومون، علما أننا مهزومون من
الداخل، من صميم أعماقنا، من طريقة تربيتنا وثقل عشرة قرون
عبودية نحملها علي ظهورنا وفوق رؤوسنا... لقد عفنت الجهالة في
أدمغتنا... وأصبحنا كما كتب عنا كبير الروائيين (الياس خوري) «بعد
هزيمة الـ٦٧ تبين لي أننا نحن العرب شعب أهبلى»... ووصفنا أحد
المفكرين المغتربين (الدكتور باسل فرحات) الذي قال «نحن اليوم...
مثلنا مثل قبائل من الهنود الحمر في أدغال الامبراطورية الصهيونية»...
وغداً... (اوفس بوي) في قارة التطور العلمي التي اكتشفها العقل

الإلكتروني مؤخراً... ومثلما رفض الهندي الأسمر مد خطوط سكك
القطار البخاري في مجاهل غاباته، ، هكذا نحن نرفض الجديد
والتجديد ونهرب من سباق الانطلاق إلى غد أفضل... وما حركات
التغيير التي ندعوها بربيع التغيير العربي إلا نيران مذهبية (صفينية)
جاهلية جديدة من نوع أحرقوا بعضكم بعضاً أيها المسلمون من أجل
نمو إسرائيل الكبرى، وتصفيق إمبراطورية الحقد الفارسية
الصفري...!! تغيير في القشور وليست تغييراً في الجذور... ونحن
طلاب وحملة رايات التغيير ما زلنا نترنح سكارى، حاملين أوراق
كتيباتنا، متأملين ومرددين... أي عالم نحن...؟

كيف تريدوننا أن ننتقل إلى غد أفضل ونحن ما زلنا نعيش مع
عقلية حرب البسوس وعام الفيل؟

كيف ننتقل وما زلنا نقدر الخرافات ولا نقر بقدرة العقل ولا
بمنجزات العلم، وعلى الرغم من استعمالنا لمنجزات العلم في كل
ساعة من حياتنا اليومية فإننا نرفض الإقرار بقدرة العقل العلمي
وننسب كل تطور للحياة إلى القدرة الخفية غير المنظورة.

نحن ما زلنا نعلم أولادنا في مدارسنا ومنازلنا أن الكون تكوّن في
سته أيام، وأن أصل البشرية من المرحوم جدنا آدم ابن الطين ومن
ضلعه جدتنا الحسنة «الشاطرة» حواء... وأن البشر هم أبناء المجرم
قايين، الذي قتل أخاه هابيل حسداً وخبثاً ولؤماً، ثم تحدر أصل
الناس كما يقصّون ويؤلفون يرجع إلى نوح السكير وأولاده
الأسطوريين سام وحام وياث..

كيف يمكننا أن ننطلق طالما أننا لا نقرّ بقدرة العقل على تحقيق الإنجازات والاكتشافات العلمية، ونعتقد اعتقاداً راسخاً أن كل الاختراعات والمنجزات هي بمشيئة الله، والذي لولا مشيئته لبقيت البشرية، والمغائر بيوتها، والصيد غذائها، وأوراق التين لباسها، والإشارات أحرف لغاتها...!

أي عالم نحن... ومنذ قرون عديدة، نحن العرب، ودّعنا سنوات نهضتنا الحضارية القيادية للعالم، واتخذنا الإتكالية والأبتهالات والسجود والصوفية مؤثلاً لنا وطريقاً، وأحجمنا عن مشاركة البشرية في سباقها العلمي...!!! ثم انطلقنا بالمطالب والدعاء للرب العلي الجبار، أن يهبنا العز والانتصار، وهو الذي يهب النصر لمن يشاء والهزيمة لمن يشاء... ولكن صدمنا بالواقع، وهو أن رب العباد (العقل) لا يلتفت إلى سجود وصلاة المخادعين الذين لا يصلون إلا لغاية خاصة بهم، ولا يسجدون إلا لمقصد أناني لهم... فهو أيضاً لا يهتم بهبة النصر للمتخلفين الإتكاليين، ، ومما يدل أن لديه أشغال أخرى غير تقديم الخدمات للمصلين المتطلبين والكسالى الصوفيين... لهذا رأينا أن الله دار ظهره لنا وأخذ يعتني في مساعدة وتدبير شؤون أبناء البشرية الواعية المخططة العاملة بتوجيهات عقولها وليس بتوجيهات خيالها واتكالياتها الدينية، كأبناء الصين واليابان وأميركا وأوروبا وكوريا وفورموزا وهونغ كونغ، ورعاية حتى أعداءنا أبناء إسرائيل، التي ملأنا أجواء العالم صياحاً عن أنها إسرائيل المزعومة... شعوب هذه الدول بفضل تخطيطها العقلي وعلمها وعلماءها، وجدّها واجتهادها، وليس بركوعها وسجودها حققت الانتصار والإزدهار والانطلاق والعمران.

كيف نتطور طالما أن أدبنا وحضارتنا منذ عشرين قرناً ما زالت هي هي ذاتها - من الجاهلية إلى عصور أمية وبغداد والقيروان - من أمرؤ القيس وزهير وعمرو بن كلثوم إلى المتنبي وأبي تمام، إلى العقاد والمنفلوطي وشوقي «ونزار (بن أبي ربيعة القباني)»...!!) مروراً بعصر الخطابة وبيانها المختصر... لا شيء جديد منذ عصور الأمويين والعباسيين والفاطميين والحمدانيين والأندلسيين إلا اجترار أدب الماضي لترصيع تيجان الأدب الحاضر.

كيف ننطلق ودولنا العربية التي فاقت أعدادها العشرين دولة لا تتفق على مشروع وحدوي تقدمي واحد... حتى على سوق عربية موحدة... فقط جميعها متفقة وموحدة على استعمال اكتشافات واختراعات دول العالم المتطورة.

كيف ننطلق لمرافقة مسيرة العلم والاكتشافات والحضارات العالمية، طالما أننا ما زلنا نستمد علومنا من أساطير رعاة اليهود التوراتية والتلمودية التي دونوها منذ خمسين قرناً، والتي عمموها وأقنعونا بقداستها، وأن تشريعاتها هي من وحي الله صاحب القدرة الخفية وصانع الوجود... ثم نُحاكِم ونقاَصص كل من يشير إلى أخطاء تقديس وتأليه تلك الأساطير اليهودية التي عمموها وأقنعونا بقديستها، وأن تشريعاتها هي من وحي الله صاحب القدرة الخفية وصانع الوجود... ثم نحاكم ونقاَصص كل من يشير إلى أخطاء تقديس وتأليه تلك الأساطير اليهودية الخرافية...

كيف ننطلق وحكايا الأساطير اللامعقولة لا تزال بقصصها الاتكالية

تفعل فعلها في داخلية العقلية العربية، ولا تزال توجهها وتسافر بها على بساط ريح الغيبيات، وتمنع عن العقل العربي نور الواقعية وحقيقة الوجود ومنطلق الحياة ونور العقل... وبعدها وما زالت تنوم أكثرتنا العربية - شبابا وكهولا - على مخدرات وأحلام اللا معقول نومة شخير عميقة.

كيف يمكننا أن ننطلق ونحن ما زلنا نلقب رجال الدين الأصوليين بلقب العلماء... ونذون في موسوعات لغتنا أسماء رجالات الفلسفة والكيميائيين والفيزيائيين والمفكرين العقلانيين واصفينهم بألقاب الزنادقة والكفار.

كيف ننطلق مع مسيرة التطور الحضاري وما زلنا نكرم الخطيب المتضلع بثرثرة اللسان أكثر من تكريمنا لعلماء الرياضيات ولموهبة الفنان الإنسان..؟

يا مولاي العقل... ترى أيتساوى بهاليل وثرثارو الغيبيات مع علماء الرياضيات..؟؟

أي عالم نحن..؟؟

نحن والماضي والحاضر

شعر: أسعد زيدان - ضفاف الأمازون - البرازيل - azaidan@terra.com.br

تسارع الكون تبديلا وتغيرا
تطور العلم حتى صار صاحبه
كانت أوروبا وكان الجهل يغمرها
مجالس الظلم والتفتيش ترعبها
حتى أطل اليها الرشد يرشدها
فهرب الوعي من أرجاء أندلس
ردّ التهافت للغزالي يغزلها
فهبّ توما الأكاويني يناهضه
وأصبح العقل يستهزي الأساطيرا
يقضي القضاء ويجتاز التقاديرا
كانت قساوسها تهذي المزاميرا
مدارس الدين تعتيما وتحجيرا
من ابن رشد الذي أجلى الدياجيرا
وزاد «رسطو» شروحات وتفسيرا
وصاح يكفيكمو للعقل تخديرا
والفاتكان يزيد الجهل تمريرا

* * *

مرت قرون وعقل الغرب يشهدها
فكان عهد وتجديد لفلسفة
ديكارت هيغل وداروين يعلمهم
نيتشه سبينوزا وكوبرنيك أولهم
سارواوسارت أوروبا خلفهم علما
كرأ وفرا وتعتيما وتنويرا
من ابن رشد غذاها زاد تأثيرا
نيوتن، ماركس ونقدات لفولتيرا
فرويد المكنى الذي فاق المشاهيرا
كتب العلوم غدت تهدي الجماهيرا

فقامت الناس تسعى في مناكبها
لكل جمع أشادوا صرح جامعة
بين النجوم محطات لهم برزت
العلم مرشدهم - والعقل رائدهم
كل المفاهيم صارت رهن علمنة
ونحن نمنا وما زالت جهالتنا
حيّ الفلاح - تركناها مسكنة
كتب ابن رشد حرقناها مكابرة
الكندي ابن سينا نبذنا فكرهم علنا
عمائم الجهل هبت من مكانها
أكره في الدين مازالت مقاصدهم
لأجل هذا أصبنا في حضارتنا
أمريكا تشمت مذ صارت عواصمنا

كانت عصورٌ وكنا بينها مثلاً
يا للتمني... وهل من رائد لغد
علماً وجهداً وإنتاجاً وتعميراً
لكل فرع من التعليم تطويراً
تسابق النور اشعاعاً وتصويراً
والجدّ ساعدهم وعياً وتدبيراً
وأبعدوا الدين ميثاقاً ودستوراً
تفلسف الدين تخديراً وتزويراً
فريضة العلم أبدلناها تفسيراً
وابن طفيل وأدناها الجواريراً
علم الفارابي جعلناه فواتيراً
تفسّر الدين ركعات وتكبيراً
تشدّ فينا إلى التدجين تأخيراً
والغرب ينسبنا جهلاً وتقصيراً
تخاف شارون أو تستجدي شاميراً

كنا بزاةً وأصبحنا زرازيراً
يأتي ويقضي على الأصنام تكسيراً

الفصل الثالث

السلطة المدنية والسلطة الدينية

إنما الناس من تراب وطين
فبنوا النور يعبدون النور
وبنو الطين يعبدون الطينا

تقلصت رقعة الدولة الإسلامية، وضعفت بسبب تخلف عقليات
حكامها واستبدادهم وفقدانهم مفهوم المجتمع... وحوصر الإبداع
داخل أسلاك أوامر الفرد وضمن المورثات القبلية... دفعوا بإيمان
الأبرياء الطيبين إلى قفص الإتكالية على قدرة القادر على كل شيء،
وشاع التزين بأثواب الدين والتدين. فعمّ الاهتمام بالمظهر دون
الجوهر. وانتشرت قصص سرد الوقائع دون البحث عن اسبابها،
واستبدلوا كتب العلوم والفلسفة والفيزيا والأبحاث بالكتب المسلية
المخدّرة... فانحط إنتاجنا الإبداعي الأدبي. وأصبح أفضل الكتاب من
صاغ أجمل سجع وأصحّ إنشاء. ونامت في جوارير التاريخ آراء
وأبحاث وفلسفات الفارابي والكندي وابن سينا، واختفت شروحات
ابن رشد وابن باجه وابن طفيل مع مجموعة علوم عرب الأندلس...
وما أن دُمّرت مكتبات بغداد ومزّقت كتب الفاطميين في القاهرة

وأحرقت كنوز الثقافة العربية في قرطبه وتوليدو وفالنسيا وجميع مدن وقرى شبه الجزيرة الأيبيرية، حتى قفز ممالك الأصولية الأميون على مقاعد كراسي السلطة في عواصمنا العربية، وتصاعد دخان المكتبات والكتب جوا... هذا علما وتأكيدا على أن من يحرق المكتبات والكتب يحرق حضارات الأمم وخريطة تقدمها وتطورها. من القرن العاشر... إلى الثالث عشر... إلى الخامس عشر... وحتى إلى قرننا العشرين الذي نعيشه، وعمامات الجهل والجاهلية تغطي رؤوس القيمين على نصوص تشريعاتنا وقوانين دويلاتنا...

منذ أكثر من عشرة قرون ومجتمعنا يعيش على تشريعات قدامى فقهاء التزوير والتأويل وصحيح البخاري وغير صحيحه، وكتاب الغزالي لإحياء علوم الدين وغيره... غرسوا تشريعات الدولة الدينية، وجعلوا تأويل الكتب الدينية سورا للدفاع ضد نقد الناقدین لهم، ودروعا تقيهم قرصات أشواك المطالبين بالتطور والعصرنة، والانطلاق من تشريعات الدولة الدينية، والإنفصال التام للدين عن الدولة، وإبعاد المذاهب عن السياسة في تشريع الدولة.

فرضوا طاعة الفرد والجماهير والأمة والناس أجمعين للسلطان والسلطة، وسنوا قوانين العقاب على كل من يرفض الطاعة للحاكم، لأن سلطة السلطان أو الملك أو الخليفة حسب تشريعاتهم هي من عند الله، وبأمر الله، وإرادة الله... لهذا كانت الأحكام الإستبدادية الإرهابية تتطور وتزداد مع مرور الزمن وانقلابات الدول وتبديل رؤساء وملوك السلطة تتكرر، وحدود السلطنات تتمدد وتقلص... ومع كل عقد يمر تزداد حراسة الدولة الدينية وقوانينها بكثافة بوليسية تجسسية

مباحثية مخيفة... فالدولة الدينية حسب تعريفهم هي دولة الله وكل من يرفض أحكامها يكون قد رفض حكم الله وكفر بالله، فاستحق عقاب الله.

الخلافة هبة الله

نعم... منذ قرون عديدة وأبواق الحكومات الدينية يروجون ويشيعون أنهم يقومون بإحكام إرادة ربانية مقدسة... فبنو أمية الذين كانوا من الدّ أعداء تعاليم الإسلام الروحية الإنسانية، والذين دفنوا الشورى وحولوا السلطة إلى حكم وراثي، وهم أيضاً أول من بدلوا الجامع من مركز معدّ لضمان حق المواطن بالإشراف على القوانين إلى معبد يحرسه الفقهاء والوعاظ باسم المحافظة على الشريعة وتقديس رسالة النبي محمد.... وهم أول من حولوا منبر الجامع إلى منصّة للخطباء الواعظين في الدين، والمادحين تيجان الحكام السلاطين... فبنو أمية هم من جندوا مائة ألف سكين لقطع السنة كل من يحتج على مظالمهم، ومائتي ألف جندي مأجور تخضع لأوامر الحجاج بن يوسف لقطع رقاب كل من لا يؤيد اغتصابهم الشورى ويقاوم نظامهم الفردي الإرهابي..

أفرغوا الإسلام من نظام الشورى ومن لبّه الروحي الإنساني وسخّروه لتقديس حكمهم ومظالمهم... كانوا يقولون ويشيعون أن كل ما فعلوه كان بإرادة الله تعالى وسابق علمه... كانوا يدعون الإيمان بالجبر الآلهي، أي بتبرأة ساحتهم من كل ما أقرّفوه من جرائم وعصب وتعسف وظلم، وأن كل هذا كان قضاء وقدرًا، وكانوا

مجبزين عليه... وأن الله سوف لا يعاقبهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه هو الذي أمرهم في ذلك وقدرهم عليه... وهذا زياد بن أبيه، أحد الولاة الأمويين الدمويين، يلقي في العراق خطبته البتراء فيقول: نسوسكم بسطان الله الذي أعطانا...! وقبله ثالث الخلفاء عثمان بن عفان (الأموي)، يوم حاصره الثوار وأذروه: «إعزل عنا عمالك الفساق، واستعمل علينا من لا يتهم على دمائنا، واردد علينا مظالمنا... لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن... فأنظر لنفسك أو دع»... فأجابهم عثمان: ما كنت لأخلع سربالا سربلنيه الله عز وجل.. ولتضرب عنقي أحب إلي من أن أخلع قميصا قمصنيها الله... ومن هنا ندرك أن عثمان كان ينظر إلى الخلافة وكأنها تكليف من الله وليس من شورى الناس... وأن هذه الخلافة هي قميص أسبغه الله عليه...

سلطان الله في أرضه

وبعد عثمان والأمويين انتقلت فكرة «الملك هبة الله» إلى العباسيين... فهذا الخليفة المنصور (بعد ذاك الغداء التاريخي مريئاً فوق جثث أبناء عمه الأمويين والذي كان أيضاً بمشيئة الله!!)... يقف في مكة وبالقرب من الكعبة المقدسة، مخاطباً جماهير الحج: أيها الناس... إنما أنا سلطان الله في أرضه. أسوسكم بتوفيقه وتسديده. وأنا خازنه على فيئه، أعمل بمشيئته، واقضي بإرادته، وأعطيه بإذنه... وقد جعلني الله عليه قفلا، فإذا شاء فتحني، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني... فارغبوا إلى الله أيها الناس، وسلوه في هذا اليوم الشريف، الذي وهب لكم من فضله في كتابه... أن يوفقني للصواب، ويسددني

للرشاد، ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، ويفتحني لأعطياتكم
وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم... إنه سميع مجيب... وهنا نتذكر قول
العالم الحسابي عمر الخيام:

إلهي... قل لي: من خلا من خطيئة
فإن كنت تجزي الذنب فيي بمثله
وكيف ترى عاش البريء من الذنب
فما الفرق بيني وبينك يا ربي..؟

بلاد الإستبداد أوطاني

من الأمويين إلى العباسيين - من البويهيين إلى الحمدانيين، إلى الفاطميين، إلى ملوك الطوائف، إلى اتراك المماليك وأتراك العثمانيين، إلى عصرنا الحالي.. حيث لا تزال سلطاتنا هي هي دكتاتوريات غاشمة، تعمل مع مرور عقود الزمن على تطور الأحكام الإستبدادية الإرهابية، وتنشط عند كل حركة شعبية للتغيير برفع راية الإسلام وتأويل آياته البينات لصالح خزينة السلطة وجيوب أربابها... من هنا نرى أن جميع الإجراءات، التي تتخذها سلطاتنا لخنق حركات التغيير، تدلنا على أن هذه المجموعات الحاكمة تعتقد وتدعي أن سلطتهم هذه هي سلطة دينية وهبة من الله، الذي يهب الملك لمن يشاء ويحرمه ممن يشاء... وإنما في تسلطها على الرعية تنفذ رغبة الإمام، التي هي مشيئة الله، وكل من يتأفف أو يثور على أحكامها ويعادي مباحثها وأزلامها يكون زنديقا كافرا بالله وأحكامه... وفي هذا المعنى، معنى الدولة والحكومة الدينية يقول الشيخ محمد الغزالي^(١) «لا يمكن للدين أن يكون دولة، لأن الدين عبارة عن حقائق خالدة لا

(١) الشيخ محمد الغزالي المذكور هنا هو غير الإمام أبي حامد محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الخراساني، صاحب كتاب «أصول الدين، وتهافت الفلاسفة».

تتغير، بينما الدولة تخضع لعوامل التطور والتغيير المستمر»... ومن أخبار الدولة الدينية في عصرنا الحالي أن الشيخ الإيراني محمد تقي مصباح يزدي، دعا الإيرانيين إلى طاعة رئيس الحكومة الإيرانية بقوله: «إن طاعة محمود نجاد هي طاعة الله تعالى»... وفي بلدان عربية كسوريا وليبيا وغيرها قامت الجماهير تطالب بعزل واسقاط أنظمة دكتاتوريات بوليسية إرهابية سارقة فاسدة، فقابلتها تلك الحكومات بالمدافع والصواريخ وسلاح الكيمائي المميت وبراميل المتفجرات الممزقة أجساد الناس والمدمرة عمران الوطن... فوقعت الكوارث التي أصابت ملايين المواطنين بين قتيل وجريح ومشرد، وخراب ودمار... ولكن النشيد القومي والإدعاء بحب الوطن والدين بقي في أبواق الأذاعات صائحا مدعيا أن... «بلاد العرب أوطاني والإسلام ديني وإيماني»...!

في أوروبا

أما في أوروبا، لقرون خلت، كان الفاتيكان قد وضع السلطة الدينية فوق كل التشريعات لمواجهة السلطة المدنية، فقام الصراع بين العلم واللاهوت... بين الكنيسة والفلسفة... فكانت النتيجة إنتصار العلم... واستقل العقل بتصرفاته، وأحلّ نظامه العلمي، أي دولته العلمية فوق الدولة الدينية... معلنا أن الدولة الدينية هي لحل مشاكل الإنسان بعد الممات في دنيا الآخرة، في سماء الفردوس الذي يحلم به، والدولة العلمية المدنية هي لحل مشاكل الإنسان في حياته في هذه الدنيا، فوق سطح الكرة الأرضية... فالحكومات لا يجوز أن

يكون لها دين معين طالما أنها تحكم أقواما من معتقدات مختلفة، ويطلب منها أن تجمعهم في مصالح اجتماعية واحدة مشتركة ومساواة في الواجبات والحقوق... الإنسان حرّ في إيمانه، إلا أنه بهذا الإيمان ليس له الحق أن يعترض مسيرة العلم... بهذا القانون بنيت النهضة وحقق النجاح.

كانت السلطة في أوروبا مرتكزة على قانون إلهي، وكانت الكنيسة جزءاً متكاملًا مع النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي، حيث كانت شريحتها مميزة من ضرائب الدولة، وأملاكها مصانة وقوانينها ومراسيمها مميزة يعمل بها.. مثلاً: كان التهجم على الملك كالتهجم على الدين، والهزء بالأساطير كالسخرية بالله... لهذا أول خطوات الانطلاق الأوروبي كان «فصل الدين عن الدولة والسلطة والملك».

جميعنا مسلمون - ومحاطون باليهود

سلاطين الدين في عالمنا الإسلامي سمحوا بإنشاء منابر الإفتاء وإقامة المحاكم الشرعية الدينية بحجة أن الفقه وحده يحلّ ويربط، وأن الفقهاء هم الذين أشير إليهم في القرآن بأنهم العلماء الراسخون في العلم... والمؤسف المؤلم أنّ يحكم الفقهاء المسلمون في شؤون القضاء المدني وتشريعاته، ويوافقون على نصوص دينية يهودية نصت في التوراة - تثنية ٨ - ١١ - ١٢ - ١٣ وليس لها أية اثار في أحاديث أو قرآن محمد... ولحدّ هذا التاريخ... ونحن محاطون باليهود، ثقافياً ودينيًا، وكتبنا الدينية مليئة بالحكايا اليهودية المقدسة... وجاء في أقوال مؤسس أحد الأحزاب السياسية اللبنانية. «جميعنا مسلمون. منا

من أسلم بالإنجيل ومنا من أسلم بالقرآن، ومنا من أسلم بالحكمة...
والحقيقة يجب أن تكتب: «منا من تهود بالإنجيل، ومنا من تهود
بالقرآن، ومنا من تهود بأساطير الأقليات المذهبية، بالحكمة مثلاً»...
بهذا المعنى يكتب العالم الليبي، الصادق النيهوم، ما يلي: «ما يدعوه
فقهاء المسلمين باسم أحكام السنة النبوية، هو في شكله ومحتواه
تطبيق حرّ في أحكام التوراة... إننا محاطون باليهود من كل جانب»...
يعني أن إقامة الدولة الدينية، وسن القوانين والشرع اللاهوتي هو
تحويل رسالة الإسلام إلى رسالة مسخرة لخدمة مذهب يهودي
متطرف...

ويردف الصادق النيهوم: «القرآن كلمة تعني إبلاغ وبيان للناس
وإشهار الدعوة... والجامع هو لعقد الاجتماع واللقاء الإسبوعي يوم
الجمعة للحوار والمساءلة بحضور إداريي الدولة المسؤولين... واليوم
تغيّب الحوار وحلّ محله مواعظ الفقهاء في خطب الجمعة... وهذا
مجرد دليلهم على أن الفقه هو البديل عن العلمنة».

إن علم الحديث، على الرغم ما يحتويه جانبه الإيجابي، المتمثل
في حفظ كنوز من الحكمة النبوية. فقد فتح الباب أمام كل ما قيل
وقال لكي يستغل اسم رسول الله في خدمة أغراض شخصية، وأحياناً
رخيصة، وغير أخلاقية.. ويكتب العالم صادق جلال العظم:
«يستسلم الفكر الغربي لشیطان التقنية، والفكر الشرقي العربي لشیطان
الإستبداد، تقليدياً أو نظامياً»... أما الشاعر أدونيس يكتب في مجلته
مواقف أعداد ٣٤ و ٣٥ و ٣٦: «الغرب يرى الواقع في أفق المادة،
والشرق يراه في أفق الوحي... المجتمع العربي بني بشكل كامل على

الدين... وخصائص الغرب العلمي هي التقنية - الإبداع - النظام -
النسق - المنهج... وخصائص الشرق الديني هي السحر - التخيل -
اللانهاية - الباطن - الإنخراط - الإشراق - الشطح - النبوة - الرؤيا -
الحلم - العجائبية - الكشف»...

العلمنة طريق الغرب

إن طريق التطور والانطلاق مليئة بالصعاب والتضحيات أكثر من
طريق الفتوحات... ومع إنفتاح أجواء العقل العلمي في الغرب، وبعد
تكسير أقلام كثيرة واهراق حبر الكتب ودماء المفكرين والعلماء
التقدميين المنورين... وبعد مرور عقود تضحيات كبيرة وإلغاء
المجالس التفتيشية الدينية الإجرامية (التي يدعونها مقدسة)، تمكن
حملة رايات العلم من فرض فصل الدين عن سياسة الدولة
وتشريعاتها... فعملوا على إشادة دولة العلم محل دولة الدين،
فانكسرت القيود التي كانت تعرقل وتعيق مسيرة التطور والانطلاق،
ونفضت أكثرية دول الغرب المُعلَمَن إلى التسابق لبناء حضارة علمانية
عصرية، تشق خطوط طرق السفر والاتصال بيننا وبين عوالم أخرى،
ونفض كوبرنيكوس وكيلر وغاليليو وكثيرون من رفاقهم الفلاسفة
العلماء، وسحقوا بتعاليم قوتهم العقلية الأفلاك السماوية البلورية،
التي أختلقتها أوهام وخيالات الأقدمين، وكشفوا خرافات قصص
حكايا وروايات المتدينين المخدّرين... لقد برهن العقل العلمي أن
السموات ليست قبة زرقاء مرفوعة فوق الأرض ومرصعة بمسامير من
ذهب... النجوم... وبيّن أن هذا الفضاء الفسيح تسبح فيه الأجرام

السماوية ومنها أرضنا الدائرة حول الشمس... ولا يخفى ما اعترض هولاء العلماء ومساعدتهم من مشقات ومظالم سلطات الجهل الدينية... كثيرون من الذين نشروا العلم والمعلومات حوكموا بالإعدام حريقاً أو غريقاً، وأحدهم، وهو «المعلم بطرس ديانو» أول مؤسس لمدرسة فلسفة ابن رشد في إيطاليا وأوروبا، نال الجزاء على عمله العلمي هذا... وكونه حياً لم تسلخ جلده جنود مجالس تفتيش المطران توركيماذا فإنهم انتقموا منه بعد مرور عقود سنوات عديدة على مماته... لقد أحرق ديوان مجالس التفتيش عظامه عقاباً له...! هذا ولم تهدأ انتقامات أصحاب العقول الجامدة، واضطهادات الأصوليين المنتفعين من تحكّم السلطات الدينية إلا بعد الثورات الأوروبية المتتابة، خاصة الثورة الفرنسية الكبرى.

رأي الفيلسوف الألماني البارون هولباخ^(١)

قال هولباخ: «فلنجهتهد بأن نزيل نشر الأوهام وبأن نرد على الإنسان نشاطه ونجعله يحترم عقله... أما الذي لا يستطيع أن يعدل ويترك أحلامه، فلا أقلّ من أن يدع غيره يفتكر لنفسه، ويقتنع من نفسه، بأن ما يهّم أهل الأرض أن يكونوا عالم فضيلة عادلين ومحبين

(١) هولباخ: بارون الماني المولد، فرنسي التربية والمدرسة والعيشة لمعظم أيام حياته... بأمر من برلمان باريس أحرق كتابه «نظام الطبيعة» سنة ١٧٧٠ - له مؤلفات المسيحية المقنعة - اللاهوت الحمال - والأحاسيس الطبيعية... هاجم الدين والفلسفة المثالية. نسب المتدينين للجهل، وقال إن الإنسان جزء من الطبيعة وخاضع لقوانينها، وإن التربية وسيلة لتحريره (عن الموسوعات الفلسفية).

للسلم»... والفضيلة عند البارون هولباغ مرادفة للسعادة، البارون هولباغ كان معارضاً للدين ودولته وسلطته وتعاليمه، ويعلن هذا بكل جسارة لم يسبقه عليها أحد من أبناء عصره... كان يقول: الدين هو جميع مصائب الإنسان، ويردد: «الأفكار المتناقضة يقدر أن يكون بعضها بجانب بعض دون ضرر، هذا إذا لم تستعمل القسوة لتأييد البعض وإبادة البعض الآخر، فيتيسر لعموم الناس مع الزمان أن يرسوا على الحقيقة».

تاجر الدين

الشيخ محمد الغزالي الذي ورد اسمه في هذا الباب، معبراً عن رأيه في تاجر الدين والديانات يقول: «نحن ذقنا الأمرين ممن تاجروا بالدين، وتاجر الدين أشد خطراً من تاجر الوطنية والديمقراطية فهو دجال يمارس الشعوذة من أجل الوصول إلى مأرب، ولتحقيق أهواء ورغبات شخصية، وهذا لا يمكن إلا أن نصفه بالمرائي».

ويقول نابغة الأدب العالمي جبران خليل جبران:

الدين في الناس حقل ليس يزرعه غير الأولى لهم في زرعه وطر
من أمل بنعيم الخلد مبتشر ومن جهول يخاف النار تستعر
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا رباً ولولا الثواب المرتجى كفروا
كأنما الدين ضرب من متاجرهم إن واضبوا ربحوا أو أهملوا خسروا

لا سيادة إلا للعقل

التشريع الديني المبني على الأساطير الدينية هو حرب على العقل، واحتقار لعبقرية الإنسان وقدراته على اكتشاف خفايا الطبيعة، وهو إحتقار لقوته العقلية على تسخير هذه الخفايا لخدمة حياته ومسيرة انطلاقته. ويقول المثل اللاتيني «العقل الساذج كرجع الصدى، يقبل كل شيء ويردده». وتقول آياتنا الحكيمة «الإنسان ابن التربية، وهو ابن هواجسه قبل أن يكون ابن علمه»... ويكتب أمين الريحاني المفكر اللبناني التقدمي: «الشرائع تسترق، والأديان تفرق، ولا سيادة إلا للعقل»... وفي هذا المعنى ينظم شاعر المهجر البرازيلي نعمه قازان قصيدة عصماء، منها هذه الأبيات:

فلا تسألوني ما هو الدين، ويحكم هناك شؤون خلفهن شجون
سلوا الجهل عنه، فهو والجهل توأم سلوا الخوف، إن الخوف فيه كمين
ألا كل دين ما خلا الحب بدعة وكل اجتهاد ما عداه، ظنون

وانتصرت ثورات العلم

في الغرب أنتصرت ثورات العلم على الأمية الجاهلة. وحلت تشريعات سلطة العلم محل تشريعات سلطة الدين... أشادوا الجامعات

العلمية محل الهياكل الدينية، وقلموا الكثير الكثير من قوانين التشريعات الأكليرية، وبنوا الدولة المدنية فوق الدين ولم يبنوا الدين على الدولة المدنية... فالمدنية الحقيقية ألا يميز إنسان على إنسان تبعاً لدينه أو مذهبه أو لونه، بل تبعاً لكفاءته وقوته العقلية... ونصوا في دساتيرهم: «أن كل من يشك بمنجزات العلم يكون قد شك بقدرة العقل... يكون قد كفر... وبمقدار عقلانيتك تبان صحة تصرفاتك ومنجزاتك»... وأشادوا دولة العلم فوق أنقاض دولة الدين، فوصلوا إلى ما وصلوا إليه من تطور معاصر...

إن جميع الأديان هي أديان إيمان بالمعجزات والغرائب الأسطورية غير المعقولة... أي التي لا يقرها ولا يصدقها حتى عقل أطفال القرن قبل العشريني، لهذا لا تصلح أن تكون أساساً لبناء دولة وشريعة لحكم بلاد أو مقاطعة تصبو إلى التطور والإزدهار في عصور التقنية والعلوم والاكتشافات المتسارعة الإستنباط... إن مدنيات الأمم وتطورها وتقدمها وازدهارها لا تتوقف على تشريعات الدين ولا على تكثيف صلاة المؤمنين، بل على جهد وأبحاث واكتشافات العقول العلمية.

بين الأمس واليوم

الحق البشري والعدالة الإنسانية هي فوق الأديان والتدين... وعندما يصل المتدينون إلى السلطة العليا لإدارة حكومة ما، لبلاد ما، فإن كوارث الأخطاء في تصريف إدارة الدولة والإضطهادات لرعايا المذاهب الأخرى تحل كوارثها... فالمتدينون يعملون ويفتون

بتشريعات الماضي لحل مشاكل وقضايا العصر الحاضر...! كانت طريقة البشر في الأزمنة الغابرة إخضاع الناس للديانة... ديانة الفاتحين بالقوة... هذا لأن بناء الممالك والعروش القديمة ووراثة العائلة كانت من أصوليات الدولة الدينية، ووحدة المواطنين دينياً كانت الأساس لبقاء الممالك والتاج للورثاء... وأيضاً استعمال الحماس الديني في حروب الفتوحات وغزوات السلب والنهب... واليوم تغيرت الأمور، وأصبحت الممالك والدول تشاد على أسس دساتير وقوانين ومجالس نيابية ووزارية...

في الدولة المدنية العلمية المعاصرة لا يجوز ولا يسمح حتى لرئيس البلاد أن يذكر العناية الإلهية في خطبه ورسائله، ولا يليق أن يقول سننجز كذا بإذن الله أو إن شاء الله... وقد يحاكم على كلامه، لأنه بهذا التعبير يكون قد خرق الدستور وأهان وكذب قدرة العقل الكلي، الذي هو حقاً على كل شيء قدير.

السلطات الدينية، خاصة طوال الإربعة عشر قرناً الأخيرة، فرضت على المواطن العربي أن يكره حرته، ويستسلم للقدرة الخفية، ويرفض حقه في المسؤولية، ويعطي عقله فرصة استراحة مدى العمر، فينسب كل حدث للمقدّر، (للمكتوب ما منو مهروب) وكل اكتشاف علمي باهر لأرادة القدرة الخفية غير المنظورة... السلطات الدينية اضطهدت العقل والذكاء، وكانت دائماً ترفض تعاليم علماء التوعية للجماهير، وتبتعد عن التشريعات المبنية على التجربة والبرهان والإمتحان، كي تبقى تشريعات قواعد الدين المبنية على الإيمان بقصص الغيبات والخيال سارياً مفعولها

هل يعود الفاروق إلى الوجود؟

البعض من الناس يتمنون ويصلون لعودة حكومة دينية عادلة كتلك الدولة التي كان على رأسها عمر ابن الخطاب...! هؤلاء يحلمون أن يتقمص عمر بعد أربعة عشر قرناً من غيابه... فهل من المعقول أن يعود الفاروق إلى الوجود...؟ عندها سنردد ما قاله أحد الشعراء... ولو كانت عودة عمر للأرض معقولة، أو وجود أمثال عمر كثيرون في الأرض... لحسدتها السما.

السلطة الدينية النزيهة

البلاد الواقعة تحت سيطرة السلطة الدينية، تجد فيها كل سلطات حكوماتها بأيدي العجز الجهلة، وتجد فيها ينابيع الذكاء مجففة، وتبدو فيها الحياة جامدة هامة، والناس تعيش فيها منتظرة رفاهية الحياة غدا بعد الممات.. الحكومة المدنية لا تخضع لتوجيهات واحكام رجال الدين لأنها لا تفضل إي مذهب على مذهب آخر، بل تفضل كفاءة خلاقة سامية على كفاءة ضعيفة... وفي بلدان حكومة السلطة الدينية، أو حكومة المدنية المشتركة، فهي أمام أي خطأ يحدث أو إفلاس يخرج، عندها حدث عن الأزمات ولا حرج، فالتناقضات تسير من الصعب إلى الأصعب، والوطن من الضعف والتفتت إلى الفقر والهزيمة... عندها تهب السلطات الدينية لتضع كل مخلفات الجريمة على السلطة المدنية حليفة الشيطان الرجيم...! لعنه الله... هذا لأن السلطة الدينية (حسب زعمهم) سامية ومرتفعة عن

أطماع أهل الأرض، ولها حصن من الكرامة والإعزاز، وهي وكأنها على أبواب السماء ولا يصل إليها شيء من غبار الأرض...

يجمع المال لله تعالى...!

سنة ٢٠٠٥، في مطار برازيليا، عاصمة البرازيل، كشف رجال الأمن خمسة حقائب مليئة بأوراق الريالات البرازيلية، تخص المبشر الإنجيلي (النزيه جداً جداً..!) الذي يعمل في منطقة الأمازون المنخفضة... يومها نشرت الصحف أن مجموعها خمسة ملايين ريال، وتساوي مليوني ونصف مليون دولار أميركي، جمعها المبشر الديان من أبرياء المؤمنين... ولما سألوه لمن هذه الأموال...؟ اعترف حالاً... لا فض بوقه... «هذه الأموال ليست لي... هي لله تعالى»... وبعد جدال.. وأخذ ورد... قيل أنه رضي أو أجبر أن يرضى بأن يقوم البوليس البرازيلي بمهمة إيصالها إلى صاحبها (خزينة الدولة) تعالى مقابل إخلاء سبيله.

الكرافات أيضاً لله تعالى

وفي العقد الأول من قرن الواحد والعشرين أيضاً، وداخل أكبر وأغنى وأنظف «سوبر ماركت» في نيويورك... ولما كانت العادة السيئة (كما تقول أمثالنا الشعبية «العادة في البدن لا يزيلها إلا الكفن») عادة السرقة والنشل متينة ونامية في نفسية الحاخام الزائر السائح هنري سوبال (حاخام كنيس سان باولو البرازيل) فقد هب وانتشل من الصندوق الزجاجي أجمل وأثمن ربطة عنق، وأخفاها في عبه... ولما

سأله رجل البوليس الأميركي، لمن تسرق..؟ لمن تعمل..؟ أجاب
الحاخام المتدين (النزيه جداً جداً) جواباً رزيناً لا فض بوقه بقوله: هذه
الله تعالى... وهذا إلهام من الله... وأنا خادم يهوه أقوم بما يلهمني
به...! ولكونه حاخاما وخادما كبيراً ليهوه، فقد عفى البوليس
الأميركي عنه، وبعد التوبيخ من رؤسائه، فقد أعادوه في سان باولو
إلى مركزه الديني السامي الرفيع..

علوم الزمان تحويها كتب الأديان...

رجالات السلطة المسيحية المالكة ايام زمان، منذ ايام الرومان
والفاتيكان، كانت ولا تزال تقول: «الكتاب المقدس في عهديه،
التوراتي والآنجيلي، يحتوي على كل ما يحتاج البشر لمعرفة وعلمه
من المعاش والميعاد... هذا الكتاب يحوي من العرفان على المقدار
الذي قدر للبشر أن ينالوه... وقال بعض فضلائهم الكرام: أن جميع
العلوم من فيزيا وجبر وهندسة واختراعات واكتشاف وتشريعات،
وحتى علم إستخراج المعادن ورد شرحه في سفور وأنجيل الكتاب
المقدس كذلك»... أما رجالات سلطات الإيمان الإسلامي، يجابهون
هذا التحدي بقولهم «جميع الاكتشافات والتشريعات والاختراعات
العلمية قد ذكرها القرآن الكريم في آياته: دوران الأرض يقولون أن
القرآن ذكرها قبل غاليلاو منذ زمان بعيد... الذرة اكتشفها القرآن منذ
القدم، قبل الألمان والأميركان والروس وإسرائيل وإيران... كروية
الأرض عرفها القرآن قبل علماء اسكندريه واليونان... الطائرات
والتلفزيون والكمبيوتر وجميع الاكتشافات والاختراعات (وحتى

السلولار يقولون أنها جاءت أخبارها في القرآن قبل نزولها لأسواق الأميركيكان واليابان»... وبعد هذا... لا ندرى لماذا خلق الله دماغ الاكتشافات للإنسان، وطالما أنها عرفت منذ أيام موسى وعيسى ومحمد، لماذا أبقوها سرا دفيناً ولم يكشفوها للبشر منذ تلك القرون...؟

غرس التفرقة والإنقسام

في جميع اللقاءات والمؤتمرات والمحاضرات المختلطة الديانات، نستمع إلى مواعظ الواعظين وكلمات الخطباء المفوهين، جميعهم يؤكدون أن الله الواحد الأحد هو رب الجميع... والخلق كلهم عيال الله... فنصفق ونطرب لكلام موحدي صفوف المذاهب والطوائف المتضاربة الأهواء والمعتقدات... ولكن ما أن يعود الخطباء الواعظون إلى مستنقعات مجالسهم الخاصة وبيئاتهم الأصولية المتمزمة حتى يبان دجل وأكاذيب كلامهم المنبري الخطابي... فما من راع لمذهب أو لطائفة في إنفراده مع مجالس رعيته، إلا ويؤكد لأتباعه أن الله خاص بهم لوحدهم، وجنته لا يدوسها إلا أبناء طائفته، وإن أتباع الديانات الأخرى هم كفار مرتدون كذا... فالحذر الحذر من مقاربتهم ومن مدّ حبل المودة معهم... وهكذا يدوم الإنقسام، وتبقى جذور الأكاذيب فاعلة مفاعيلها في العقول البدائية البريئة، فلا تقارب ولا زواج ولا الفة حقيقية، ولا وحدة وطنية، وحتى إنسانية، بل تفوق طائفي مذهبي جاهلي، وتشريعات دينية مخالفة للعقل... ووصل إلى مجتمعنا القروي كلمات أحد هؤلاء المتدينين الذي قال بنبرة خطابية:

«وداعاً أيها الفردوس إذا كان دخولك مباحاً لغير أبناء مذهبنا ولمجموعة تعبد ربا غير ربنا، وقبحاً لمساواتنا في اقتسام الجنة السماوية مع أخصامنا في حياتنا الأرضية»... أجل... إن هذا الذي وصل إلينا، ما هو إلا إهانة لعقل الإنسان، وإهانة للإخاء البشري عموماً... وفي هذا المعنى. فيلسوف العلماء ابن رشد يقول: «الحسن ما حسن للعقل... والقبيح ما قبحه العقل... والله لا يمكن أن يعطينا عقولاً ويعطينا شرائع مخالفة لها»... ويقول أحد الشعراء:

ليس العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل

الإمام علي والقضاء والقدر

العناية الإلهية لا تؤثر على مسيرة معارف ومنجزات وأعمال الإنسان، ولا تدبرها ولا تقدرها... ولو كانت هذه العناية الإلهية هي الدافعة لأعمال أطماع الإنسان الإفتراضية، وحروبه التدميرية، وجرائمه البربرية، لكان الحساب والعقاب يجري على هذه العناية الإلهية وليس على الإنسان المسير وغيرالمخير.

رووا أن رجلاً قام إلى الإمام علي، بعد إنصرافه من وقعة صفين وقال: يا أمير المؤمنين.. أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام، أبقضاء من الله وقدر...؟ فأجابه الامام علي: «أجل أيها الشيخ... والله ما هبطنا وادياً، ولا علونا تلة إلا بقضاء من الله وقدر»... فقال الشيخ: «عند الله أحسب عنائي، إذا ما كان لي من أجر»: فقال له الإمام علي: «ويحك... لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدرًا حاتماً... فلو كان ذلك

لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد»^(١)... فقام الشيخ بعد حديثهم ينشد ويقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضواناً
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنافيه إحساناً

براهين العلم وبراهين الدين

العلم له براهين عقلية والدين عنده براهين خيالية... وعلم الكلام هو هذيان وفلتات لسان، لتفسير ما لا يفسر، وتأويل ما لا يؤول، وتطبيق ما لا يطبق... وهي مماحكات لاطائلة تحتها... وطريق النهضة الحديثة لا يكون بعلم الكلام ونصائح الإيمان بل بعلوم العصر المتطور، ونجاح البلدان والأمم والأفراد والجماعات لا يتم الا بهذا العلم... والعلم للحياة... للفكر، للبحث، للاكتشافات، للاختراعات، للمنجزات للبشرية جمعاء... العلم لا يفرّق البشر بل يوحدهم، لا يزرع العداوات بين البلدان والأقوام... العلم مباحا للإنسانية، وهو ضرورة للحياة كالشمس والأوكسجين والماء... العلم له براهينه العقلية، وقواعده بنيت على المشاهدة والتجربة والبرهان والإمتحان والبحث عن كل أصل وفصل... أما قصص حكايا أعاجيب الأديان لا يمكن تطبيقها على التجربة العقلانية الحسابية وعندما يعجز العالم يقر بعجزه ويقول «أفترض افتراضاً... والعقل في التّصور العقلاني مرتبط دائماً بالموضوع الحسابي ونظام الوجود وإدراك هذا

(١) من كتاب الزينة - المجلد الأول - صفحة ٥٠٥ - دار الجمل.

النظام واكتشاف أسرار الطبيعة والسيطرة عليها... هذا الفكر الحسابي يؤكد دائماً أن الإيمان بالعقل يجب أن يؤسس عليه العلم المعاصر... ويردد ما قاله غاليليو: «كتاب الطبيعة» إنما نتمكن قراءته بالحروف الرياضية.

أما قواعد السلطة الدينية المبنية على التسليم بما يقوله المؤمنون، أو على ما ورد في الكتب المقدسة، التي يدعون أنها كتبت وأنزلت من السماء بأيدي وأنامل واقلام الألوهية الخرساء... هذه القواعد الدينية قوامها الخيال، والإفتراس، والإيمان، والأحلام، ومضمون معانيها من إختصاص تفسيرات مشايخ المجالس وأئمة المساجد ومطارنة الكنائس...! العقل العربي يبحث فقط بأمر الله والإنسان والجنة. وأمر الطبيعة غائب عنه... العقل في التصور العربي هو القلب والوجدان والتأمل (وجنون) الحب الغرامي، مع مجمل العواطف... يتعبّد ويتأمل في الطبيعة كي يتوصل لمعرفة خالقها... الله

المتدينون - العرب واليهود

فريق العلم والمنطق اليهودي حشر المتدينون اليهود في الزاوية، وشرع لدولة إسرائيل دستورا مدنيا يقوم أساسه على العلم، بعيدا عن التشريع الديني الإتكالي... أما فريق الدين الإسلامي فقد حشر العلماء والفلاسفة في الزاوية، وأقام التشريع الديني الذي يتكل ويتوكل على القوى غير المنظورة، والتي تعيش فوق الغيوم.

العقل العربي ما زال يحلم بعودة نبيّ أو فقيه، أو رسول رائد كي

يوحد العربان وينطلق بهم لبناء حضارة جديدة وامبراطورية فسيحة...!
ويؤكد الفقهاء المؤمنون بأنهم بواسطة الصلاة وتكريسها والخشوع
والإيمان قد تتحقق أمنيتهم ويستجيب الله لطلباتهم، ونيل الأمانى
بواسطة تكريس الصلاة، والخشوع والإيمان أسهل وأريح من العمل
تلبية لنداء حيّ على الفلاح، أو السعي في مناكبها، وطلب العلم
والوعي من المهد إلى اللحد...!

ليتنا لم نعش إلى أن رأينا كل ذي جبة إلى الناس قطبا
(الشاعر الصالح العفيف)

دماء العلماء - الشهداء

الأوروبيون بدأوا يتقدمون حينما بدأ العقل عندهم يستيقظ على
أصوات وكتابات المنورين من رجالات أوروبا العقلانيين المنورين،
وأخذ يسأل ويسائل نفسه أسئلة قادت الكثيرين من مفكريهم إلى
المحرقة أو المقصلة أو غياهب القبور أحياء... وبعد جهد جهيد
وتضحيات كبيرة وجريئة، وإهراق دماء وأرواح كثيرة، تمكنوا من
إلغاء التشريعات الدينية ودفع الإرهاب الديني إلى الزاوية البعيدة.

أما نحن في عالمنا العربي والإسلامي، فعلى الرغم من
التضحيات والنضالات المريرة، وأيضاً من إهراق دماء وفيرة، فأنا
لحد الآن لم نتمكن (في أكثرية دولنا) حتى من تحقيق تشريع الزواج
المدني...!!! وطبعاً هذا عائد لثقل أغلال الكبت، وتسليط السيف
القاطع والنطع الواسع، من السلطة، على رقاب الكتاب المنورين...

وهنا نسجل بعض أسماء من لائحة طويلة لأدباء وشعراء وكتاب
تقدميين منورين عرب، نالهم ما نالهم من إضطهاد سلطوي، نفيًا،
سجنا، شنقا، عذابا جسديا، أو إعدامهم رشاً بحبيبات الكلاشنكوف،
أو تمزيق وحريق كتبهم أو منعها، أو طردهم من وظيفتهم، وحتى
هدر دماء البعض منهم وإعطاء جائزة دولارية عالية لمن ينفذ حكم
الاغتيال بهم... وهذه أسماء بعض ما بقي منهم في ذاكرتنا: محمد
أحمد خلف - (تونس) صادق جلال العظم (سوريا) الصادق النيهوم
(ليبيا) نجيب محفوظ (مصر) محمد أحمد خلف الله (تونس)
(فرنسيس مراد - جبرائيل الحلبي - إبراهيم اليازجي - شبلي الشميل -
جبران خليل جبران - أمين الريحاني - من قدماء الأدباء اللبنانيين) طه
حسين ونصر حامد أبو زيد واسماعيل مظهر وعلاء حامد - و خليل
عبدالكريم (مصر) زليخه أبو ريشه (الأردن) محمود محمد طه
(السودان. شنقه النميري) محمود صالح العوده (اليمن) عبدالله العلايلي
- مهدي عامل - حسين مروه - توفيق عواد (لبنان) محمد أراكون -
هاشم صالح - زكي نجيب محمود - سمير قصير - فرج فوده - وغيرهم
وغيرهم من أقطار عربية عديدة، وكان آخر لا آخرة تهديداتهم
للروائي المصري يوسف زيدان.

بعد هذه اللائحة عن أسماء الأدباء الذين نالهم ما نالهم من
«عاطفة» الأنظمة العربية الغيورة على الدين والوطن وكرامة المواطن
العربي والعروبة كذا!!!... تهدينا الكاتبة الأردنية «سلوى اللوباني»
كتابها بعنوانه المثير «أنت تفكر إذن أنت كافر» وفيه لائحة كبرى عن
أسماء كتاب وباحثين وأدباء وشعراء عرب قضوا انتحارا أو نتيجة

المرض النفسي قبل العضوي، أو اغتيالاً من مجهول، أو من نوبات
قلبية سببتها لهم هزائمنا امام العدو العسكري وهربنا من أمام الفكر
الإنساني الثقافي التقدمي وهم:

محمد مدور - أحمد بهاء الدين - نجيب سرور - صلاح جاهين -
أنور المعداوي - إسماعيل المهدي - خليل حاوي - رمسيس يونان -
ناجي العلي - غسان كنفاني - محمود ذياب - بدر شاكر السياب -
محمد الماغوط - فاروق اسميره - عبدالله القصيمي - محمد طريشان -
قاسم جباره - كاتب ياسين - تيسير السبول... أما في الجزائر فقد تم
دفعه واحده اغتيال (بالجملة) ستين مثقفا من قبل المتطرفين
الإسلاميين بينهم الشاعر الطاهر جاوت والشاعرة الصحفية صفيه كتو
والشاعر يوسف سبت.

عالم المهجر البرازيلي الطيب الذكرى توفيق قربان كتب:

«أقرّ العلم وبيّن أغلاط وفساد الاعتقاد بالخوارق والعجائب، فلا
سيادة إلا لنواميس الطبيعة، ولا لوم على السابقين إذا اعتقدوا بأساطير
الخوارق والعجائب، هذا لأن العلم يومها لم يكن قد اكتشف الحقائق
التي تناقضها... قديما كانوا يقولون: إن الله ساكن في السماء... واليوم
بأن وتوضح أن لا سماء ولا قبة زرقاء، فهل يجوز أن نبقى على
تضليل العامة بأن الله هو في السماء؟... علينا تعليم العامة لتأسيس
عقائدهم وتصوراتهم على صخرة الحقائق المثبتة بدلا من رمال
الخرافات».

بين الأفغاني ورينان

ونسجل أيضاً في هذا الباب رد الفيلسوف الفرنسي إرنست رينان على الإمام جمال الدين الأفغاني، الذي نقد محاضرة رينان في السوربون، عن إضطهاد الإسلام للعلماء وتناقضه للعلم، ولم يأت على ذكر اضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء.. أجاب رينان:

«لم يخل الإسلام في النصف الأول من انتشاره من ازدهار الحركة العلمية في الأقطار الإسلامية، ولكنه خنق الحركة العلمية في النصف الثاني بعد انتشاره... وقد خالني الشيخ (يعني جمال الدين) غير منصف ولم أوف الموضوع حقه عن المسيحيين ما قلته عن المسلمين، بأن الإضطهاد عند المسيحيين لا يقل عما بين المسلمين.. وهذا قول حق.. فغاليلو لم يلق من الكاثوليك خيراً مما لقي ابن رشد من المسلمين، وإذا كنت لم أطل القول في هذه الحقيقة فلأن أرائي في هذا الشأن معروفة ولا حاجة بي إلى تكرارها على مسمع محفل ملّم بكل أعماله وأرائي... أنا لا أريد من المسيحي أن يترك عقيدته المسيحية ولا من المسلم ترك الإسلام... ولكني أريد من المسلمين والمسيحيين المستنيرين أن يهتموا بالعلم اهتماماً لا تعوقه عقيدة الدين، وقد تم هذا في نصف البلدان المسيحية ونرجو أن يتم مثله في الإسلام..».

الإنسان

على رسلكم يا بني أُمي : نحن بحاجة أن نكون جزءاً
من هذا العالم

(إدوار سعيد - من كتابه فلسطين وقضية الحرية)

الإنسان... هذا الإنسان... الذي عاش حالما أنه هبط من السماء -
مثله مثل جده آدم، الذي «دفعه» الله من الجنة الفيحاء إلى هذه الدنيا
الدينية... ولما جاء الفلاسفة وأعادوا الإنسان إلى مقامه الحقيقي في
الطبيعة، أي إلى الجنة التي كان يحلم بها ويصبو إليها... حينها قام
يعمل لإيجاد طريقة للسفر إلى الأفلاك جارة كوكبه الأرضي وشريكته
في الدوران حول الشمس... فتفتحت براعم عقله المادي، وأخذ يميّز
ويبحث ويقيس بين فروقات المخدّر والمقدّر وبين عقل القدرة
والقادر على كل شيء... ومنذ ذلك اليوم قام الصراع بين التطور
والتخلف، بين الانطلاق والتفوق، وبين الظلمة والنور... هذا
الإنسان... وهو ابن المورثات... وهو كالشجرة لا تستقيم إذا نمت
عوجاء ولا تعوّج إذا نمت مقومة... هذا الإنسان الذي اهتدى إلى
طرق النور العقلانية المضيئة... وهذه الأجيال التي تنمو وتتجدد،

تكتسب وتتطور، تتعلم وتبحث وتستنبط، لا يمكن أن تعود إلى ظلمة الجاهلية...

- كل ما في الوجود الكوني يتغير ويتبدل... الجامعات فتحت نوافذ النور على العقول البشرية، والعقل الجبار يسجل انطلاقة المعرفة الإنسانية بما يوازي اكتشافات كل أسبوع تقدم سنة كاملة من الماضي، وتطور كل سنة من القرن الحالي توازي تطور قرن كامل من التاريخ... والعقائد... عقائد الأمس الدينية - سياسية - اقتصادية - وطنية - اجتماعية وقبلية تقليدية.. الخ... فقد أكل التطور عليها وشرب... ونحن.. عرب الدين والتدين.. بدلا من السير إلى الأمام جمدنا في مستنقعات الماضي، وجعلنا من عناد الثبات على تشريعات التخلف والاتكالية موضوعا للمديح، ولم ندر أن هذه التشريعات أصبحت في مدافن بقايا الآقمار التي صنعها العقل والعائدة قطعاً حديدية إلى منطلقها الأرضي، وأن علينا أن نرافق مسيرة العصر تبديلاً وتغييراً في تشريعات عقائدنا ودساتيرنا ومدارسنا... وكثيراً ما حملتنا الحيرة إلى التطلع كيف جمدت مسيرتنا، وانهارت عقائد تطورنا... وكيف انتصرت ونجحت الأمم التي درست وخططت وعملت... وذهلنا كيف قفزت عالمياً العولمة الدولارية لمحل الأممية الشيوعية، وأصبحت الصهيونية أعلى مراحل الإمبريالية... وبنفس العصر في منطقتنا حلت عقيدة الأساطير الدينية محل القومية العربية، وداعش دولة المسلمين مكان سوريا للسوريين والسوريون أمة تامة، وحل شعار بلاد العرب أوطاني من البصرة إلى إيران محل أمة عربية واحدة

ذات رسالة خالدة... كل هذا ولم نستوعب أن غفوة العقول تأخذنا للإفول، وأن الأمم في تطورها وانطلاقتها هي في باحات جامعاتها وليست في ناطحات مآذنها وكنائسها.

يا للعجب... يا للعجب... ولماذا تركنا قراءة ترجمة المثل الأنكليزي القائل: «الحمير والموتى هم الذين يرفضون تغيير أفكارهم وعقائدهم نحو الأفضل».

في كل يوم يقدم لنا العقل مفاجأة عن كشف سرا من أسرار الطبيعة والكون والإنسان والوجود، ويمدنا بالبراهين العقلية الملموسة والمنظورة والحية الناطقة... ولكننا... ويا للأسف مازلنا نحسب العناد الجاهلي فضيلة الثبات على المبدأ والعقيدة، وما زلنا نرفض العلوم ونجلد ونهين كل من يطالبنا بالتغيير، ونطالب بإنزال العقاب بكل من يقول أن الأرض تدور...! ونسخر من الذين يدعوننا لزيارة المتحف كي ننظر التراب الذي جلبه رجل الفضاء الأميركي معه في زيارته لبدر سهيل.

أحداث تاريخية

«أحداث تاريخية ضد انطلاقة الحضارة العربية: الغزوات الصليبية - غزو التتار للمشرق العربي - سلطة الدين الفردي ودفن الشورى...».

عوامل هذه الغزوات... وعوامل دمار صمود الآباء القومي الوطني، وفقدان حرية الإنسان الفرد، واستفحال الطابع اللاعقلاني... وحلول الطابع الإتكالي الخرافي محلّ التوجيه الثقافي العلمي،

وتشريع الصلوات الإتكالية محل نداء الفجر «حيّ على الفلاح»،
والدعاء «الله يهب النصر لمن يشاء»، «محل أعدوا ما استطعتم لهم
من قوّة»، والإيمان بأن الله يعطي الرزق لمن يشاء ويحرمه لمن يشاء
«محل واسعوا في مناكبها»... أما شروحات البيان العقلي للكندي وابن
رشد والفارابي وابن سينا وابن باجه فقد دفنتها ومزقتها خناجر الغزاة
الشرقيين تارة والغربيين طورا.. فالصليبيون من الغرب، عبر شعار
تفانيهم لإنقاذ الصليب المقدس من أيدي الكفرة المسلمين...! فأول
ما فعلوه من عمليات إنقاذهم للصليب أنهم أحرقوا كل محتويات
مكتبة طرابلس الكبرى في لبنان... وفي الأندلس الأخضر الغني
بالحضارة وموسوعات العلوم، فإن جنود مطارنة مجالس التفتيش،
أحرقوا مكتباتها ومحتوياتها، واستعملوا جمر الكتب المحروقة لشوي
الأجساد المغربية الإسلامية واليهودية المثرية.. والتتر المغول مزجوا
حبر الكتب والمجلدات مع دماء سكان بغداد ومياه دجله... هذا
ولكي يبقى اسف الألم بعيدا، لا منسيا، نترك ذكر ما قام به حكامنا
الأميون، وفقهاء ديننا الأصوليون من اضطهاد لرجال العلم
الجهابذة ومن ذكرى الحرائق العالية النيران للمكتبات والكتب، خاصة
مكتبات الفاطميين في مصر، فما أن جاء تحكم باشوات أتراك بني
عثمان حتى كانت المدارس قد ازدادت في تعويم مناهجها وبرامجها
إلى برامج دينية... فعم طوفان الجهل وإرهابه، وغطت المخدرات
الدينية العقول. وقام عراك دائم وصراع تحدي دائم لأجل إحتواء
الماضي وتوظيفه ثقافيا وفكريا وماديا وميدانيا لصالح كراسي وتيجان
الحكام... وهكذا فإن تنافسنا على إحتواء الماضي جرّنا إلى التأخر

والتفوق، وقضى على تطوير وتنظيم حاضرنا ومستقبلنا... ومنذ ذلك اليوم إبتدأ عقل المسلم عامة والعربي خاصة بتقديم استقالته في الصراع النهضوي للحياة، والذي هو من أوائل وقلب الرسالة الدينية المحمدية... بعد هذا وقف الإنسان العربي متطلعاً بالنجوم والغيوم منتظراً محمداً جديداً كي ينقذه من جاهليته الجديدة.

كلمات وآيات خالداً

- الوعي لا يتفق ولا يترافق مع الجهل
- الكفر المخيف هو الكفر بنفسك (كارليل).
- الثورة العالمية الكبرى القادمة هي ثورة الإنسان على الأكاذيب والأوهام والأساطير والطلاسم وتفسيرات تعاليم الدين التي صقلوها وأولوها وفسروها تفسيرات كهنوتية مخدرة، حيث قالوا أن الحوار والجدل في الدين كفراً، وهدروا دم كل من خالف أقوالهم وكتبهم وإيمانهم.
- أريد أن أرى في بلاد العرب ثمار الأنبياء وثمار العلماء على شجرة واحدة (الريحاني).
- أكل التعصب الديني قلب الشرق، وهزأ ببنيه، وأفسد انسجته، وسَمّ دمه، ولفّ حول دماغ الشرقي طبقة جيولوجية صرفت الطبيعة دهوراً في إعدادها، فأصبحت كالمرض المتوارث يتوارثه الخلف عن السلف (الدكتور خليل سعاده - سان باولو - البرازيل).

- تختلف المذاهب لأنها من صنع الإنسان ولكن الفضيلة واحدة في كل مكان (فولتير).
- صار الإنسان معقدا بسبب تمسكه بالتقاليد (من كتاب الجدليات - كمال جنبلاط).
- المتملقون لا يصلحون للشورى... ولا للنصيحة...
- كل من لا يسمي المرض بإسمه لن يستطيع الشفاء...
- نحن مجموعة متحدة في الجهل، وعلى ممارسة الجهل، وعلى العيش في الجهل، وعلى تقديس أساطير وحكايا الجهل، وعلى التخلف والكذب والإختباء وراء الإستتار بالمألوف والمجاملات اللفظية المنعّمة، وجميع هذه الأوصاف نفاخر بها وننعتها أنها من أمجاد تاريخ تقاليدنا العريقة (أديب اغترابي).
- سخروا اكتشافات العقل لخدمة الأساطير والمعتقدات الخرافية.
- الجنة جنتان: جنة النعيم وجنة المعرفة... وساكن جنة النعيم لا تقبله جنة المعرفة ولا هو يتقبلها... وجدنا المرحوم آدم مثلاً.
- محنة العقل العربي، هي أن يبقى عقل الإنسان العربي الماضي سيداً على عقل إنسان العربي الحاضر والمستقبلي.
- نحن مجموعة متحدة على التغني بأشعار الماضي الحماسية، والبهورة «والتفنيص»، وتحويل الهزائم المخجلة إلى إنتصارات عبر إذاعاتنا وعبر تصريحات وخطابات (الآلهة) قادتنا... (أديب اغترابي).

- كل تعصب لدين ما، وكل عبادة لإرث ثقافي هو عامل من عوامل الجمود (من كلمات الطبيب العالم فضلو حيدر - مغترب في البرازيل - طليا - بعلبك أصلاً).

- خلاص الإنسان مرهون بوعيه والتطور الإنساني لا حدود له (فضلو حيدر).

- كل المنجزات المدنية للإنسان، وحتى الأديان التي يقولون إنها منزلة هي من ثمار دماغ الإنسان والأديان هي فصل من ثقافته كالعلم والفلسفة (ابن طفيل).

- الفكر الديني لم يكن شاملاً للبشر جميعاً في أي وقت من الأوقات، وأبو العلاء هو الشاهد الأكبر (لا إمام سوى العقل)... وعمالقة الفلاسفة الأندلسيين العالميين، ابن باجه وابن طفيل وابن رشد كانوا يقولون: دين العلماء هو دين العقل، ودين العامة هو الإيمان الذي يخدر مخاوفهم ويضمن لهم الخلاص من الخطايا.

- عصرنا الحالي هو عصر أنبياء العلم

- الأخلاق مصدرها الوعي العلمي (الدكتور باسل فرحات - سان باولو - البرازيل).

- إخفاء الحقيقة جرم، والإستتار بمألوف الأساطير له توبيخ ضميري.

- إذا المرء لم يعلم دخيلة نفسه فلا علمه علم ولا الله أعلم (نعمه قازان).

- تنافسنا على إحتواء الماضي قضى على تطوير وتنظيم حاضرنا.
- الحاكم بأمر الله الفاطمي أوجد مذهباً عقلائياً لا يقر إلا بمبدعات العقل، ولا يعتمد إلا على اكتشافات وبراهين العقل، فوصفوه بالمجنون...!!!.

- الخرافات تنمو مع الأيام وتزداد مع الزمن القاحل ثقافياً.
- المعجزات لم يخلقها محمد ولكن الناس اختلقوها (معروف الرصافي).

- التكنولوجيا الهائلة ساهمت بأحداث تغييرات في معنى الثقافة نفسها، فضلاً عن وظيفتها (الإنترنتولوجي البريطاني أدواردو تايلور).

- أوروبا تقدمت وانطلقت لأنها أخذت بأفكار ابن رشد، والعالم العربي تأخر لأنه تخدر بأفكار فلسفة الغزالي ووعود جناتها الدينية (ملحد فهمان).

- الخليفة الأموي الأندلسي هشام ابن الحكم أحرق مكتبة قرطبه تحت تأثير الحملة التي قام بها الغزالي في المشرق العربي ضد الفلسفة والفلاسفة (القمع السياسي - د. عفيف فراج ٢٢٧).

- الفيلسوف اللاهوتي أبو حامد محمد الغزالي (طوس - خراسان ١٠٥٩) الذي هاجم الفلسفة والفلاسفة وخاصة الفارابي وابن سينا وابن رشد... وكان يقول أنه لا يرى في الأقيسة العقلية أداة صالحة لمعرفة الحق. والأداة الصالحة عنده هي الذوق الباطني...

الغزالي وبيت المقدس

والغزالي هو الذي أسس مدرسة التخدير الدينية، والتي ما زلنا ندرس فيها هذا الفيلسوف الديني، والمدّعي الغيرة على الدين الإسلامي ومقدساته، فهو لم يكتب كلمة ولا تفوه بخطبة ضد الإكتساح الصليبي ومذابحه للمسلمين، لا ولم يشر بكلمة أو نداء للمسلمين كي يتحدوا ويسترجعوا القدس «المقدسة» التي أحتلها الصليبيون وعاثوا فيها قتلا ونهباً وتشريداً.

- الغلبة للأكثر تطوراً وانطلاقاً وليس للأكثر صلاة وابتهاالات (باسل فرحات).

- الإنسان يولد مع كل نفسه ولكن ليس مع كل عقله (الفرنسي هلفينيوس).

- إن الشرائع القت بيننا إحنأ وأودعتنا أفانين العداوات (المعري).

- نحن مجموعة شرقية تستطيب وضع مسؤولية هزائمها على ظهر غيرها، على الذين غشونا وخدعونا وباعونا سلاحا (عرفنا بحدة ذكائنا دون استعماله أنه...!) لا يصلح للهجوم...!! بل فقط للدفاع!!

- لا شيء ينقص شعبنا الشرقي ولا عيب يعيبه إلا عيب الجهل.

- والعلم شرقيّ الديار مغربٍ فإذا دعاه الشرق عاد لأهله
(أحد الشعراء)

- الفكر البشري لا يستطيع التطور والإبداع بدون جدلية،
والقائمون على التبشير بالديانات لا يقبلون ولا يسمحون بالجدل
والحوار، ويصرّون على الإيمان الديني الأعمى الدائم، بينما
العلم لا يقبل الإيمان الدائم إلا بعد معرفة البرهان...

- الناس العاديون يحبّون الخيال لأنه أسهل من الواقع.

- الحلم بتحقيق الرفاهية في الجنة غير المنظورة وغير الملموسة،
أسهل للناس من الواقع العملي لتحسين حالة معيشتهم في الدنيا
التي يعيشونها، والإستماع إلى مواعظ رجال الدين المخدرة،
التي تغلف أجفانهم بالنعاس أكثر مما تقلقهم، هي أكثر راحة
لهم من السعي في مناكبها.

- ويتسائل فرح أنطون: كيف يكون المرء أميناً مع الجوع... صادقاً
مع الظلم... ومحباً مع الحقد والبغض والحسد.

- علينا بإحلال الإيمان بالعقل محل الإيمان بالأساطير.

- التربية الطائفية نحرت القيم الأخلاقية الإنسانية والدينية.

زيوت المصابيح والكهرباء

كان الأقدمون، أيام العصر الحجري، لكي يستضيئوا يحرقون زيتاً
من الزيوت أو دهناً من الأدهان، فيحرقون الأدهان الحيوانية في قطع
خشبية مجوفة للإستنارة بها... وكان الرومان يحرقون زيت السمك أو

غيره وكان قصدهم من إصطياد الحيتان قديما الحصول على زيتها والإستنارة به.. وكان الصينيون يصنعون مصابيحهم الجميلة ويشعلون فيها زيوتا نباتية... واليوم... والنور... والكهرباء... وعميان عناد الجهل، حملة جماجم عكس السير، لا يقرّون بقوة العقل الذي اكتشف الكهرباء، وأنار بها الكرة الأرضية، وكأنها شمس ثانية.

ويقول أبو العلاء المعري:

تغيّر ملك حمير ثم كسرى ولم تقبل تغيّرها الطباع

الأصوليون وأوليّ الألباب

الأصوليون جمعوا من العلوم المختلفة ما يرجع إلى غرضهم ويختص ببحثهم ويتفق مع أهدافهم الخاصة... فألفوه وجعلوه علما واستعاروا أصول الفقه للتشريع. ولكن الإمام الشافعي وهو المشرع الأكبر للعقل العربي كان يكتب ويقول: «الحق عنده ما هداه إليه العقل» وفي ذلك الزمن كانت معرفة القرآن المفصلة موكولة (في القرآن) إلى الله تعالى وإلى أوليّ الألباب... فهب الأصوليون وجعوا من غيبات الإسرائيليات عنصرا أساسيا في استشراقات التفسير العقلاني العربي، ومقدمة من مقدماته، وأصبح الإيمان بالغيب ركنا من أركان الإسلام، ومرجعا للإيمان بالله وملائكته، وحكايا الإسرائيليات دينا ومعنى، ومصدرا لا ينضب لكل ما هو غير معقول في الفكر الديني الثقافي العربي.

ليقرأ الأصوليون

الأصوليون... ومعظم رؤسائهم، أمثال ابن تيمية، والغزالي، والماوردي، وابن الجوزية، وابن الحزم... هؤلاء خاصموا كل نقد وكل ناقد للأساطير والخرافات الدينية، ولكل من يفسر القرآن وآياته تفسيراً علمياً عقلانياً ويرفض الاعتقاد بالمخدرات الإتكالية الدينية... فيتهموه بالهرطقة والكفر، ويصدرون عليه الأحكام بقطع رأسه.

تابع كلمات وآيات خالداً

- الخرافات تنمو مع الأيام وتزيد مع الزمن إذا لم تجد من يحاربها ويبين خطر إحتوائها عقول الناشئة، هذا لأن زارعو الأوهام والخرافات لا ينامون (أديب المهجر الأرجنتيني جبران مسوح).
- الشريعة التي لا تضمن حقوق الناس في الحياة لا تستطيع أن تضمن حقوقهم بعد الممات - لا يصلح شأن الأمة إلا إذا ضعفت بها شوكة الديانة (شبلي الشميل).
- الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له (ابن رشد).
- الإنسان جزء من الله (سبينوزا).
- الله بحاجة إلى الإنسان والعالم، فلكل موجود غاية من وجوده، وبدون الإنسان يصبح الله راع بدون رعية، فعلى من يمارس رعايته وملكيته..
- ولولا وجود الإنسان ما وجدت فكرة الله (هيغل).
- يقول أحد رجالات العلم: العقول الكبيرة تبحث عن الأفكار.

- والعقول المنفتحة تناقش الأحداث، والعقول الصغيرة تتطفل على شؤون الناس.
- هل يستطيع البشر على الحياة دون الله..؟ أو هل يستطيع الله أن يبقى بدون بشر.
- لو لم يكن الله موجودا لكان ينبغي اختراعه (الفرنسي العظيم فولتير).
- إذا لم يكن الله حقيقة فهو ضرورة (حمزة بن علي من دعاة الدعوة الدرزية).
- الإنسان أخ الإنسان أحب أم كره (كلمة لمحمد رسول الله).
- الإنسان لا يستطيع أن يفهم إلا ذلك الذي صنعه الإنسان.
- الأشياء الصغيرة تلهي العقول الصغيرة.
- الله... قبل إثبات وجود الله، نحن نحبه دون أن نعلم لماذا... لأن الله يعني في الفلسفة كشرط لوجود الأخلاق - والحق - والعدالة.
- تقدم المسلمون وازدهر الإسلام عندما كان مذهب العالم كفاءته وليس دينه.
- لا تنظرون لإمرء ما أصله أنظروا إلى أعماله ثم أحكم (أحد الشعراء)
- إن التعب في الصالحات لا في تمة الصلوات (الريحاني).
- البشر الذين لا يقدرُوا أن يغيروا أرائهم ويرافقوا مسيرة عصرهم قد يهلكون نتيجة عنادهم وتحجرهم (صادق جلال العظم).

- إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون (الحج ٧٤) وهذا يعني أن زمن التطور يقاس بالآلاف السنين.
- الحرص على الحقائق المستخلصة، والإجتهاد في متابعة البناء على أساس هذه الحقائق إيماناً بقدرة العقل البشري على الإرتقاء وارتياحاً لأفاق جديدة (من كلمات الكندي فيلسوف العرب).
- العقل هو فعل تبين به النفس عما هو فيها بالفعل... والله هو العقل الأول (الكندي).
- بالعقل ندرك الكليات، ووجود المادة مرهون بتصورها في العقل (الكندي).
- الكندي يقول: أن العقل أربعة أقسام:
- القسم الأول: العقل الدائم الفعل هو الله أو العقل الأول الذي هو علة كل معقول في الوجود والذي يهب الأشياء ماهياتها وصورها...
- والعقل الثاني هو نفس الإنسان أي القوة...
- وثالثها هو العقل بالملكة ويستطيع استعماله متى أراد، كقدرة الكاتب على استعمال القلم.
- ورابعها هو العقل البرهاني... والإنسان متى غلبت عليه الشهوة فهو خنزير، ومتى غلبت عليه الغضبة فهو كلب، ومتى غلب عليه العقل فهو ملك.
- المعتزلة... حركة فكرية، جعلت العقل منارها ونبراسها،

وأخذت بالمعايير المنطقية، وطرحت جانبا كل المقاييس التي يرفضها المنطق السديد.

- الفضيلة بدون علم أفضل من العلم بلا فضيلة (جان جاك روسو).

- إذا لم تتفق آراء وكلمات القدماء الحكيمة مع حاجات العصر ومستوى تطويره يجب تأويلها، وإذا لم نسطع فيجب نبذها.

- قد يقف التاريخ مئات السنين عند محطات جمود إنساني منتظرا هذا الإنسان كي يخرج من جموده وجاهليته... ولكنه لا يسير إلى الوراء.

- من زار الشرق وأفريقيا جوبه بنوع الحلقة الحديدية التي تسجن رأس المؤمن، جاعلة إياه مغلقا تماما عن استيعاب العلم وغير قادر أن يفتح على أي شيء جديد (ارنست رينان).

- ومن البلية عذل من لا يرعوي عن جهله وخطاب من لا يفهم - إذا لم يكن في الدين سوى تقييد حرية الفكر لكفى أن يكون علة شقاء.

- العقل وكيل الله عند الإنسان (الجاحظ).

- الفيلسوف الفرنسي الناقد «فولتير» وجماعته كانوا يفضلون دكتاتورية العقل على ديموقراطية الجهل.

- ثورات الفقراء الجاهلين هي ثورات أو فورات فقيرة جاهلة لقبائل أمية متنافرة (الصحافي البرازيلي ماريو سوبرال).

- سابع من يدعو إلى الخير جاهدا وأرحل عنها ما أمامي سوى العقل
(أبو العلاء)

رجال العلم

من كبار رجال العلم والعقل الحكيم في المشرق العربي كانوا:
شبلي الشميل: هاجم الأدب لصالح العلم وفسر نظرية داروين.
فرح أنطون: هاجم رجال الدين المضللين وأبرز الفرق بين
تعاليمهم وتعاليم رجال الدين العقلانيين الصادقين.
عبد الرحمن الكواكبي: كان أول من طالب بفصل الدين عن
السياسة والدولة.

أمين الريحاني: قدم لنا في مؤلفاته ومحاضراته مدرسة توعية
عقلانية تامة.

جبران خليل جبران: كتب الأرواح المتمردة والأجنحة المتكسرة
ضد الإقطاع واستثمار وعبودية الإنسان للإنسان، والعواصف ويسوع
ابن الإنسان كي يبان الفرق بين رسالة المحبة والوجدان وبين تعاليم
تجار الأديان.

وغير هؤلاء من قدامى الأدباء التقدميين المنورين كانوا كثرة مميزة
أكثر وأنتج مما عندنا اليوم... كما أن الأديب الاغترابي لم يتوانى ولم
يتأخر بالإنتاج الأدبي التقدمي الدافع للتنوير وكشح الخرافات عن
العقول... ولا خلود إلا للأدب الموجه المفيد.

- والمتملقون لا يصلحون للشورى... لا ولا للتوجيه ولا للإفادة.

ابن رشد لم يتنكر لضرورة تعاليم الدين التي تدعو للخير والابتعاد عن الشر، ولم ينكر أصول الدين الروحية الإنسانية، ولكنه بيّن أن الذنب كل الذنب هو عند الذين يسيئون فهم أصول الدين ويستعملونه لتخدير العقول بالحكايا الخرافية، ويزرعونه في عقول الناشئة كقيد تخلف واتكالية، ويتّجرون بشرحه لغايات أنانية مبرحية، تصل بهم أحياناً إلى اشهار الحروب والمعارك الدموية، وإلى استعمال الطرق الإجرامية الدموية ضد الإنسان والإنسانية.

المعصومون

الأنبياء العبرانيون الأربعة والعشرون (٢٤) معصومون... والنبي العربي وهو الغريب الوحيد بين انبياء الإسرائيليين، الرسول محمد بن عبد الله معصوم... الإمام علي بن أبي طالب معصوم... الحسنان معصومان... جعفر الصادق معصوم... موسى بن جعفر معصوم... إسماعيل معصوم... أبو هريرة وسائر رواة الحديث صادقون... فما هي علاقة «عقلي أنا» ابن القرن الواحد والعشرين بجميع هؤلاء المعصومين..؟

الفكر - إداة ومحتوى

تقدم وتطوّر الفكر - كإداة ومحتوى... كان ولا يزال مرهونا بتقدم العلم... ولكن... والعلم العربي لم يكن موجودا أيام النهضة الثقافية العربية... أيام أطلت على شرقنا الأدنى ترجمات كتاب الغرب العلمانيين، وبان أثرها في كتابات كتاب العصر المنورين^(١)، التي شعت أنوارها في أواخر نصف العقد الأول من القرن الماضي، حيث أنتشرت كتابات تقدمية نهضوية لم تجد لها عندنا تربة لتنمو، فتقلصت وجمدت، لأنها وجدت الساحة العربية تعج بالأمية، وجماعة الأقلية التي استوعبت وساهمت في نشر الأفكار الأوروبية حوصرت من أهاب السلطات الدينية والزمنية. والشاهد كتاب الأرواح المتمردة لجبران خليل جبران الذي أحرق إصداره الأول في الناقوره، وهو في طريقه من مصر إلى لبنان. والشاهد الحالي فقدان ترجمات الكتاب الأوروبيين، وخاصة الفرنسيين المنورين من رفوف المكتبات العربية... وبينما تجد مئات الكتب الدينية لا تجد كتابين علمانيين.. إن الرغبة العارمة في قراءة الكتب الخيالية المخدرة هي ثمرة التربية

(١) من أغنى هذه المؤلفات كتاب أثر الثورة الفرنسية في الفكر العربي الحديث، تأليف عملاق الأدب العربي التقدمي الطيب الذكرى رثيف خوري.

العائلية والمدرسية والاجتماعية في بيئتنا المتخلفة... لقد بتجوا العقل العربي وتركوا فيه فقط ممرات لنسيمات الخرافات التوراتية والحكواتية... لهذا مرت علينا عقود النهضة الثقافية العربية وبقينا جامدين ولم نحصل على القليل من الكثير التي حصلت عليه أوروبا من اليونان ومن العصر الأندلسي الرشدي قديما، ومن عصرها التنويري حالياً..

في عصر النهضة الثقافية العربية (أواخر القرن التاسع عشر ووائل القرن العشرين)، كان العشرات القلائل الذين يدرسون ويدرسون الرياضيات مقابل الآلاف الذين يدرسون ويدرسون البيان وعلم الكلام... وبينما كنا في تلك الأيام بحاجة ماسة إلى مسيرة التطور والانطلاق، كانت حاجة التطور تحددها وتوجهها المصلحة السياسية لأصحاب السلطتين الزمنية والدينية... حتى الشعر العربي الذي له (في كل عرس قرص) قوافيه واوزانه وأبياته في كل موضوع حياتي، لم نر له إلا لمسات لطيفة خفيفة لدفع الإنسان العربي نحو الإستنباط والإبداع، وبعض الأبيات الخجولة لكشح الأساطير عن العقول الغافية، لدفع مسيرتنا الحضارية والإبداع...

والإبداع... هذه اللمسات لم يُوفّر لها جو الانطلاق، فبقيت راکدة على أريكة الماضي التليد... وأبو العلاء لم يترك خلفا له... الشعر العربي في زمننا الغبي القاحل الذي نعيشه، غالى كثيراً في وصف وقدح ودم الداء، ولم يجرؤ على وصف الدواء... كدس الكثير من القوافي شتيمة ومسبات في الأنظمة العربية (التي يصفها بالرجعية) ومديحا بالأنظمة (التي يدعوها ثورية)... ولم يخطط طريقاً أو يرسم

خطة للصعود على درجات التحرر والانطلاق والتطور، تنافسنا على الماضي وتمجيده... اشتداد جهل عنادنا المذهبي لنصرة هاتيك الدولة على تلك، وهجاء زعماء ذاك المذهب وتمجيد زعماء مذهبنا... كل هذا أدخلنا حلقة صراع دائم على إحتواء الماضي وتوظيفه ثقافيا وفكريا وتاريخيا وميدانيا واذاعيا لخدمة انانية السلطة وأحتواء الوظيفة والمصالح الفردية الخاصة... إن تنافسنا على إحتواء الماضي قضى على تطوير وتنظيم الحاضر والمستقبل، والعقل المسلم بدأ بالتقوقع والتأخر عندما أبتدأ هذا العقل المسلم يقدم استقالته في صراعه مع الدين.

يقول فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة أبو العلاء المعري:

يرتجي الناس أن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيرا في صبحه والمساء
إنما هذه المذاهب أسبا ب لجذب الدنيا إلى الرؤساء

إخوان الصفاء يكتبون:

«تصرفات الناس ليست كما يقولون أنها من مشيئة الله... الناس يتصرفون حسب عاداتهم التي نشأوا عليها، وحسب أخلاقهم التي تطبعوا بها، وبحسب آرائهم التي اعتقدوها... ولما كان المبدأ الأساسي عند إخوان الصفاء والمعتزلة هو العقل، وتسربت نظرياتهم إلى القاهرة الفاطمية، وإلى قرطبة الأموية، ومنهما إلى أوروبا الجاهلة المتعطشة للعلم، وكانوا يعدّون ظاهر الشريعة صالحا للعامة دون

الخاصة... والخاصة نصيبتها النظر الفلسفي العميق... وكان دورهم مع المعتزلة دور المنورين العظام، الذين ساروا في الإتجاه العقلاني، وتبعهم فيما بعد الكندي وابن سينا والفارابي والمعري، ثم الفلاسفة والعلماء الأندلسيون، كإبن طفيل وابن رشد وابن باجه وغيرهم... أما الحاكم بأمر الله الفاطمي كان الخليفة الوحيد الذي جعل من رسائل اخوان الصفا مرجعا لرسالته العقلية، ومن اطروحات المعتزلة وأفكار المعري بوصلة للوصول للحقائق العقلية الكونية.

يدورون حول الأرض

في القرن الثاني بعد المسيح، كان الناس يعتقدون بنظرية بطليموس، (دون تقديسها) ويقولون أن الأرض مركز العالم، وأن الشمس والنجوم السيارة تدور حول الأرض متجهة بحركاتها من الشرق إلى الغرب على الوجه الذي نراه كل يوم... كانت هذه النظرية هي المعروفة والتي جاءت قبل محمد بثلاثة قرون وقبل مجيء «كوبرنيكوس» العالم الفلكي المشهور الذي أبطل هذه النظرية ووضع نظريته القائلة بأن الأرض ليست مركزا للعالم وأنها يتدور كل يوم على محورها حول الشمس... ويكتب معروف الرصافي في كتابه «الشخصية المحمدية» إن محمداً جرى في القرآن على النظرية القديمة التي كانت شائعة في زمانه...

ويقول أديب المهجر البرازيلي جورج حسون معلوف (بكفيا لبنان أصلاً):

«الفكر المخطط هو الفكر المنتصر على الزمن والفضاء، الخالد برغم الإبعاد وحدود الوقت الذي وضعته الطبيعة وأقرّه الإنسان».

«والجنة بعد الموت... هذا وعد غير قابل للإمتحان».

ويقول الفيلسوف نيتشه:

- الحية التي لا تستطيع أن تغيّر جلدها تهلك، كذلك البشر الذين لا يقدرّون أن يستوعبوا المعرفة ويطوروا آرائهم من الصحيح إلى الأصح، هؤلاء لا يعدّون بشراً.

- العقل هو كل شيء وما سواه إلا إجهاد وملهاة يتلهى بها صانعوا الكلام الفارغ.

- من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض (الإمام علي).

- كتب أحد المفكرين: لماذا يتهافتون ويتسابقون على تطوير الرأسماليه وطرقها وآلات حسابتها ووسائل تطوير أرباحها، وتحديث كل الاختراعات الصناعية والزراعية، ووسائل النقل الجوي والأبراج والأوتيلات ولا يقبلون بتطوير عقلية البشر الذين ما زالوا ينامون تحت ألحفة الماضي وأغطية الزمن الغابر.

فصل الدين عن السلطة

في أوروبا القرون الوسطى كانت السلطة الملكية مرتكزة كما يزعمون على قانون إلهي... وكانت الكنيسة جزءاً متكاملًا مع النظام السياسي والاجتماعي. وكان التهجم على الملك كالتهجم على الدين وعلى الله، والتهجم والنقد والهزء بالأساطير كانوا يحسبونه كالتهجم على الملك والسلطة والدين كانت أول خطوات الانطلاق والتحرر الأوروبي هو فصل الدين عن السلطة... ولم تخطو أوروبا خطوة واحدة في طريق التطور قبل فصلها الدين عن الدولة والسلطة والملك، واستطاعت أقلية فكرية تحقيق هذا الأمر وإعلان فصل الدين عن السياسة، والكنيسة عن الدولة.

التصدير والإستيراد

في بلداننا العربية ما زلنا نستورد العلم من الخارج، ونشتري أسلحة الدمار من الدول القوية كي نحرق وندمر ونقتل بعضنا بعضاً... أما نحن فإننا نصنع ونفبرك قصص الأساطير وحكايا الدين والإيمان بالخرافات بكميات هائلة وافرة للإستهلاك المحلي الداخلي وأيضاً للتصدير للخارج عندما تسمح الفرص وتتوفر لنا الأسواق، ولا ينقصنا

شيء لإزدهار التصدير والإستيراد إلا إيجاد زبائن للمقايضة - العلم
والوعي والتكنولوجيا مقابل أساطير التخلف وحكايا وعودات الدين
بجنات الآخرة...!!!

هل هي حقاً مقدسة؟

التوراة والإنجيل والقرآن، وجميع الكتب التي نفرعت منها وكتبت
منذ قرون قديمة مضت أو حديثة، الذين كتبوها هم أناس وبشر مثلنا،
يميزهم هن أمثالهم ما يتحلون به من ثروة العقل الغنية السبابة، بينهم
العالم والأعلم، والخبير والأخبر في التعبير والنصوص والدهاء
والإقناع، فلماذا نصر على أنها مقدسة ولا يسمح أن يصحح منها
سطراً أو يحذف كلمة أو جملة... لماذا لا نتقي من صفحتها الإيجابي
المفيد ونترك السلبي الذي لا يفيد... لماذا لا نسأل عقولنا... هل هي
حقاً مقدسة...

ونسجل بعض أبيات من معلقة الشعر الشعبي لشاعر الاغتراب
البرازيلي نعمه قازان:

يا شايفين النور يا عميان	ياسامعين الصوت يا طرشان
وكيف انفصلنا وكلنا إخوان	اللّه محبّه جامعہ الأكوان
إلا الجهل والمال والتجار	ما يفصل الإنسان عن الإنسان
يلي كتبهم مثلنا إنسان	التوراة والإنجيل والقرآن
ما كان كنا نحب ونعشق وننغار	ومن قبل ما يكونو وقبل
هيذي حقيقه ما في إلها لسان	قلّي فلان وقلك فليتان
حتى تدق العين بالمسمار	لا القول بيفيدك ولا الإيمان

ويكتب الأديب الاغترابي اسكندر كرباج (بعلمك لبنان أصلاً) «موسى سن شريعة في فجر هذا العالم، يوم كانت المدن مؤلفة من مضارب تنصب وتقوض بين ليلة وضحاها، والقبائل الإنسانية لم تهف بعد على أرواحها عاطفة الحنان والرحمة... وما أشبه شريعة موسى بثوب حيك لطفل في العام الأول من حياته، ونريده أن يضل صالحاً حتى أواخر شيخوخته».

الخرافات لا تفوز على المنطق

ان الذين يضعون الديانات في مواجهة الاكتشافات العلمية ومخاصمة المبادئ المادية المبنية على البحث بالعقل دون سواه. تلك الفئات هي أشد عداً للدين وأكثر ضرراً له. لأنها تعلن حرب اللامعقول ضد المعقول، والخيال ضد الواقع، والخرافات ضد المنطق، ولا شك أنها في كل معاركها ستكون الخاسرة... إن غرض الأديان الذي نعرفه هو أن تسير الإنسانية على طريق الفضيلة والصلاح والوئام بين الأنام وليس لترسيخ جهالة الفساد والبغض والإستثمار وسفك دماء الإنسان لأخيه الإنسان... لقد وصلت أمور تفرقة الناس هنا (عندنا) في بلدان طوائف الناس، أن يمنع قلب شاب أن يحب صبية من غير طائفته، وإذا غامر وخطف وتزوج محبوبته فقد يعاقبونه وحوش الأبطال الأصوليين معاقبات عديدة، منها عقاب الوأد الجاهلي للفتاة وذبح العضو التناسلي للشاب... إن أبطال العادات القبلية، الأمرين بجاهلية النهي عن المنكر، يراقبون وقوع الفتاة في فخ مراقبتهم... وعدا عن قصاصها بالنكران والحرمان فإن شريعة الوأد

الجاهلية عند بعض القبليين الذين اصاب رؤوسهم مرض الجفاف ما زالت واردة، يسترجعون اقرارها والعمل بها ساعة يرددون بيت الشعر الجاهلي القديم... لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى... والشرف الرفيع في مفهومهم الجاهلي هو منع زواج شاب من فتاة من غير مذهبه...!... هذه التصرفات المجرمة والعادات القذرة ما هي إلا لتثبيت التفرقة بين المواطنين وإرساء الإنشقاق والعراك بين الطوائف والمذاهب، وتكريس العداة مع مسيرة الزمن ومع دوران الكرة الأرضية... يوجهون أفكار الناس إلى الماضي الجاهلي كي يمنعوهم من المشاركة في النهضة العلمية والتطور الحاضر، ويستنبطون اساليب التفرقة والعداء في تعدد الأحزاب والجمعيات التي لا تخلو واحدة منها من الصباغ الطائفي، وحتى وداع الحياة ودفن الميت يرسخونه لتكريس التفرقة والنفور والبعاد... فيا لغضب الآلهة والقديسين والأولياء الأصوليين وسماسة التفرقة الطائفيين إذا دفن ميت في مدفن طائفة من غير طائفته... وفي بلادنا الحبيبة لبنان... الذي يلقبونه بلد النور... الديانات هي لقسمة الوظائف وإحتواء المراكز الحكومية... لكل طائفة حصصها حسب أعداد قطعانها... الوظائف الحكومية والمراكز الحساسة وحتى الصغيرة توزع حسب الإنتماء الطائفي... لقد استنبطوا لهذا التقسيم الطائفي إسما بيانيا سلسا وهو اسم «العيش المشترك»... كأن المذهب الديني هو الشهادة بمعرفة وقدرة المرء على إدارة مهنته وإملاء مركز وظيفته... يعني كل شيء في بلادنا (الذي تحت السما ما في مثل لبنان) يخضع للطائفية وأقسامها، من رغيف العيش ألى كفن الميت...!

بعض القصص من بركان الجهل

وما دمنا قد وصلنا في سردنا هذا إلى فوهة بركان الجهل والجاهلية، فلا بأس أن نعيد إلى ذاكرة قراء كتابنا هذا بعض قصص الأحداث الدينية من مخزونات بركان جاهلية إنسان الأديان، قديمها وحديثها:

المرأة وأوجاع الطلق

إكتشف عالم أميركي دواء لتخدير المرأة عند الولادة، وذلك كي ينقذ المرأة من ألم الطلق ساعة الولادة... هنا رأت حضرات المبشرين بالمذهب الديني الذي تنتمي إليه المرأة الحامل وقالوا أمرا لا مناص من إطاعته وهو: «منع هذا الدواء لأنه يناقض الدين، فهو يخلص المرأة من تلك اللعنة أو العقوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين حيث يقول: (...) وقال للمرأة كثيرا أكثر أيام حبلك، بالوجع تلدين أولادا. وإلى زوجك يكون إشتياقك وهو يسود عليك» (تكوين - الإصحاح الثالث).

وهذا الذي جاء في سفر التكوين يعتبره المتدينون أنه أوامر مقدسة من لدنه تعالى.

الرسول لم يستوحى القرآن لتكريس الجهل والإتكالية والمظالم، بل طريقاً ومنهجاً كي تتطور حياة الإنسان إلى الأفضل... الإسلام لا يعادي منطق العقل، ولم ولن يكون ضد العلم، ولو كان الإسلام ضد العلم لما فرض الرسول فريضته المقدسة «العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» وأوصى بطلب العلم من المهد إلى اللحد... والإنسان لم يولد ولم يوجد لكي يكون غرضاً وعبداً لتوفير الرفاهية للمستثمرين أو قطيعاً لتشريعات الأصوليين، أو سلعة لحضارة الحضاريين المدعين... أجل... أن الرفاهية والشريعة والحضارة وجدوا من أجل الإنسان ولم يوجد الإنسان لأجلهم... والنبى محمد لم يشهر رسالته لكي تكون حكايا أساطيراً وخرافات غير معقولة، إن رسالة محمد هي لهداية الإنسان وعمران كوكبه وحضارة مجتمعه وأمن حياة الناس وازدهار معيشتهم... الإنسان لم يخلق فقط لعبادة الله... ترى هل أن هذا الله حياته ووجوده وقدرته وغضبه ورضاه تتوقف فقط على عبادة الإنسان وركوعه وسجوده وابتهالاته وصلاته له...؟؟ وجاء في رسالة الغيبه من الحكمة الدرزية: «واعلموا أن الله في غني عن عباداتكم ومنزه عن دياناتكم، لا يزيد في ملكه طاعة من أطاعه، ولا ينقص من ملكه معصية من عصاه»...

دماء الكفار ممنوعة

أما الدماء التي تجري في عروقنا، فقد منعها الأصوليون، أصحاب الجماجم الناشفة أن تجري في عروق أبناء طائفتهم... حتي

ولو كانت لإنقاذ شخص ما من العدم... ونحن لا ننسى أنه في أمكنة عديدة وأزمنة مختلفة، نشرت الصحف أنباء عن عائلات أصولية، أكثرها من فروع دينية أميركية جديدة ومن فروع أصولية إسلامية، أنها رفضت أن تقبل الدم لمريضها المعاني لسكرات الموت، من شباب إنسانيين مندفعين، تبرعوا بدمائهم لإنقاذ أخيهم الإنسان، وصرحت علناً: أنها تفضل موت مريضها على أحيائه بدماء الكفار من طوائف غريبة عن طائفاتها...!!

صحيح مسلم

مسلم (ناقل أحاديث النبي) ينسب في صحيحه، وفي الكثير من غير صحيحه الأحاديث التي ينسبها إلى النبي محمد... منها ما يبرر تعسف الحاكم، وإن على الأمة اطاعة سلطانها حتى ولو ضرب ظهرها بالسياط. هذا لأن إرادة الله تعالى تحلّ فيه، ولا يجوز الإعتراض على هذا الحاكم. فالذي يعترضه يكون قد أعترض على مشيئة الله...!

الغريب في هذا الحديث الذي يقوله مسلم في صحيحه أنه من أقوال الرسول... هذه الأقوال عن طاعة الناس للسلطان الحاكم يعارض ما جاء في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف «ألا لعنة الله على الظالمين» - (الأعراف ٤٣) إن لعمل الإمام العادل في رعيته يوماً واحداً أفضل من عمل العابد في معبده سنة (حديث شريف) وأفضل الجهاد كلمة حق في وجه حاكم ظالم (حديث شريف)... الخ.

الفقيه - وبولس الرسول - وأحمدي نجاد - والإمام الغائب

الفقيه بالنسبة لأتباعه لا يخطئ، فهو المعبر عن إرادة الله، وعلى الناس عامة إطاعة الفقيه والإنقياد له، والإنصياع لأفكاره... والذي يخالف أوامر قوانين الفقيه يحاكم بجرم الزندقة والكفر وخيانة الأمة والعمالة والخروج من الدين... والفقيه لا يخطئ، ولا تجوز تخطئة الفقيه، لأنك بهذا تكون قد أخطأت الله تعالى الذي يمسك بالتشريع، والذين يعترضون على حكم ولاية الفقيه يكون هذا كفراً والحاداً بحكم الله...

ونهاية العالم، وظهور الإمام الغائب (المهدي المنتظر) فهو (...). ما ورثته المسيحية والإسلام من اليهودية، ومن الديانة الزرادشتية، التي تبدو بصماتها واضحة في القرآن، على طريقة أحد أساتذة محمد، كما يسميه الرصافي (في كتاب الشخصية المحمدية)، الراهب الزرادشتي «سلمان الفارسي»...

أما هذيان نهاية العالم، فأحدى شروطها الأولى أن يكون حدث النهاية في حياة «الهادي» نفسه... و بولس الرسول مثلاً كان يتوقع عودة المسيح في حياته (كي يقابله وجها لوجه ويتعرف عليه) وأحمدي نجاد بدأ سنة ٢٠٠٦ بتوسيع شوارع المدن الإيرانية، تسهيلاً لمرور موكب الإمام الغائب فيها... وكان ينتظر أن يتم ذلك أيام رئاسته لبلاد فارس، ويناغيه، في بئر جنوبي إيران، خُيل له الهذيان أن الإمام الغائب اتخذها مقراً مؤقتاً، في إنتظار الإعلان الرسمي للرجعة... (المرجع كتاب «محمد الإيمان إلى محمد التاريخ» - العفيف الأخضر - منشورات الجمل صفحة ١٨٠).

شارلمان والصيام

الإمبراطور شارلمان (صديق الخليفة هارون الرشيد أيام زمان) أيام سطوته ونخوته لصيانة الدين المسيحي، كان يحكم بالموت على من لا يصوم الصيام كله. ومن أهمله مرة ينبهه، ومن أهمله مرتين تطلع أسنانه، وأكثر من مرتين يحاكم بالإعدام.

كولومبوس وابن رشد والفاتيكان

بعد اكتشافه القارة الأميركية قال كريستوف كولومبوس: «لو لم أتعرف وأطالع كتب ابن رشد لما عرفت وتعرفت على كروية الأرض، ولما أقدمت على مغامرتي بالإبحار في مياه الأوقيانوس الأطلنطي»... وكان هذا كافياً كي تقوم قيامة الفاتيكان ضده، وضد نظرية كروية الأرض التي طور شرحها ابن رشد والرشديون... ومنذ ذلك الحين والفاتيكان إفتتح ورشة تمديد الأرض وتسطيحها فلم يوفق. وكروية الأرض عرفته علماء الإسكندرية قبل المسيح بثلاثة قرون، وحُرقت أوراقه يوم أحرق الرومان واليهود مكتبة الإسكندرية (وبعدها أتهموا العرب بحرقها)... كما عرفه المسلمون منذ أيام بني العباس، وأيضاً أحرقت أوراقه أو غسلت في مياه دجله أيام زيارة هولاء لشرقنا الأدنى ومعه وفده المؤلف من خمسمائة ألف تترى عطاش للدماء وجياع للغذاء، ويحملون رؤوساً قاحلة من إنسانية الإنسان.

طبريا والتركان والقديسة لوردس

(...) أما قداسة مياه بحيرة طبريا فلها قصة غريبة ثانية... كان لملك قديم في فلسطين ابنة اسمها ريا، وكانت عليلة، فأشار عليه الأحبار بإرسالها كي تستحم في الماء الساخن الذي على شاطئ بحيرة الجليل، فقالوا: طابت ريا... طابت ريا... وتحول الإسم مع الأيام من طابت ريا ليتقدس مياه طاباريا وتبدل الإسم إلى «طبريا»... والتركان، يقول صبح الأعشى في إحدى أجزاء من كتابه الموسوعي، أن اسمهم «الترك»، ولقبهم غلب على اسمهم وهو «ترك إيمان» لأنهم تركوا إيمانهم القديم واعتنقوا الإسلام فأصبحوا «تركان»... أما قصة القديسة لوردس، فهي المعروفة أنها «القديسة شفيعة المرضى بالربو»... يقولون أنها بشفاعتها وابتهاالاتها ولمساتها المقدسة شفت الكثيرين من المصابين بمرض الربو... ولكنها، القديسة لوردس ماتت بمرض «الربو».

الأديان بالنسبة إلى اباطرة روما

- الأديان كلها كاذبة ولكنها أيضاً نافعة.
- اعبدوا من تشاؤون وما تشاؤون.
- وقدموا أطفالكم قرابين للآلهة حين وأين تشاؤون.
- وآلهوا الشياطين والعنوهم ما استطعتم.
- بشرط أن تدفعوا الخراج لرومه وتدعنوا للحكام والولاية الرومان.

عين العقل وطه حسين - وجوقة شحرور الوادي

في عقد الثلاثينيات من القرن الماضي، وصلت إلى مصر جوقة شحرور الوادي المؤلفة من أسعد الخوري الفغالي (الشحرور) وعلي الحاج، وأنيس روحانا، وطانيوس عبده... فكان أن أعجبت البيئة الأدبية المصرية بهذا اللون الشعري الشعبي، وكانت الأكثرية لا تصدق سرعة بديهية الشعراء اللبنانيين، ويتداولون فيما بينهم بأن الحفلات يتفق عليها مسبقاً، والأشعار يتداولها شعراء الجوقة قبل صعودهم المنبر، وحدث أنهم بينما كان الشحرور يفتتح حفلة من حفلاته على إحدى مسارح القاهرة منشداً قصيدته المشهورة والتي مطلعها:

قلب الجبل يا مصر فيكي هام وكل قلب بأهل بر الشام
مع كل موجه وكل هبة ريح بيهدوا حنين الأرز للأهرام

وفي هذه اللحظة دخل إلى باحة الإحتفال عميد الأدب العربي الضير طه حسين، فهتف أحد الحضور عالياً «أهلاً وسهلاً بطه حسين»، فسمع الشحرور والتفت وقال:

أهلاً وسهلاً بطه حسين مَنَحني ربي عينين
العين الوحده بتكفيني خوذ عين وخليلي عين
فضجت القاعة بالتصفيق، وعندها وقف علي الحاج وقال:

أهلاً وسهلاً بطه حسين بيلزملك عينين إثنين
تكرّم شحرور الوادي منو عين ومني عين
فتناول الدف أنيس روحانا وقال:

لا تقبل ياطه حسين من كل واحد تاخذ عين
بقدملك جوز عيوني هديه... لا قرضه ولا دين

وهنا استدرك رابع شعراء الجوقة «طانيوس عبده» فنقر الدف وقال :

ما بيلزملوطه حسين عين ولا أكثر من عين
اللّه اختصوبعين العقل بيقتشع فيها عالميلين

السلطان الأمي يمنع المطبعة

كان ذلك في القرن الخامس عشر، عندما اكتشفت الطباعة وانتشرت في أكثر البلدان الأوروبية... يومها السلطان العثماني، بيا يزيد الثاني، بناء على افتاء مفتي السلطنة العثمانية (حامية الدين) أشار وقال: بحجة الخوف من سقوط قصاصات الورق المطبوع على الطريق، والتي يكون قد دَوّن عليها عبارات أسماء مقدسة، فقد منع دخول المطبعة إلى بلدان الإمبراطورية العثمانية... فكانت لهذه الفتوى مفعولها في أنها أخرت استعمال الطباعة ونشر الثقافة في البلاد الإسلامية قرونا عديدة... وبعده السلطان سليم الأول ١٥١٥ أبقى على قرار منع دخولها بلدان السلطنة... ولم تنتشر الطباعة فعلا في البلاد العربية إلا في بداية القرن التاسع عشر والقرن العشرين، أي بعد دخول الحملة الفرنسية بقيادة نابليون إلى مصر. ومعها مطبعة بولاق.

يسوع ووالده منهمكان

في أواخر سنة (٢٠٠٤) نشرت إحدى المجلات البرازيلية خبرا مفاده... إن ملك الفوتبول «بيليه» في إحدى أحاديثه للصحافة قال:

عندي إثنان يقومان بحراستي. الله ويسوع المسيح... لهذا عندما حدثت كارثة الزلزال (مارومورتو) يوم ٢٦ / ١١ / ٢٠٠٦ في جزيرة سومطره - أندونيسيا، وأودت بحياة ٣٠٠ ألفاً من الضحايا... وجميعهم كانوا يصرخون ويطلبون النجدة من يسوع ووالده، ولم يلبِ نداءهم أحد، يومها كتبت المجلة: «هذا لأن يسوع ووالده كانا منهما مكان ومشغولان بحراسة بيليه»...!

حسنات وسيئات صلاح الدين

عندما دالت الدولة الفاطمية، وتسلم صلاح الدين الأيوبي السلطة في مصر، صدرت الأوامر إلى الناس والجنود ان يتصرفوا كيفما شاؤوا بالمكتبات الفاطمية، لأنها على حد زعم المتدينين الأصوليين أن هذه المكتبات لا تحوي سوى كتب الإلحاد والكفر... وهكذا امتدت الأيدي الأثيمة الجاهلة إلى الخزائن المليئة بالكنوز العلمية الثقافية وعبثت بهذه النفائس. فحُمل قسم كبير منها وألقي في النيل. فاصطبغت مياهه باللون الأسود. والآلاف من الكتب أحرقت قرب الأهرام في مكان لا يزال يدعى لليوم بتل الكتب... وبدأ الجنود يخلعون جلود المجلدات وجعلوا منها أحذية لهم، وبعضهم كان يبيع أوراقها للوراقين... وبعض المؤرخين القدامى كتبوا: إن حسنة صلاح الدين في استرجاع بيت المقدس محتها جريمة أوامره لإحراق مكاتب الفاطميين... والتي إعتبروها لا تقلّ جاهلية عن بربرية التتر في حرق مكاتب بغداد، لا وليست أدنى همجية من حرق الصليبيين لمكتبة طرابلس - لبنان، ولا أخف جريمة من حرق مجالس التفتيش

للمكتبات والكتب العربية الأندلسية، ولا أجهل من تخلف عقليات
السلطين العرب الأصوليين الذين أحرقوا كتب إخوان الصفا والكندي
والفارابي وغيرهم.

الطقوس وعولمة الإيمان

تشابكت طقوس الإيمان عند المؤمنين بالأديان، واصبحت
شعارات التدين متشابكة مثلاً: في لبس القمصان والعباءات.. الطاقة
القلنوسة لغطاء رأس الرأس - اللحية الطويلة والسبحة المستطيلة...
الإسلام الذي جعل العلم فريضة حولوه إلى طقوس يهودية،
واصبحت الطقوس هي أب الرسالة المحمدية. والإنتهازيون اصبحت
القابهم «ذوي الألباب الراسخون في العلم» وأصبحوا هم من يحللون
ما يرونه محلاً ويحرمون ما يرونه محرماً... ففرضوا الختان (للذكور
والإناث) وحرّموا على الرجل لمس يد المرأة، وحرّموا أيضاً فن
الحفر والرسم. وجعلوا من الطقوس فرائضاً مقدسة، أي أنهم جعلوا
الفقه الإسلامي في خدمة تفسيرات طقوس التوراة اليهودية... وهذا ما
حدا بأحد شعراء المهجر البرازيلي، شاعر العروبة الياس فرحات. أن
ينظم في العقود الوسطى من القرن الماضي الأبيات التالية:

وطن العروبة سوف يرجع ما مضى	ويعود مجدك مشرقاً وضاء
سيزول جيل فاسد متعصب	متأثر علماؤه الجهلاء
لا يفهمون الدين إلا جبة	وعمامة وتنطعا وهُراء
إن يخسر الوطن اللواء وأخته	وسواهما فالأمر ليس بلاء
أما إذا نقص الضوء فنكبة	تذري الجبال وتغمر الأوداء

المؤمنون بالجنة

أبو الحيان التوحيدي، أحد قدماء المتدينين، قال:

عجبا للمؤمنين بالجنة... هؤلاء أهل الجنة يؤمنون أنهم في الجنة يعيشون بكل هناء، لا يتعبون ولا يشقون ولا يعملون عملا ما إلا (شم الهواء) الأكل والشراب والنكاح والزيارات يعني حياتهم هناك كحياة البهائم هنا.

كساد مهنة الطب

أما العالم الرازي... فإن الشفقة أخذته على الأطباء وحياتهم في الفردوس الموعود فينصحهم، ويقول: «يرحمكم الله أيها الأطباء... تنعموا وارغدوا في هذه الدنيا الفانية... هذا لأنكم في دنيا الآخرة قد تموتون جوعا ونشافا... هناك لا زبائن لكم ولا مجال لممارسة مهنتكم، فلا تستطيعون أن تجنوا فلسا واحدا... البطالة ستشملكم ولا عمل لكم في جنة الفردوس، فهناك لا يوجد أمراض ولا مرضى... هناك لا وجود لوجع الرأس، لأن هناك لا رؤوس تفكر وتحتار وتدوخ، ولا وجع القلب لأنه أيضاً ممنوع على القلوب أن تحب وتغرم... يعني في الجنة لا يوجد حب وغرام وهيام... ولا يوجد مرض ضيقة نفس لأن الأذن لا تسمع تصريحات ووعود السياسيين... أيها الأطباء: الرازي ونحن الكُتاب نشفق عليكم... والمؤسف لا يوجد عندنا دواء لمشكلتكم إلا الكلمات ونصائح العلم والأقلام، وهي أن تتركوا الاعتقاد بالأساطير وحكايا الخرافات».

قنطرة طليطلة (توليدو)

كانت فرق الجنود الإسبان، المقاومة للوجود العربي في الأندلس، فوق قنطرة مدينة طليطلة (توليدو)، وأيضاً فِرَق أعداد كثيرة تستظل تحتها.. ونظراً للأطنان البشرية والحيوانية والآلية التي تمر عليها سقطت القناطر بمن كان فوقها وعلى من كان تحتها من الجنود الأعداء للعرب المسلمين... ساعتها هلك جنود العرب وكبروا، وللمناسبة نظم العباس بن فرناس قصيدة عن الأعجوبة الكبرى، منها هذا البيت:

ما كان يبقي الله قنطرة نصبت لحمل كتائب الكفر

بعد هذا الحدث قام المؤمنون العرب يفاخرون بأن الله يخصصهم بمعزة خاصة... وانتفضوا على تواضعهم أمام اليهود الذين يدعون أنهم اشقاء بالرضاعة لله تعالى، وأن الله ساهر فقط للدفاع عنهم ويفضلهم على العالمين. وعندما سقطت القنطرة شيع المؤمنون الأخبار أن الله يدافع عن المسلمين... ولا حاجة بعد اليوم أن «يعدّوا للأعداء ما استطاعوا من قوّة» فالله الذي اسقط القنطرة هو على كل شيء قدير. «يهب النصر لمن يشاء والهزيمة لمن يشاء»... وناموا بعد الحادثة على مخدة الوعود ما يقارب أربعة قرون، ولم يفتقروا إلا على صيحة الملكة عائشة بإبنها عبدالله وهو في طريقه مهزوماً من غرناطة، مودعا الأندلس إلى الأبد، حيث نادته: «أبك كالنساء ملكاً لم تدافع عنه كالرجال».

أبك كالنساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال

الدماغ العلمي الكبير الذي عمل في مكتبة اسكندرية، لم يكن رجلاً، بل امرأة اسمها «هيباثيا». وكانت عالمة، وفيزيائية ورياضية (كإبنتها العلمي نيوتن) وصاحبة فلسفة (كشقيقها ابن رشد)... ولدت في اسكندرية، وكانت جميلة ولم تتزوج... يعتبرها رواد النهضة الأوروبية أمّاً روحية للعلوم الطبيعية الحديثة، ورمزا للحكمة الفلسفية...

كانت الديانة المسيحية في أوج انتشارها... وكل من لا يوافق عقائد مطارنتها يتهم بالوثنية والألحاد... هيباثيا كانت من تلامذة الإفلاطونية الجديدة مثل أفلوطين. وقد أسس هذه المدرسة الفيلسوف أمونيوساكاس في القرن الثالث...

بطريك الأسكندرية «سيريلوس» شك في اعتقاد هيباثيا، حيث كانت تداوم التعليم والكتابة على الرغم من معارضة البطريرك لها... كان ذلك عام ٤١٥ م، حيث هوجمت من مسيحيين أصوليين من أتباع البطريرك «سيريلوس»، فجرّوها من عربتها ومزقوا ثيابها وسلخوا جلدها، ثم أحرقوا جميع كتبها، وتناسوا اسمها... وبالمقابل فقد نودي بسيريلوس قديساً^(١).

وفي هذا المعنى قال عمر الخيام:

(١) من كتاب إبداع الفنان، للكاتب البرازيلي فراي باتو، ترجمة باسل فرحات دار الحوار - دمشق) وملحق جريدة النهار اللبنانية عدد ١٢١١.

قال شيخ لمومس أنت سكرى كل أن بصاحب لك وجد
فأجابت أني كما قلت، لكن أنت حقاً كما لدى الناس تبدو..؟

إيمان اليهود

يؤكد حاخامات اليهود أن الوحي الإلهي هو حقيقة، وانه أنزل على موسى وعلى جميع أنبياءهم الـ ٢٤ نبياً (مجموعة الأنبياء ٢٥ نبياً فقط النبي محمد هو النبي العربي والذريتان الباقيتان جميعهم يهود الحسب والنسب)... والرب يهوه هو الخالق الأوحد لا بداية ولا نهاية له، ولا شريك ولا ولد وهو الفرد الأحد... يعتقدون أن كل شيء مقدر من الله... الرزق والربح والخساره والسعادة وطول العمر وقصره، وانه لا مهرب من قضاء الله... ويؤمنون باليوم الآخر والقيامة والحساب... وفي هذا اليوم، يوم الحساب، ينجز الرب ما وعد به عباده المؤمنين، من ثواب وعقاب، علما أن الجنة هي فقط للمؤمنين اليهود، ولا يدخل العصاة من الأمم الأخرى إلى هذه الجنة المخصصة لهم... ويعتقد اليهود أيضاً بالملك سليمان الحكيم بانه كان نبيا كبيراً، وكان عنده في اصبعه اليمين خاتم عليه حفر «الله العلي الجبار»... فكان إذا لمسهُ أو خفه قليلاً تهرع فروخ الجان إليه صائحين لبيك لبيك عبيدك بين أيديك. ويعتقد المتدينون منهم أن كل من يملك هذا الخاتم يملك العالم وسيطر على الكون أجمع (من كتاب دور اليهود في الحضارة العربية) ومن اعتقادات اليهود أيضاً، انهم يعتقدون بوجود الملائكة والجن والشياطين... فالملائكة بالنسبة للمتدينين اليهود هي مخلوقات غير مرئية، مخلوقة من نور، مهمتها

حمل عرش الرب والتسبيح بحمده... أما الجن، فيؤمن اليهود أنهم مخلوقات خلقوا من نار، وليس لهم دخان... والشياطين رئيسهم ابليس اللعين، الذي كان سابقا رأساً للملائكة، ولكنه عندما رفض السجود لآدم طرده الله من الجنة... وبعد الطرد، أدخل الرب آدم وحواء إلى الجنة، وسمح لهما أن يأكلا من جميع ثمارها إلا من ثمرة شجرة المعرفة... لأنهما إذا أكلا منها سوف تفتح عقليتهما، وربما يعرفان حقيقة الله... يعني من يريد أن يعيش بالجنة عليه أن يكون ويبقى مغمضا عينيه عن حقائق الوجود ولا يتعب فكره بفهم أو افهام أي شيء... وهذا ما حدا بالشاعر المهجري الياس فرحات أن ينظم الرباعية التالية:

إله اليهود يحبُّ الحمير وليس يحبُّ الألى يفهمون
فأن تنكروا تكفروا بالكتاب وما فيه وحي كما تزعمون
أما كان آدم وهو جهول محاطا بعطف الإله الحنون
فما عرف الخير والشر حتى نفاه وعاقبه بالمننون

رضي جدنا آدم براحة البال، ولكن جدتنا حواء الذكية (الحشريه) أكلت وأغرت جدنا آدم فأكل ثمرة شجرة المعرفة... وذاق طعم الفهم والحب... هنا غضب الرب ودفش الإثنين، حوا وأدم من الجنة إلى سطح الأرض.. وهذا ما حرّك قوافي الشاعر الشعبي أسعد سعيد أن يغني العتابا اللبنانية فيقول:

لا تسألني حمرة شفافك آدمي ومثلك أنا يا آدميي آدمي
لو يكون آدم في غرامو آدمي ما كان في عنا حساب ولا عقاب

حسب ونسب البشرية

آدم وحواء، عاشا هنا على سطح الأرض، واتجد لهما ولدان - هابيل وقايين - ومع الولدين ولدت الأنانية والحسد والفضيلة والمحبة... فقام قايين الذي تحلى بالحسد والأنانية وقتل أخيه هابيل الذي تحلى بالقناعة والتسامح والمحبة، وبقي لوحده فوق سطح الكرة الأرضة حيث أنجب هذه البشرية المحملة بأنانياتها وحسدها وعداواتها وحروبها.

فلا عجب من بشرية أنانية حسودة مجرمة، فهي من نسل وصلب والدها قايين الأناني الحسود المجرم الغدار... قاتل شقيقه... ولا عتب ولا غضب... ولا عدا لمن ينادينا يا مجرمين... ويا أحفاد المجرم...!

بداية الكون عند اليهود

تقول توراة اليهود: أن الله (الأحد الفرد الصمد) خلق الكون في ستة أيام... اليوم الأول خلق النور وفصله عن الظلمة ودعاه في اللغة العربية نهارا، ودعا الظلمة ليلا... وفي اليوم الثاني خلق السماء... والثالث الماء واليابسة... والرابع خلق نور الشمس للنهار والنجوم لتنير الليل... وفي الخامس حيوانات البحار وحيوانات اليابسة والطيور والهوام والقروود... وفي السادس عمل الإنسان على صورته ذكرا وأنثى وباركهم... وفي اليوم السابع استراح... ولا يزال مستريحا وغائبا بعيدا عن كل ما صنعه وأبدعه... تاركا هذا الكون بين أيدي الشيطان الرجيم، الذي عبر عشرات ملايين القرون من تاريخ وجوده وهو

يزرع في القلوب الأنانية والحسد والطمع والدماء، ويحرّض الناس ويزجّهم في صراع دام، بعضهم على بعض - يعمرون ويهدمون - يشيخون ويموتون - ينتصرون وينهزمون - يخترعون ويطورون - والله مستريحاً... لا علم ولا خبر عنه... إلا أنه مؤخراً فاجأنا الفيلسوف الألماني المجنون نيتشه... الذي نعاه للبشرية، وقال: «أن الله قد مات».

إيمان اليهود في نظر كارل ماركس

يقول كارل ماركس: إيمان اليهود هو إيمان السوق وعقيدة التاجر... إله اليهود الحقيقي الذي يؤمنون به هو المال... لقد نصبوه وآمنوا به وعبدوه... وبجانب المال لم يعد يعيش بينهم إله آخر... وبهذا المعنى قال الشاعر المهجري فيليب لطف الله (بسكنتا - لبنان أصلاً):

لم يبق غيرك للبرية مغنم عبدوك قبل إلههم يا درهم

إيمان المبشرين في أفريقيا

دخل المبشرون البيض إلى القارة الأفريقية، وانتشروا أفراداً وأزواجاً يبشرون بالإيمان بالإله غير المنظور والقادر على كل شيء... ونظراً لصعوبة التفاهم مع الزوج ولغاتهم العديدة الصعبة على المبشرين، فقد قاموا بعمادة وتخريج مبشرين من الزوج، حيث يتفاهمون مع أبناء جلدتهم بصراحة وقدرة على التعليم الديني أفضل من المبشرين البيض... ونزل عامل الإغراء إلى ساحة وميدان

المعمودية... فكانوا يدفعون لكل مبشرٍ مبلغاً أو هدية ثمينة كلما أغرى وعمد مواطناً من قبيلته... ولما كان الزوج الأفرقة يفضلون العمادة بواسطة المبشرين البيض، الأكثرهدايا وبخشيها، فقد قامت قيامة التزاحم بين المبشرين البيض والسود... وهنا بان ذكاء المبشرين السود وبراعتهم في احتكار سوق المعموديات... لقد استعمل المبشرون السود عامل عنصرية اللون... فكانوا يقنعون مواطنيهم بقولهم: تعمدوا عندنا... وإذا كنتم حقاً مؤمنين، عليكم أن تأكلوا مبشراً أبيضاً... فكل من يأكل مبشراً أبيض يدخل الجنة بدون تاشيرة على جواز سفره.

إيمان الشعوب

في كتاب القمع السياسي، يكتب مؤلفه الدكتور عفيف فراج: «أن هنود القارة الأميركية الحمر (خاصة هنود أميركا الشمالية) كانوا يعتقدون أن الله خلقهم من تربة صالحة، بينما خلق الناطقين بالإسبانية، (الذين نكلوا وسلبوا قبائل الهنود) من روث البقر» هذا التشبيه يسجله أحد المؤرخين: «أن اليهود يعتقدون أنهم شعب الله الخاص وصنعهم الله من تربة صالحة وصنع (الغويم) بقية البشر من روث البقر»... والغريب العجيب في هذا الأمر أننا نحن العرب الذين نشتم ونسب داروين لأنه اكتشف أننا «البشر» من أرومة السعادين، ولم نحتج على اليهود الذين يصفوننا اننا وبقية شعوب الأرض من روث البقر...!! أما الصينيون... فقد وصفوا المستعمرين الأوروبيين بالبرابرة الهمجيين. واعتبروا المسيحية، ديانة الرجل الأبيض، قد

فُرضت عليهم بطريق الحرب، وخاصة حرب الأفيون. لهذا كانوا يدعون المبشرين المسيحيين بالأفيونيين... ترى لأجل هذا الاعتقاد ولأجل هذه الحرب كان لينين يردد ويقول «إن الدين أفيون الشعوب»..؟ قدامى الفرس كانوا يؤمنون: أن الكون كائن من مادة أولى ذات قوة أولى متصلة بها... أما أهل بابل الأوائل كانوا يؤمنون أن «الإله فنتا» كَوّن العالم من بيضة خرج منها... وفي شبه الجزيرة العربية، كانت ديار اليمامة لكثرة نخيلها مقصد بدو الجاهلية، ولكن بنو حنيفة انفردوا فيها واستغلوها... وقبل ظهور الإسلام اتخذوا لهم رباً من ثمر نخيلها... فاصابتهم مجاعة... فأكلوا ربهم... فقال فيهم رجلا من تميم:

أكلت حنيفة ربها زمن التقحّم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعه

رواية الخلق عند قدماء الأرمن

قالوا: أن الكائن الأول الأزلي غير المنظور، والذي لا يدرك إلا بالعقل، أراد أن يتجلى بكل قدرته وكل مجده. فخلق أولاً الماء ووضع فيه بذرة الخليقة، فصارت البذرة بيضة تلمع كالذهب وتضيء كالشمس، ثم دخل في هذه البيضة على صورة «بارام براما» أي الإنسان الإله... وبعد ملايين من السنين الشمسية، انفلقت البيضة فلتقتين، فخلق من الفلقة الواحدة السماء، ومن الأخرى الأرض التي فصل اليابسة منها عن المياه... وبعدها شطر نفسه شطرين، خلق من

الشطر الأول الذكر ومن الشطر الآخر الأنثى، أي أنه تقلد طبيعتين. طبيعة نائلة وطبيعة قابلة... لذلك كان الأرمن يتهادون البيض في رأس السنة (حيث أجاز النصراري هذه العادة ونقلوها إلى عيد الفصح) (المرجع شبلي الشميل كتاب النشوء والإرتقاء صفحة ١٩٦).

وقصص التكوين موجودة في كل قارة من القارات، وكل بلد من البلدان، وعند كل قبيلة من القبائل تجد اعتقادات متباينة وروايات مختلفة، زرَعَهَا خيال رجل انتهازي فصيح اللسان بليغ البيان، وصقلها ببريق الألفاظ وتراتيل موسيقية خدّرت عقول الناس البدائيين الأميين الساذجين، وزرعوها في عقول الناشئة جيلا بعد جيل، فعاشت إلى أيامنا هذه... إلى عصر العقل الإلكتروني، صاحب الاكتشافات ورب العجائب.

شجاعة

قديماً... تجاسر وتشجع الفيلسوف اليوناني «كريتاس» (الملقب برئيس الثلاثين) وشرع يعلم جهاراً أن الآلهة ليسوا سوى اختراع أناس دهاة كي يخدعوا الشعب الجاهل.. وبعد هذا لا ندرى ما أصابه.

جبة الدرويش

جبة الدرويش، يزعم الرواة المتدينون، والذين يؤمنون، ويريدوننا أن نؤمن، أن الرسول أحضرها معه من السماء ليلة المعراج، وأعطها لابن عمه وصهره الإمام علي بن أبي طالب رمزا للولاية - أي للخلافة... والإمام علي ألبسها للحسن، ثم لبسها بعده الحسين، ثم

ذرية الحسين الواحد بعد الآخر حتى انتهت إلى المهدي المنتظر، وما تزال عنده حتى الآن... وسيظهر وهو لابسها في العالم الآخر... أو يوم القيامة.

الكهنة والعالم الآخر

ويؤمن الكهنة ويقولون: عن العالم الآخر أنه عالم غائب عن العيون لا يعرف أسرارهِ إلا الكهنة... له بوابة واحدة لا تفتح للإنسان إلا بعد موته..! وهو عالم ودنيا خارجان عن سنن الطبيعة... تعيش وتنطق فيهما الأصنام والحيوانات والأموات والتنانين المجنحة والحدوريات المبرجة، وكذلك الرجالات المخنثة والنساء المرجلة. وفي هذا العالم الآخر والدنيا الآخرة، أو كما يدعوها الكهنة «الفردوس». هناك لا يعمل المرء أي عمل ولا يشتغل أي شغل... ويعدون كل مؤمن من رعاياهم بأربعين حورية، لا لكي تكون رفيقات حياته في الجنة الأبدية بل للمتعة الفحولية الشرعية...

ولهذا استنكر أبو نواس وقال:

ما جاؤنا أحد يخبر أنه في جنة من مات أو في نار

المصيبة الكبرى

أما ثالثة الأثافي في المعتقدات بقصص الخرافات والأساطير هي تزوير أساطير الأعاجيب الغربية التي يلصقوها بالنبي محمد، وأضخم هذه القصص كذباً هي: «أن النبي محمد كان يكلم بالعربية حماره

(يعفور)، الذي كان يدق بحافره على باب من يدعو الرسول
للاجتماع، فيعرف الصحابي المدعو للندوة وجوب حضوره،
فيستجيب حالاً...!!!

وقال أحد الشعراء:

هداك الله من شعب بريء يوجهه المضلل كيف شاء

وقال فولتير العظيم:

«من يجعلكم قادرين على الاعتقاد بمثل هذه السخافات يجعلكم
قادرين على ارتكاب كهذه الفظاعات».

الإيمان بالخير

البوذية تؤمن بالخير حبا بهذا الخير للناس، وليس طمعا بالمكافأة
ولا خوفاً من العقاب بنار جهنم... ويصادق على هذا الرأي الشاعر
الاغترابي نعمه قازان فيقول:

تقولون آمننا! كذبتم وربكم ففيكم يدب الخوف دبّ العقارب
إذا آمن الإنسان بالله خائفاً فإيمانه بالله إيمان كاسب

بداية زرع الأديان

لما ظهر الدين، لم يكن للعلم سلطان. وكل العلوم التي كانت
معروفة كانت علوم بدائية. فالفوا وتناقلوا الأساطير التي لم يكن يومها
في الوجود عالم أو علم يكذبها... وثالثة الأثافي هي أن تجار هذه
الأساطير كرسوها عبادة مقدسة، تضمن لمعتنقيها ومقدسيها الوعود

بالسعادة والطمأنينة وخلود الحياة الأبدية وجواري الجنة... أما للمستنكفين الإيمان بهذه الحكايا والمواعظ «الروحية المقدسة» والذين يستنكرون خرافاتها غير المقبولة عند عقل الإنسان، هؤلاء قذفهم الكهان بكل النعوت السافلة، وهددوهم بالعقاب والعذاب بجمرات نار جهنم المحرقة...

يقول الكهنة أرباب الدين: إن الدين يجب أن يكون فوق العقل... وعجائب القدرة غير المنظورة بائنة في الناس... وعجائب الدين بالنسبة لهم هي: أن الله وضع كلّ حواس بمكانه. مثلاً عدم وضع الأنف في رقبة المرء، ولم يضع العين في ابهام الرجل، والأذن في الفخذ أو الركبة... كل هذه الأعاجيب يقولون انها حكمة ربانية، وكل من ينكرها يكون زنديقا كافرا يستحق الغليان في خلاقين زفت جهنم الحامية... وبعض رؤساء الأديان يغالون ويفاخرون بتزمتهم وأصوليتهم. هذا دون دراية أن العقل الذي لا ينام ولا يتراجع من البحث عن الحقيقة، ولا يقبل تفوقهم وأصوليتهم. وأنه حاليا أو مستقبليا سوف يكشف عن تركة اثار هذيان تفسيراتهم وتأويلاتهم، ويسجل للتاريخ سطورا واقعية عن جرائم تخلفهم العقلي الجاهلي، وعن الويلات التي سببتها للبشرية جاهلية تفسيراتهم الدينية المخدرة الخادعة، من أجل مصالح أنانياتهم الجشعة وأصولياتهم المتخلفة... فالعقل له براهين علمية ملموسة بعكس الدين الذي ليس له إلا براهين أسطورية خيالية.

لا تعبد شخصاً مثلك

أكبر الكبائر اتباع رجل هو مثلك في الصورة، يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب، فتنخذه كأله، يتصرف بك رفحاً ووضعاً، أو كحيوان يقودك خلفه، أو مثلك مثل عبد ربق يصدر إليك كلامه أمراً وناهياً... فأية فضيلة له عليك أوجب إستخدامك، وما دليله على صدق دعواه إلا براعته في السحر والأخبار عن مغيبات الأمور، وقدرته على سلاسة البيان (وهذا وصية من العالم شبلي الشميل).

انفجار البركان

من إنفجار بركان الجهل تقذف الحمم التالية :

مأساة الأمية - الكذب - الأنانية - رماد الضمائر المحروقة المباعة -
مأساة إنعدام الحوار - الخيانة - الإنتهازية - المكيافيلية - العمالة -
السمسرة - الخبث - الشعوذة - المديح الكاذب - استعباد المرأة -
الفساد - الحقد - الثأر - التلوث - انعدام المصداقية - الصنمية - الجبانة
- الغاية تبرر الوسيلة - السلطة البطريركية العائلية - تقديس حكايا
الأساطير - السرقة - النذالة - تقديس الأصنام البشرية محل الأصنام
الحجرية القديمة - والدعارة محل الحب - وضع اللوم على الآخرين -
دفن الشورى وإحلال دكتاتورية المباحث محلها، ونصب مقاعد
وكراسي رجال الشورى داخل إيوان السلطان وقرب جلّاديه... الخ.

هل سليمان بن داود حقيقة...؟

يكتب الصحفي الباحث جهاد الخازن في جريدة «الحياة» يوم ٢٨/تموز/٢٠١٠ في باب «عيون وآذان» ما يلي: «(...) هذا كذب، فلا يوجد هيكل أول أو ثاني - لأنه لا يوجد سليمان أصلاً... ولا أثر لمملكة يهودية من أي نوع في القدس... وكل ما كان هو اثارات لقبائل صغيرة في كل بلدان الشرق الأوسط... وما الذي قام به سليمان..؟ وما هي منجزاته..؟ وأين هي آثار هذه المنجزات..؟ كل ما هو معروف عن سليمان هي أساطير وقصص خرافات لا يقبلها العقل ولا يقربها، كالسيطرة على الجن، والتنقلات على سطح بساط الريح الطيار، ومكالمة الطيور والنملة والهدهد والحمار وغيره من الحيوانات، وحكاية نقل سرير الملكة بلقيس مع فراشها وخزينة ثيابها الداخلية، من اليمن إلى اورشليم، بسرعة هائلة تفوق سرعة طائرة الكونكورد».

صحيح البخاري

عندما بدأت الحرب ضد ليبيا سنة ١٩١١، وتقدمت القوات الإيطالية على طول الساحل الليبي، يومها دخل الضباط الأتراك مع فرقهم العسكرية يدافعون عن ليبيا ضد الطليان، وكان يقود إحدى الفرق مصطفى كمال، حيث أرسل برقية إلى السيد أحمد الشريف السنوسي (الشديد التمسك بالدين والطقوس) يقول فيها: «المعركة قد بدأت... انجدنا بصحيح البخاري»..

في نفس الوقت بني في إسطنبول العثمانية أسطولاً جباراً

جديدا... ودعي مجلس الأعيان إلى اجتماع كي يطلع النواب على ميزاته الهجومية والدفاعية... وبعد تلاوة التقارير، وخطابات المديح، وافق المجلس بأكثرية الأصوات على تلاوة أحاديث صحيح البخاري، ليبارك الله بها الأسطول... عندها نهض الشاعر الزهاوي (وكان أحد أعضاء مجلس الأعيان) وصاح بعبارته المشهورة «الأسطول ينفعه البخار لا البخاري».

جاهلية أوروبا

قام علماء الآهوت من الدومينيكان، واستصدروا من البابا اسكندر الرابع أمراً بحرمان فلسفة العرب وشل يد المشتغلين بها... كل ذلك لسياسة الحسد وفلش أفيون المخدرات الدينية في العقول.. مانعين بهذا وصول الأفكار الرشدية العقلانية لأفكار الناس... ذلك كي يصبحوا الشارحين الموجهين أصحاب النهي والأمر في قيادة المُخَدَّرِينَ... سنة ١٢٦٩ حَرَمَ مجمع باريس اللاهوتي الشرح والتدريس بالمبادئ العلمية التي أكثرها من فلسفة ابن رشد.. وحُرِّمَ أيضاً الاعتقاد بوحدة العقل في الإنسان، وكل من يقول أن العالم أزلي يناله غضب الأحبار، كذلك أوقع الحرمان على كل من لا يعتقد بوجود إنسان أول للبشرية، أي أن الحرمان سيقع على الذي لا يؤمن بقداسة جدنا المرحوم آدم..!!

جهل العقول - للتاريخ

وللتاريخ نسجل بعض وثبات الجاهلية الأوروبية القديمة عام ٣٩١ م طلب البطريرك تيوفيل من الإمبراطور تيودورو إحراق مكتبة

الإسكندرية وعام ٤٨٩ م أغلقت مدرسة الطب في أديسيا وانتقل الأطباء إلى فارس وعام ٥٢٩ م طرد يوستانيان علماء أثينا وفلاسفتها وعام ٦٠٠ م - تم إحراق المكتبة البلاطية في روما وكل إرث فيها من الثقافة والعلوم اليونانية فكان حصيلة ما التهمته النيران ٢٠٠ ألف مجلد... البابا جلبرت (أي البابا سلفستري ٩٩٩ - ١٠٠٣) تلميذ حضارة عرب الأندلس، قالوا عنه في إيطاليا أنه سحار مكار...

ونحن في شرقنا العربي، في العقد الأخير من قرننا الماضي صرح أحد كبار رجالات الدين: «يجب قطع رأس كل من يقول أن الأرض تدور»!! غرام قدامى الملوك بالعجائز

من التدقيق في قراءة التوراة نعلم: أن (الست) ساره، يوم وصلت إلى مصر مع زوجها إبراهيم الخليل كان عمرها بين ٦٥ و ٧٠ سنة، فانبهر فرعون مصر بجمالها وعشقتها وأغرم بها... ويوم عاد إبراهيم من مصر، ونزل أرض أبي مالك - ملك جرار في فلسطين (أي نابلس)، استحسناها أبو مالك وأغرم بها... وكان عمر ساره يومها ٩٠ عاماً... وهنا يبدو إعجابنا... ترى ملوك ذلك الزمان لم تكن تستحسن ولا تعشق إلا العجائز...؟ أو كما كتب أحد الخبثاء: هل كانت «القديسة» ساره العجوز الجميلة عربية تاكسي الجنس لملوك تلك الأزمنة...؟

تصدير الإيمان

بلداننا العربية، ما زالت حتى الآن تستورد العلم من الخارج، وتصنع خرافات وأساطير الإديان في الداخل. وهذا الصنف من صناعتنا لدينا منه كميات وكميات وافرة للإستهلاك وللتصدير، وخاصة أساطير التخلف وحكايا التخدير... ولا ينقصنا سوى العلم والوعي والتكنولوجيا...!!

- وفي أيام زمان... وصلت إلى مصر عشرات الطائرات الحربية، التي ابتاعتها حكومة مصر من روسيا (الإتحاد السوفياتي سابقا). وذهب الرئيس أنور السادات مع مجموعة من قادة الطيران الحربي إلى المطار لإستلام الطائرات... يومها صدرت مجلة آخر ساعة المصرية وعلى غلافها صورة وزير الطيران المصري أحمد نوح، على مقود إحدى الطائرات وأمامه كتاب قرآني بغلافه المذهب الأحرف، وكتبت المجلة كلمة السادات التاريخية!! «نحن نستورد العلم والتكنولوجيا ونصدّر الإيمان والدين».

- أما تعليقنا الخاص على كلمة السادات هو: «المصيبة... أن بضاعتنا أصابها الكساد عند العالم المتطور، ولا يوجد من يبادلنا».

كتاب كوبرنكوس

كتاب «حركة الأجرام السماوية»، نشره كوبرنكوس سنة ١٥٤٣، فيه أعلن أن الشمس وليس الأرض هي مركز الكون الثابت الذي تدور حوله الكواكب في مسارات تبدأ بعطارد - ثم الزهرة - والأرض -

والمريخ والمشتري - وتنتهي بزحل... وهو آخر الكواكب التي كانت معروفة حتى ذلك الوقت، ولم يكن من شأن هذه النظرية أن تزعج الكنيسة في شيء، لو أنهم تركوا ما كانوا يدعونه بعصمة الكتاب المقدس من الخطر.

رجالات الأديان خسرت مبارتها مع علماء الفلك الذين برهنوا على أن الأرض تدور وليست الشمس... وخسرت الكتب الدينية المقدسة مصداقيتها عندما كشف العالم البريطاني شارلس داروين تفسيراً جديداً لمسيرة الخلق، يناقض رواية هذه الكتب حيث يقول: إن الأحياء تطورت من أصل واحد بموجب الانتخاب الطبيعي.. وداروين يكشف إن الإنسان ليس على صورة الله بل هو على صورة القرد وفصيلة من فصيلتهم، وهو والقرد من أصل واحد.

التوراة تسجل: أن الله أوجد عملية الخلق بأسرها وأتمها في ستة أيام. أما داروين فيعلن: أن تطور المخلوقات قد استغرق مئات ملايين السنين... وهنا كانت مواقف خسارة رجالات الأديان رهانهم، حيث بقيت على عنادها ولم تعترف بالاكشافات العلمية العقلانية، وقامت تحوّل وتؤول نصوص الكتب الدينية بالمخدرات الخيالية التي يستسيغها المؤمنون الأميون ويتنكر لها الراسخون في العلم...

كلمات وآيات

كلمات وآيات جمعناها ونشرناها، أونظّمناها وكتبناها لتوعية العقول، وإيضاح للإنسان وحمله على تصديق المعقول، ونبذ

الخرافات وعقائد الإنتهازيين وأصحاب المصالح والميول.... وجاء في ملحمة جلقامش بمعنى تعلموا في الحياة ما طالت أيام أعماركم:

«فالآلهة لما خلقت البشر

جعلت الموت لهم نصيباً

وحبست في أيديهم الحياة»

* * *

- لا يوجد مستحيل على عقل الإنسان وعلى الإنسان العقلي.

- جسد الأمير لا يساوي أكثر من جسد الأجير (بوذا).

- الندامة حباً بالغفران كالإحسان حباً بالشكران (الريحاني).

- علينا بالتوجه إلى العقل شرقياً كان أم غربياً (صادق جلال العظم).

- الأديان من حيث تعاليمها هي دين واحد ينشد الفضيلة ويوصي بالمساواة في الحقوق والواجبات.

- مزج الدين مع دنيا العلوم والسياسة مضرّ للدين كل الضرر سيما وعصرنا الحالي هو عصر التقدم العلمي، وقرن براهين العلم التي تفضح أغلاط الديانات، وعصر تطوير أطماع السياسة التي تغطس الدين في وحولها وتستعمله لتحقيق مآربها.

- التفوق والتعصب الديني الذي يوفر للبعض مراحاً دينية وسياسية واجتماعية، مثل رواتب عالية وكراسي الوظائف النافذة

ومجالس أحكام ودشكات وجاهة... كل هذه ستتبخر في مجتمع العمل والإنتاج والتخصص العلمي.

- السلطات الدينية تعمل بوصاياها وتعاليمها لترتيب حياة الآخرة الغير منظورة، والدولة وسلطاتها وقوانينها تعمل لترتيب وتحسين وتأمين حياة الإنسان في هذه الدنيا... ولا لقاء ولا وفاق بين السلطتين.

- الإيمان بغير المعقول يؤول بالمجتمع إلى الأفول.

- في المكان الذي ينتهي فيه القانون يبدأ الإستبداد.

- الحقيقة لعقول الحكماء مثل الجمال للقلب الحساس.

- الطبيعة هذا الكلب الامين رفيق الإنسان (فيكتور هوغو).

- قد يقف التاريخ مئات السنين عند محطات جمود إنساني منتظراً الإنسان ليخرج من جموده وجاهليته... ولكنه لا يسير إلى الوراء أبداً.

- الحياة للأقوياء في عقولهم

- المتملقون لا يصلحون للشورى

- من زار الشرق وأفريقيا جوبه بنوع من الحلقة الحديدية التي تسجن رأس المؤمن، جاعلة إياه مغلقاً تماماً عن استيعاب العلم وغير قادر أن يفتح على أي شيء جديد (من كلمات إرنست رينان).

- ومن البلية عدل من لا يرعوي عن جهله وخطاب من لا يفهم

(شاعر عربي)

- هل يمكن أن يكون لإنسان ما حجم حبة الخردل من العقل
ويصدّق أن موسى شق البحر بضربة من عصاه المهولة...؟

- الشاعر المهجري خليل محمد العقده يندب حالة ما وصلنا إليه
فيقول:

غير خاف قد رجعنا القهقري والورى سار حثيثا للأمام
ذاك أنا نحسب العقل بليه والورى يتخذ العقل إمام

- صار الإنسان معقدا بسبب تمسكه بالتقاليد.

- الروح الشرقية ببساطتها تقفل الدماغ البشري في وجه أية فكرة
انطلاق عقلانية جديدة... هذه الروح التي أنتجت اليهودية
والمسيحية والإسلام، أصبحت غير قادرة على إنتاج شي آخر
إلا الأساطير (كلمات لمفكر وباحث أوروبي).

- أنا لا أصدق ولا أوّمن أن الله خلق الناس فقط كي يعبدوه
والعقل لا يقبل أن نوّمن إيمانا أعمى بحكايا التوراة (نفس
المرجع ما سبق).

- التراث المنقول الذي يتعارض مع المعقول لا قيمة له
(الفيلسوف جبرائيل دا كوستا المغضوب عليه والمضطهد من
الحاخامات).

- نجح الفقه في وضع الإنسان ضد أخيه الإنسان... وطوال أربعة

- عشر قرنا تعلم المواطن المسلم أن يكره حرите ويرفض حقه الشرعي في المسؤولية الحضارية (من كلمات الصادق النيهوم).
- سيكون من أمتي علماء فساق... وقراء جهال... ونعوذ بالله من العالم الفاجر (حديث شريف).
- قال السيد المسيح: من ثمارهم تعرفونهم (وثمارهم تعني عقولهم).
- يقول أحد مراقبي تطورات الأمم: العقل العربي والعقرب يتشابهان في الكثير من الميزات: فمثلاً: العقرب لا يموت من الإشعاع الذري... والعقل العربي لم يتأثر ولم يتعلم شيئاً من اكتشافات العصر الذري.
- وكتب الصحافي العميق المعرفة أحمد أبو المجد: لا أمل في صحوة... ولا رجاء في بعث... ولا جدوى من حديث عن تقدم أو تنمية أو انطلاق إلا إذا تحركت العقول في الرؤوس وشب المسلمون إلى منهج العلم الذي بسلطانه يتمايز الناس.
- لغدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة (حديث لمحمد رسول الله).
- نحن الشعب العربي ما زلنا مقيدين بسلاسل ثقيلة مربوطة بجيفة الماضي.
- الذين يظنون أنهم بواسطة التأويل والتفسيرات المغرية يمكنهم تبديل الأنظمة بأنظمة خداع جديدة وتشريعات دكتاتوريات

معاصرة، هؤلاء سوف يجمدون ويفلسون، فالتاريخ لا يعود للوراء.

- الذين يقاومون التعليم واكتساب المعرفة هم أعداء الدين وأخصام وصايا الرسول الذي فرض العلم على كل مسلم ومسلمة (من كلمات الأمير شكيب أرسلان).

- الذين يستعملون الدين من أجل مصالحهم المربحية هم أشد المدافعين عن التفسيرات الدينية اللاعقلانية.

- غاية وأهمية الإنسان في الوجود التفتيش عن الحقيقة (كمال جنبلاط).

- هل البشر اليوم هي كما كانت ايام ظهور دعوة العقل؟ هنا علينا أن نغير ما بأنفسنا كي نستطيع مرافقة مسيرة التطور (من كلمات الباحث باسل فرحات).

- «لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

- علينا باستماع القول واختيار أحسنه (كلام كان يردده محمد مهدي شمس الدين).

- العلم ينبه غافلنا، ويعلم جاهلنا، وينشط عاملنا، ويبعث النشاط في خاملنا (كلمات للأمير شكيب أرسلان).

- الذين يقاومون اكتساب المعرفة هم أعداء التطور، وهم أيضاً أعداء الدين (شكيب أرسلان).

- المتحجرون عقلياً... الذين يفاخرون بصلافة عقائدية، وأمجاد

تراثية، وتقاليد قبلية، وغيره دينية هم أشد الفرق تضليلاً للمجتمع والناس، وأعلام حنكة في تجارة العقائد السياسية لخداع المراهقين الناشئين، وأكثرهم خبرة في خداع المتدينين المؤمنين (الأمير شكيب أرسلان).

- عقل الإنسان الحكيم الواعي يستخدم نحو غاية المعرفة، أما عقل المغرور يبقى مضطجعا مستريحا في مكانه تحت نير من الجهل، مستسلماً متخيلاً مدبراً وحائكاً مؤامرات الخداع والغدر لجاره خاصة أو لأخيه الإنسان عامة.

- العبرانية هي التي أفسدت وسممت الأديان.

- الطاعة فرض للسلطة إذا كانت السلطة بتصرفاتها ومنجزاتها متفقة مع العقل

- التطور هو شامل للوجود بأسره يرتبط فيه الإنسان بجميع ما هو كامن (الجدليات لكمال جنبلاط).

- الأنانية قيد لأنها محدودة، وهي عزلة مغلقة على ذاتها، والإنعتاق من الأنانية لا يتحقق فينا إلا بالتضحية وسيطرة المحبة الشاملة (كمال جنبلاط في كتاب الجدليات).

- لا يوجد شيء ثابت على الإطلاق. والإنسان أصبح معقدا بسبب تمسكه بالتقاليد (كمال جنبلاط).

- إننا في الواقع جزء من الحقيقة ومن الخير الكامن في صميم الكون (كمال جنبلاط).

- الإيمان بالحياة هو الإيمان بالتطور، ولولا التطور لما كانت

الحياة... والتطور هو تطور الكون والجماد، والمادة الحية، والإنسان، والجماعة بجميع عناصرها الروحية والمادية... (كمال جنبلاط).

- التطور هو مظهر ووسيلة لإنشاء وبقاء صيرورة الكون بأسره. وهو حدث تقدمي شامل غير قابل للإرتداد والرجوع إلى ما قبل (كمال جنبلاط في كتاب الجدليات).

- يستحيل على المرء أن يؤمن بربه إذا لم يتوفر له قبل ذلك الإيمان بنفسه (فيفكاندا عرفاني هندي).

- حاجتنا إلى الإيمان بذاتنا... الإيمان بالإنسان... كحاجة الضرير للنور، والمتألم للمسكن، والمظلوم للغوث والحنان (جنبلاط).

- الفقهاء جماجم معدة للتشذيب والتجريح (جنبلاط).

- الدوافع الذاتية للقوة والربح شقت مسارها المشوب بالعنف عبر الزمن (كتاب القمع السياسي عفيف فراج صفحة ٣٧).

- الحروب الصليبية حوّلت قطاع الطرق من لصوص مجرمين إلى رجال دين طاهرين يقتلون ويسرقون ويحرقون بمعجزات دينية مقدسة (عفيف فراج - كتاب القمع السياسي).

- الإسلام منع التمييز العنصري حيث جاء في القرآن «أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة»، ويسوع المسيح جاء لمحاربة الدين الذي يُدعم بالمصلحة... جاء ليعلمنا الرفق والمحبة والمساواة ويجعل الجميع أخوة.. مبطلا قسمة الناس

إلى قسمين اسياذ وعبيد وأغنياء وفقراء (من كتاب أورشلين
الجديدة لفرح أنطون ص ٤٤).

- ليس للعلم وطن... الإنسانية بأجمعها هي وطن العلم (باستور).

- ليكن علمك خاضعا لأحكام عقلك.

- شهية الصليبيين لأكل اللحم يوم دخولهم مدينة معرة النعمان،

وشويهم الأطفال كانت أكتسابا قليلاً من شهية العباسيين الذين فطروا

على بساط وخوان جثث اولاد عمهم الأمويين...؟

- ابليس اللعين شخصية ميثولوجية أبدعتها ملكة الإنسان الخرافية

وطورها وضخمها خياله الخصب (الدكتور صادق جلال العظم).

- الجمع بين الدين والسياسة يضعف الدين ويعرضه لمطبات

السياسة وأحاييلها...

الفصل الرابع

رسالة العقل الفاطمية

الخلافة الفاطمية

نشأت الدولة الفاطمية سنة ٩٠٩ في شمالي القارة الأفريقية، وتحديدًا في القيروان تونس، وامتدت إلى كافة أقطار المغرب... وعندما إكتمل هيكل تنظيم دولتهم، وتحقق لأئمتها ودعاتها ضمانة وقيام خلافة إسلامية قوية مزدهرة، توجهوا بأنظارهم إلى مصر التي كانت تحتضر في حضن حكومة السلالة الأخشيدية الأمية العاجزة... وبعد هذه الانطلاقة تمكن الإمام الإسماعيلي من تحويل الدولة الفاطمية الوليدة إلى إمبراطورية شاسعة الأطراف، وشكلت تحديًا شيعيًا للهيمنة العباسية وللتفاسير السنية للإسلام؛ وأصبح الخليفة الفاطمي الشيعي ناطقًا باسم الإسلام الشيعي عمومًا، كما كان الخليفة العباسي سابقًا ناطقًا باسم الإسلام السني...

سنة ٩٦٩ م، دخلت الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر الصقلي إلى فسطاط مصر.. وسنة ٩٧٣ نقل مقر الخلافة من شمالي أفريقيا إلى القاهرة - المدينة الجديدة التي بناها القائد جوهر لتكون عاصمة الخلافة الفاطمية ومقرًا لقيادات الدعوة الإسماعيلية... وحال وصول الخليفة المعز إلى القاهرة، قام بكل صلابة مواجهها الصعوبات الكبيرة التي كانت تقاوم توطيد الحكم الفاطمي، كالعداء المستمر من

العباسيين، ومن أمويي الأندلس، ومن البيزنطيين وقرامطة البحرين و فرق الخوارج في المشرق العربي وقبائل البربر السنية في المغرب... هذا عدا عن العداة السني للشيعفة الذي نما زرعه في رؤوس جماهير مسلمي مصر عبر العهود الأموية والعباسية والأيوبية والأخشيديفة والعثمانية أخيراً.

توفي المعز سنة ٩٧٦م، فخلفه ابنه العزيز بالله، فكان الخليفة العالم الواعي الذي وّطد أركان الدولة الفاطمية، وخلصت مصر للفاطميين واستقرت خلافتهم الواسعة الحدود من شمالي افريقيا إلى جنوبي أيطاليا إلى الحجاز وسوريا ولبنان وفلسطين... ويكتب المؤرخون أن الخليفة العزيز كان فقيها عالما يحسن لغات اربع (العربية الكردية التركية واللاتينية)، وهو واسع الإطلاع في العلوم المعروفة في تلك الأزمنة، متزوج من مصرية يونانية الأصل، مسيحية من طائفة الملكية، وهي والدة الحاكم بأمر الله الفاطمي... تاريخ الفاطميين يكتب أنها مسيحية قبطية مصرية... والدها عالم ضليع في فلسفة أجداده اليونانيين، ويملك مكتبة كبرى ثمينة المحتويات العلمية والفلسفية. له، عدا عن ابنته زوجة العزيز، ولدان متضلعان في علم اللاهوت. الأول تدرج في الرتب الدينية حتى تبوأ كرسي بطيركية القدس الأرثوذكسية والثاني تبوأ كرسي بطيركية الإسكندرية..

- لما ظهر الدين بين مجتمعات الإنسانية القديمة لم يكن للعلم أي سلطان. والعلوم التي كانت معروفة لم تكن سوى معارف بدائية، والهنود الحمر في القرن الخامس عشر، عندما رأوا كولومبس الإنسان الأبيض بينهم إعتقدوا أنه هبط من السماء.

- الجنة جنتان... جنة المعرفة وجنة النعيم... وجنة النعيم لا تستقبل ساكن جنة المعرفة خوفاً من معرفته... كذلك جنة المعرفة لا تريد ساكن جنة النعيم خوفاً من جهله... ولعل اسطورة آدم وحواء ترمز إلى هذا..؟

- يقول أحد المفكرين: المتدين هو متدين لإحدى الأمرين: إما خوفاً من الجحيم... وإما طمعاً بالنعيم.

- الأوروبيون يسمّون العقل العربي بالعقل السامي؛ على الرغم من أن العلم لا يقرّ بهذا التصنيف، ويقولون: العقل السامي يحب ويتقبّل الأساطير، والعقل الآري الأوروبي يتقبل الحسابات ويرفض الأساطير... ولكن الفيلسوف الأوروبي هيغل، وكان يعرف جيداً أن عقل ذاك العالم الشرقي «السامي» محمد بن موسى الخوارزمي هو الذي علم العقل الأوروبي على الحسابات والإختزال «الأولغاريزمو» لذا قال: «كل ما هو واقعي هو عقلي وكل ما هو عقلي هو واقعي».

رسالة العقل

الحاكم بأمر الله

أبو علي المنصور - والده الخليفة العزيز بالله وأمه من أسرة نصرانية من المذهب القبطي المالكي... طويل القامة وعيناه زرقاويتين ميراثا من أمه اليونانية الأصل... ولد ونشأ في بيئة من أغنى البيئات العلمية العالمية في عصرها... جدّه العزيز بالله، ووالده المعز، وجدّه لأمه كان من ورثاء العلوم والفلسفات اليونانية... كانوا (الأب والأجداد) جميعهم علماء يحسنون لغات عديدة من لغات ذلك العصر الحية، وفي قصورهم المكتبات الغنية المليئة بكنوز العلوم والفلسفة.

تسّم الحاكم كرسي الخلافة سنة ٩٩٦ م وعمره إحدى عشر عاما، وقد أخذت له البيعة في بلبس أثر وفاة أبيه العزيز الذي كان يصطحبه مباشرة؛ وكان دخوله القاهرة في اليوم التالي من مبايعته الخلافة... اسمه أبو علي المنصور، وحال مبايعته حمل الإسم التشريعي الفاطمي «الحاكم بأمر الله»... ولما كان طفلا تضلعت شقيقته «ست الملك» بأعباء الوصاية، فكانت أميرة عظيمة حازمة بصيرة بالأمور، وطدت أركان الخلافة وأدارت السلطة بكل وعي وحزم حتى بلغ

الحاكم السادسة عشر من عمره.. بعدها قام يبعد الطامحين في المراكز العليا ويقضي على الطامعين المتآمرين على عرشه خاصة وعلى الخلافة الفاطمية ككل، فواجهته الثورات والقتال والمؤامرات والإنتفاضات... ونظرا لصغر سنه كان الوزراء والأمراء والولاة يطمعون بالملك وثروات الدولة الغنية، يجمعون ويكدسون ملايين الدنانير الذهبية ويكنسون خزينة الدولة، غير أبهين من الخليفة الطفل، وغير حاسبين أن هذا الخليفة الطفل سوف ينمو ويكبر ويكتشف مؤامراتهم واختلاساتهم... وهكذا نرى أن الحاكم بعد أن تسّم كرسي الخلافة، كان بين حين وآخر، وبين مدة طويلة أو أخرى قصيرة، يكتشف مخطط مؤامرة على عرشه، أو إختلاس وزير لأموال الخزينة، فيأمر بإنزال العقوبة بهم، والتي كان أخفها في تلك العصور: الإعدام بقطع الرقبة...!!

كلمات من رسالة الحاكم

- الله هو الجوهر العظيم في أزليته، وهو المسمى بالعقل... والطبيعة بدء حركة لكل متحرك من ذاته... والطبيعة إنما تتم أفعالها بالحركة ليتم كل ما ليس بتام، ويخرج كل ما هو بالقوة إلى الفعل بالحركة (من رسالة بدء الخلق في كتب الحكمة الدرزية).

- مذهب التوحيد الدرزي الفاطمي يقول: الوجود ناجم عن إتحاد الروحانيات بالماديات، واتحاد الروح بالجسد، واتحاد المعقول بالمحسوس... والمادة في مذهب التوحيد قابلة للخير، كما هي قابلة للشر، وهي منفعة غير فاعلة، وليس لها دور يذكر في انتقائها الخير أو الشر إنما هي تستمدّها من اتحادها بالروحانيات (من رسالة بدء الخلق).

- يتعذر على الإنسان معرفة الوجود إلا بواسطة عقله (من آيات رسالة بدء الخلق).

- هذا التعريف عن بدء الخلق لم يكن وحيّاً مُنزَلاً ولا وصايا عشر محفورة بل كان تدوينها وإقرارها بعد حوار طويل بين مجموعة من علماء الدولة الفاطمية، المتحاورون برئاسة الحاكم أسبوعياً في باحة دار (الحكمة) العلم.

- كل شخص حرّ في إختيار مذهبه وإظهار ما في ضميره.
- العقل هو قائم الحق... والحق لا يقوم ولا يتحقق الا بالعقل.
- لا تتعلموا العلوم لغير العمل (رسالة الرضا والتسليم).
- المعنى الذي هو واجب الوجوب لذاته لا لغيره هو العقل (معراج الموحدين).
- العقل هو أصل العالم، وجميع المبدعات هي منه وإليه تعود...
- ولا إحاطة لمعلوم خرج عن إحاطة العقل

أقوال بعض العلماء والمؤرخين

في الحاكم بأمر الله

كتب المؤرخ الدكتور عارف تامر في مؤلفه «الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين» (الجزء السادس - صفحة ٨٤).

«كان الحاكم بأمر الله عالماً، وطبيباً، وفيلسوفاً، وكان رجل دولة وسياسي ماهر لا يعادله أحد في عصره، ولا بعد عصره، ولكن مع كل أسف لم يقدره المجتمع الغارق في الجهل، كما لم يفهمه.. وهكذا ضاع في متاهات الظلام».

وينقل الدكتور تامر في موسوعته التاريخية ما كتبه العالم الألماني «ميللر»: «كان الحاكم من أعجب الشخصيات التي عرفها التاريخ... إن من يقرأ ما أورده ونقله المؤرخون المتأخرون من مختلف الأساطير والقصص عنه، يخرج بحقيقة هي: أنهم لم يفهموه... إعتبروه مجنوناً فقط... ولكن توجد ثمة شواهد واضحة: هي أن هذا الأمير هو من أعجب ما أنجبت أسرته، وقد كان أشدهم إثارة للأساطير من حوله. وإن حجاباً كثيفاً قد أصبغ على صورته فلا نستطيع أن نظفر منها إلا بلمحات... ومن الواضح أن الحاكم بأمر الله لم يكن شخصية وضيعة

ساذجة، بل كان لغز عصره وفيلسوف زمانه وذهنا نيراً بعيد الغور وافر الإبتكار جم العطاء، وعقلية شابة سمت على مجتمعها، وتقدمت عصرها، وكان عليها أن تتبوأ في التاريخ مكانها اللائق».

وكتب المؤرخ عبدالله عنان في مؤلفه «الحاكم وأسرار الدعوة الفاطمية» صفحة ١٧٤ ما يلي: «لم يكن الحاكم بأمر الله تلك الشخصية الوضيعة الساذجة، ولا تلك العقلية المنحرفة التي تقدمها لنا الروايات، ولم تكن أعماله وأحكامه كما صُورت على مر العصور مزيجاً من النزعات والأهواء الجنونية، إنما كان الحاكم لغز عصره، وكان ذهننا بعيد الغور، وافر الإبتكار ذو عقلية تسمو على مجتمعها، وتتقدم عصرها بمراحل. وكان بالإختصار عبقرية يجب أن تنمو في التاريخ مكانها الحق... التاريخ ظلم الحاكم بأمر الله كما ظلم غيره من المصلحين».. لقد كان الحاكم مصلحاً على طريقته.. وكان يرمي بما يصدره من القوانين والأحكام إلى غايات خفيت على العامة لأنها تتعلق بسياسة الدولة العليا، ومن هنا كان الريب في حكمتها، وكانت القسوة في تطبيقها.

وجاء في عدد من كتب التاريخ وصف الحاكم بما نختصره: «كان منظره مثل منظر الأسد. عيناه واسعة شهل. صوته جهوري مخيف. سليل نسل من الجبابرة الصحراويين... كان والده العزيز عظيم القامة عريض المنكبين وقوي التكوين، وحواله وجدته لإمه اليونانيون الجذور، كانوا عمالقة... كان الحاكم ذا بنية قوية متينة. له نظرات حادة لا يستطيع الإنسان التحديق بهما وإطالة النظر فيهما... مظهره

يدل على أنه من الجبابرة العظماء... كان من أعلى وأرفع بيوتات العرب نسباً وحسباً، ومن أغنى ملوك الأرض جواهرها وقصورها وذهبها وممتلكات... حياته الخاصة لم تكن تختلف عن حياته العامة، وعن حياته في المجامع الرسمية... ترك التزيي بزى أبائه وأجداده من الثياب الفخمة مقتنعاً بلباس جماعة المذهب الصوفي... ومن تصرفاته الإنسانية التي إستغربها الناس في ذلك الزمن، أنه أعتق العبيد من الرق وكذلك الممالك وملكهم نفوسهم... وكانوا جمعاً كبيراً وهبهم كل ما كانوا يملكونه في حال الرق ليكون لهم حلالاً في حال العتق^(١) واختار عن قناعة الحياة الصوفية الفلسفية ذات الأبعاد الروحية التي تحتقر متاع الدنيا... لقد وهب الضياع والأملاك العائدة ملكيتها للخلافة لمن كان يحييها ويصلحها؛ كما انتزع من والدته وشقيقته وكبار خدمه وخواصه الأملاك والعقارات ووضعها بتصرف الدولة والمزارعين... ونص مرسوماً على وجوب إخضاع الإيمان للعقل^(٢)... كان لغزا يصعب إستجلاؤه، وعقلية متوقدة عسيرة الفهم وكتب عباس محمود العقاد: كان الحاكم بأمر الله يمنع تقبيل الأرض بين يديه، ولا يرضى أن تلمس يده وركابه... لقد ألغى كلمة مولانا، وأمر ألا تزيد الناس في السلام حين يدخلون عليه على قولهم: السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته».

(١) من كتاب الدكتور الشيخ أنور أبو خزام صفحة ١٥٩.

(٢) كانت آراء الغزالي متفقة مع آراء القديس اوغسطين... الإثنان كانا يقولان بوجود إخضاع العقل للإيمان، ولكن تعاليم الحاكم بأمر الله كانت بوجود إخضاع الإيمان لشروحات وبراهين العقل.

وقال المستشرق المؤرخ الهولندي راينهارت دوزي :

«قوانين الحاكم بأمر الله لم تكن سخيفة كما صورها لنا الرواة الذين دأبوا أن يقدموا لنا شخصية هذا الخليفة بغير حقيقتها... إنما كان الحاكم أسطورة التاريخ الذي لم يستطع أحد أن يفهم مقاصده، أو ينفذ إلى واقعه... لقد أراد بقوانينه أن يكافح الإنحلال الخلقي الذي جرى في مجتمع عصره».

وقال المؤرخ المقرئزي : «إن الحاكم بأمر الله، عمد إلى إصدار قوانين بدافع الشعور الديني لإصلاح الأخلاق وتطهير النفوس من رذائل المجتمع، واعطى المرأة الحقوق المتساوية مع الرجل حيث يساويها بنفسه في جميع ما في يده، وسن قانونا يمنع الزواج على أكثر من امرأة، والغى زواج القاصرات، وحرّم زواج المتعة وغيرها من القوانين»..

وكتب ابن خلدون :

«ان ما رُمي به الحاكم بأمر الله غير صحيح ولا يقبله عقل سليم»..

وقال المؤرخ الدكتور جمال الدين سرور، وهو من المعنيين

بتاريخ الفاطميين :

«ليس هناك ما يثبت أن الحاكم بأمر الله ذهب في تصوراته الدينية

إلى حد الخروج على قواعد الإسلام»... فقد كان يردد في كل

مناسبة :

أصبحت لا أرجو ولا أتقي إلا إلهي وله الفضل

جدي نبئي وإمامي أبي وديني الإخلاص والعدل

وجاء في الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين : الكتاب السادس
صفحة ٣٨ «وأخيراً، بعد أربعة أعوام من ولايته، استطاع الحاكم بأمر
الله أن يطوي مرحلة الحداثة، وأن يجلس على أريكة السلطة العليا،
وأن يبدأ عهده الحقيقي... فالحاكم في هذا السن أي الخامسة عشر،
بدأ مضطرب النفس، والأهواء، وافر الذكاء، والجرأة، والعزم، فبدأ
بتعيين مدير دولة، أو رئيس وزراء مكان برجوان، وقد وقع إختياره
على الحسين بن جوهر الصقلي، قائد القواد، فاستدعاه، وخلع
عليه، وقلده النظر في أمور الدولة... وأمر أن لا تبلغ إليه المهام
والظلمات إلا في مكتبه بالقصر، وألا يخاطب بغير لقبه الرسمي دون
تعظيم، أو تفخيم، ولا يُمنع أحد من مقابلة الخليفة، أو الاتصال به
(...) في هذه المرحلة بدأ الحاكم بإدارة شؤون الدولة العليا، فنظم
مجلساً ليلياً كان يحضره أكابر الخاصة، ورجال الدولة، وكانت الغاية
منه البحث في الشؤون العامة للدولة... وكانت هذه أول ظاهرة لهيام
الحاكم بالتجوال في الليل»... كان يأخذ الرقاع من المتظلمين وهو في
موكبه أو على المنبر... يضاف إلى ذلك أنه اشاد إدارة لمعرفة قضايا
الرعية ورفع المظالم عن الناس، حيث عمل مكاناً خاصاً على إحدى
أبواب قصره الكبير، المعروف بباب الذهب يدعى بـ«السقيفة» (أي
موضع سقف)، فيقف المظلوم تحتها ويقول بصوت عالٍ: لا إله إلا
الله - محمد رسول الله - وعليّ وليّ الله... فيسمعه الحاكم الذي
يجلس هناك تلك الليلة، ويستمع لشكواه، وينصفه مستعيداً له
حقوقه، ومعاقباً ظالميه.

وكتب المؤرخ الدكتور مصطفى غالب في كتابه «الحركات الباطنية

في الإسلام» فصلاً تاماً عن الحركة الدرزية وأصولها، تاريخياً وعقائدياً بأكثر من عشرين صفحة، مع مراجع مذكورة؛ نختصر منها ما سجله عن «الحاكم بأمر الله وعهده» في صفحات ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٤:

«من الواضح أن الحاكم بأمر الله قام بواجبه نحو مملكته وأمتة وشعبه خير قيام، ووجه اهتمامه الزائد للناحية العلمية، فنشط الحركة الفكرية، فراجت الثقافة، وزخر البلاط الفاطمي بالعلماء والشعراء والأدباء، وجعل من المساجد مثابة للعلماء وخاصة فقهاء المذهب الإسماعيلي... إشتهر بالبذل والسخاء والمحافظة على أموال الخزينة في آن واحد، فأنشأ ديوان المنفرد، وهو الدائرة المختصة بإضافة الأموال المصادرة من الأثرياء ومن الخارجين على القانون، فاستدعى أبا عبد الله الحسين بن علي بن النعمان ليقوم بمهمة القضاء في مصر، وخلع عليه خلعاً نفيسة، وضاعف عليه أرزاقه وإقطاعاته، وقال له: لقد أرحت عليك، فلا توجد لي بي سبيلاً إليك بتعرضك للدرهم من أموال المسلمين، فقد أغنيتك عنها... ويا للأسف على الأخلاق، فإن هذا القاضي الأناني ارتكب فضائعاً من الفساد والظلم والرشوة، الأمر الذي أثار الحاكم، فحرمه أولاً من منصبه، وبعدها بانت جرائمه أمر بقطع راسه، وبعد موته تبين أنه كسر وسحق راسه واضلاع فتى بريء ضرباً بالعصي والحديد، فأمر الحاكم بإحراق عظامه ليكون عبرة لغيره بلغ القمة في مكافحة التجار والمحتكرين الذين يتلاعبون في أقوات الناس، فكان يذهب بنفسه إليهم ويضيق الخناق عليهم كلما حاولوا

الاحتكار وحجز بضاعتهم عن الناس طمعا في زيادة المكسب حرم بيع الخمر وشربها ومنع النساء من التبرج والخروج لزيارة القبور، والدخول للحمامات العامة ومحى صورهن من الحمامات، ومنع الرجال من التسكع والوقوف أمام الحوانيت (كونه طبيباً عالماً) حرم تناول بعض الأطعمة المضرّة والمثيرة للشهوات، وأمر أن لا يقبل أحد الأرض أمامه، ولا يقبل ركابه ويديه عند السلام عليه في الموكب، ومنع الألقاب، وأكثر من الخروج لوحده ليلاً والجلوس مع الموحدين المخلصين.

أشاد أعظم وأفخم المؤسسات العلمية وأرقاها في ذلك العصر (دار الحكمة)... أنفقت عليها الأموال الطائلة، وفرشت بأحسن الأثاث، وزينت بأجمل النقوش، وكان الحاكم يشرف بنفسه على إقامة المناظرات بين العلماء والفقهاء ويهبهم العطايا والمنح».

كان الحاكم عالماً وأديباً، تنسب إليه هذه الأبيات:

دع اللوم عني لست مني بواثق فلا بدّ لي من صدقة المتحنق
وأسقي جيادي من فرات ودجلة وأجمع شمل الدين بعد التفرّق

في لقاء مع صاحب هذا الكتاب، قال العالم الاغترابي الطيب الذكرى توفيق قربان: «أنا كتبت في مجلات المهجر البرازيلي عن سمو تقديري لعظمة عقل الحاكم بأمر الله بما يلي: لا يوجد شيء يوازي اكتشاف مكنون قوّة العقل. والحاكم بأمر الله الفاطمي كشف مكنون قوّة العقل ودلّنا على جوهرها، وأوصى الإنسان بأن كل ما لا

يقرّه العقل لا يدخل في المفهوم، وكل ما لا يقره العقل لا يدخل في الاعتقاد الديني، فاستحق التقدير الجزيل لحكمته وعظمة اكتشافه»^(١).

وفي كتابه «الحاكم بأمر الله» يكتب الدكتور محمد كامل حسن ما يلي: «عرف عن الحاكم بُعدَه عن اللهو والمجون، وما ينصرف إليه من كان في مثل سنه من الشباب... فهو لم يشرب الخمر، ولم يقترب الفاحشة. وهي ناحية غريبة من ملك شاب في بيئة عُرفت بحب اللهو والمجون، وهذا ما يدعوننا إلى التفكير في حقيقة نفسية هذا الشاب».

وكتب المؤرخ محمد عماره: «بعد أن ذهبَت الدولة الفاطمية وقامت دولة المماليك، تعرض تاريخ الخلافة الفاطمية الشيعية إلى نقد وتجريح من الفقهاء والمؤرخين السنة».

وفي كتاب «المؤرخ يحيى الأنطاكي» صفحة ٢٠٦ دون ما يلي: «أظهر الحاكم من العدل ما لم يسمع به، حيث أسقط جميع الرسوم والمكوس التي جرت عادة السلاطين على أخذها»^(٢).

(١) العالم الاغترابي توفيق قربان كان من قلائل العلماء العرب العميقين البحث في الفلسفة اليونانية، وخاصة في نظرية التقمص لفيثاغورس، وأسمعتني أكثر من مرة نقداً مريراً (الكلام لصاحب الكتاب) حيث قال لي: وأنتم إخواني بني معروف... «أما انكم تجهلون جوهر كنز رسالتكم (رسالة العقل) أو أنكم لا تستحقونها»!...

(٢) المؤرخ يحيى الأنطاكي كان انتهازياً... لأجل الربح كان يرضي السلاطين الأصوليين فيكتب تاريخ الفاطميين مبالغاً بالكاذب، ومتحاملاً خاصة على الحاكم بأمر الله، فرووا الأقاويل عن تصرفاته وأحكامه فيقول أنه ادعى الألوهية وتارة يكتب أنه كان يعبد كوكبي زحل والمريخ.. وأنه بقي تحت الأرض في غرفة ثلاث سنوات ولم يغادرها.. وأنه توقف عن الاستحمام سبع سنوات.. وهذا القدر والدم أظهر أكاذيب الأنطاكي ولكنه هنا في صفحة ٢٠٦ من كتاب يكذب نفسه بنفسه.

وكتب المؤرخ الألماني «هاينز هالم»^(١) في كتابه «الفاطميون وتقاليدهم في التعليم» ص ٦٤ ما يلي: «كان عهد الحاكم بأمر الله الذي دام ربع قرن من الزمان، في تلك الفترة شهدت مصر استقراراً مميزاً وازدهرت فيها الثقافة والعلوم، وكانت للحاكم في القاهرة شعبية فائقة، فكان يحب الإختلاط بالناس في مناسبات الأعياد لكل من النصارى والمسلمين. بل وقيل أنه كان يركب ليلاً متنكراً بحيث يستطيع معرفة ما تقوله رعيته عنه وعن حكمه... ونجد ذكراً لعادة الخروج ليلاً للخليفة الفاطمي محفوظة في حكايات (ألف ليلة وليلة)، وقد نُسبت إلى الخليفة هارون الرشيد، وهو الذي لم يذكر المؤرخون أي شيء من هذا القبيل عنه (...). الحاكم حاول أيضاً وسعى لإحداث نوع من التفاهم بين السنة والشيعة الإثني عشرية والإسماعيليين لأنه أراد أن يكون إماماً لجميع المسلمين»، وقام بمحاولة ثانية لإقناع الذميين لأنه كان كما يبدو يريد عولمة رسالة العقل لإفادة البشر ككل.

أحداث هددت الخلافة في عهد الحاكم

١ - الصراع بين الجناح الغربي من الجيش (المكوّن من البربر والمشاركة) وبين الجناح الشرقي (المكون من القوات التركية والديلمية) وهذا الصراع والإنقسام بين الجناحين ورثه الحاكم بأمر الله من والده العزيز بالله، الذي استخدم الأتراك بقصد الفتح للولايات

(١) كتاب الفاطميون وتقاليدهم في التعليم - طبع دار المدى للثقافة والنشر - دمشق.

الشرقية... لقد وصل الأمر لإعلان الحرب بين الطرفين خلال السنوات المبكرة من فترة حكم الحاكم بأمر الله.

٢ - أطماع قادة الجيش الفاطمي بالإستيلاء على العرش وإقالة الخليفة الفتى الصغير السن، وكان أولها ثورة الشغب التي قادها شيخ قبيلة كتامة أبو محمد ابن عمار الذي كان برتبة أمين الدولة، وسُمي باسم «الوسيط بين الخليفة والرعية»... هذا إنتصر عليه منافس آخر وهو كبير الخدم الداهية الشجاع أبو الفتوح برجوان، وهو خصي أبيض من الصقالبة

٣ - برجوان المنتصر هذا، بعد أن تسلم سلطات ابن عمار، قام يعمل للإستيلاء على الخلافة، ويرسم خطط المؤامرة معتبرا نفسه أنه الخليفة، فارضا الضرائب الباهضة على الشعب، مستهينا بالخليفة الفتى، جامعا من الأموال ما قدر يومها بمائتي مليون دينار ذهبي وصناديق عديدة من الجواهر وعشرات الضياع والأملاك والآف الجواميس والأنعام والبقر والخيول^(١).. وتشاغل عن أعمال الدولة بملذاته وعاداته الساقطة، فتعطلت أمور العباد ووقفت الأعمال وفسدت أمور البلاد، وهذا ما هدد بإنهيار الدولة ونهاية الخلافة واستيلاء برجوان على السلطة... كل هذا يجري وبرجوان يستهين بالحاكم الصبي، ونسي أن هذا الصبي وصل إلى الخامسة عشرة من عمره، إلى سن المراهقة، أي إلى السن الذي لا يحتمل الإهانة

(١) راجع كتاب الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه للدكتور عبد المنعم ماجد - طبعة ثانية صفحة ٣٢.

والإزدراء، وخاصة إذا كان خليفة... وفجأة في البستان الكافوري (نسبة لكافور الأخشيدي) التابع للقصر برز الحاكم شابا عملاقا وبجانبه خادم أمين مخلص (ريدان الصقلي) فقضيا على برجوان الفاسق ودفناه مع مؤامراته وفساد أخلاقه...

٤ - تمرد المغامر (الصوري) علاق، الذي أعلن ثورته على الحاكم بأمر الله، وأعلن انفصال أمارة صور عن الخلافة الفاطمية، ونقش دنانير العملة الخاصة بإمارته «عز بعد فاقة الأمير علاقة»... كل هذا مدفوعاً ومدعوماً من البيزنطيين واسطولهم القوي.

٥ - هجوم البيزنطيين وتحركهم على شمالي سوريا حيث هزموا في افاميه (حماه) بعد معارك دامية.

٦ - انتفاضة القبيلة المغربية صنهاجة التي قادها الوليد بن هشام الملقب «بأبي ركوة»... وهذه كانت من أكبر الأحداث الخطيرة التي مرت بالخلافة الفاطمية في عهد الحاكم بأمر الله، حيث استطاع أبو ركوة ان يجمع عناصر مغربية من البربرالسنين المنغمسين في الأصولية المذهبية ضد الشيعة ومن قبائل «زناته» أنصار أموي الأندلس... فبدأ بالإستيلاء على بلدان المغرب العربي، وحاصر برقه عدة شهور، وأخيراً سنة ١٠٠٥ استسلمت برقه ودخلها أبو ركوة وذبح كل من فيها من الشيعة... أما مصر، وهي غاية مقصده، فقد زحف اليها سنة ١٠٠٦ ومعه قبائل عديدة وعساكر جائعة من كل بقاع المغرب العربي. هذه الجموع كان يجتذبها غنى الدولة الفاطمية وخيرات مصر. وكان أبو ركوة يقول لعساكره أن مصر هي ارض غنية يمتلكها الكفار... حاصر الإسكندرية أولاً، ولكن الجند الفاطمي

هزمه وطرده، فانتشرت فرق جنوده وقبائل جيوشه في أصقاع مصر ينهبون ويفتكون، وخاصة عندما إنضمت إليه قبائل ثانية من ريف مصر من بقايا القرامطة كبني سليم وبني هلال وغيرها...

أمام هذا الخطر... جهز الحاكم جيشاً قويا فيه الكثيرين من المصريين والترك والديلم والسودان، بقيادة الفضل بن الحسن بن صالح... يومها برزت شخصية الحاكم الخليفة الشاب الشجاع.. لقد كان يذهب لوحده منفردا في القرى والفلوات يحث المصريين على الثبات والدفاع عن كيانهم... فاستجاب شعب مصر لنداء الحاكم، وبرهنوا عن الولاء للخلافة الفاطمية.. لقد وضعوا أموالهم تحت تصرف الحاكم بأمر الله وأنطلقوا مئات وألوفاً يحاربون ويقاتلون الغزاة الأعداء الدمويين الناهبين، وهكذا عندما تقابل الجيشان في مكان يدعى «رأس البركة» بانت فوارق الشجاعة القتالية بين الذين يقاتلون دفاعاً عن الديار وبين الغزاة لصوص الدار والديار... لقد انهزمت جيوش أبي ركوة وتفرقت قبائله الغازية، وانتهى به الأمر أن يصل إلى بلاد النوبة فاراً، فأسره ملكها وسلمه إلى قائد الجيش الفاطمي الفضل بن الحسن، الذي جاء به إلى القاهرة حيث احتفل الناس بالنصر وصلبوا «أبا ركوة».

إشاعات لهدم الخلافة الفاطمية

وزرع الإنقسامات العقائدية

الجدير بالذكر أنه منذ ذلك التاريخ كانت دعايات أعداء الفاطميين منتشرة في مصر وغيرها من أقطار الخلافة الفاطمية... أبو ركوة كان يردد هذه الإشاعات، في المغرب العربي، محرضاً القبائل السنية ضد الحكم الفاطمي الإسماعيلي، وخاصة ضد شخصية الحاكم بأمر الله ووالده العزيز وجاهه المعزّ أبرز الخلفاء الفاطميين الذين اشتهروا في تنظيم الدعوة الإسماعيلية وازدهار مجد الخلافة الفاطمية... كان أبو ركوة يشيع الأقاويل والأخبار الغريبة عن الحاكم، تارة يتهمه بالسحر، وطورا بالفساد الخلقي، وحيناً بالجنون، وأنه إدعى الألوهية، ثم يكذب تحدر الفاطميين من نسل الإمام علي وفاطمة بنت رسول الله.

هذه الإشاعات والأقاويل لم تكن فقط وليدة زحف عساكر أبي ركوة على مصر، بل كانت جذورها قد زرعت منذ قبل إطلالة الفتح الفاطمي... منذ يوم هبت اطماع الأنانية الخاصة وانتصرت على شورى الدين الجديد، وتحديدًا يوم التحكيم في صفين... يوم لعبت أنامل الداهية عمرو ابن العاص لعبتها في شعرات دقن أبي موسى

الأشعري... وكانت تلك أيام بداية عودة الجاهلية إلى الرؤوس العربية، وأصبحت الأصولية السنية الأموية تقطع رؤوس كل من يذكر بالشورى ولا يبايع الغلام يزيد، وتهدم ركن الكعبة المقدس إذا احتمى في ظلها (ابن الزبير) مقاوماً لعبد الملك بن مروان بن الحكم، وقامت بعدها أصولية عباسية تجز رقبة كل شاعر أو عالم يعترض على جور أحكام أبي جعفر المنصور (اغتيال ابن المقفع مثلاً)، أو تستنكر تعاليم ابن تيمية وتلامذته، وتجزل العطايا لكل من يلعن علياً واهل بيته... وبعدها اتخذها الإنتهازيون الساقطون كوسيلة لطرق أبواب الإسترزاق من قصور الأمويين والعباسيين والأخشيديين وصولاً عبر القرون إلى قصور سلاطين وباشاوات العثمانيين... يقابلها رد الأصولية الشيعية التي ما تركت فرصة تمر إلا وترد كيل الإشاعات والأقاويل واستنباط الحكايا والأساطير ضد الخلفاء الراشدين (أبو بكر وعمر وعثمان) وعيشه أم المؤمنين، وحتى وصل تزاحم الأشاعات إلى التهجم على النبي، لأنه لم يوصي الخلافة لابن عمه علي في وصية واضحة البيان والخط المبين... لقد وصل الأمر أيضاً أن بعض الدعاة الفرس الذين وصلوا البصرة قاموا يزرعون ويشيعون الانقسام بين شيعي وسني ويتهجمون حتى على الملاك جبرائيل ويتهموه أنه سرق النبوة التي كانت مهداة من رب السماء إلى علي بن أبي طالب وأعطاهها إلى محمد...!! لهذا نرى أنه ما تغلغت الأساطير والخرافات في لب لغة من لغات شعوب الأرض مثلما تغلغت في اللغة العربية، وتدرجت إلى العقل العربي لتقدسها... وجميع هذه الأكاذيب المشيعة

كانت كلها لخدمة تاج السلطان وزرع الإنقسامات العقائدية... لهذا لا نعجب إذا كانت حكايا واشاعات الأكاذيب هجمت على الفاطميين، وخاصة على خليفتهم الأعظم شأنا الحاكم بأمر الله، أعمق الخلفاء الفاطميين علما، وأقدمهم شجاعة.

أشاعوا

اللسان والقلم العربي فنانان سباقان في نحت وصقل إشاعات أخبار التجريح وشم وسخرية وإهانة وقدح وذم الفريق الآخر - الفريق الخصم في الدين، أو المذهب الآخر، أو الحزب السياسي الآخر... ومثلما يغالون في الإشاعات ضد الأخصام يغالون في المدح والتبجيل والتعظيم ونظم الأشعار في الفريق الحليف... فريق العهد والميثاق... لهذا نرى هذه المهنة أبان العصر الفاطمي، مهنة القدح والذم والمدح وخاصة مهنة اشاعات التشويش وتذيع الأكاذيب قد راج سوقها.

أشاعوا عن الحاكم بأمر الله الفاطمي أنه هدم الكنائس واضطهد المسيحيين واليهود، وأشاعوا عنه أنه طاغية سفاك دماء أمر بقتل وشنق الآلاف من وزرائه ومعاونيه وأشاعوا أن له تصرفات فولكلورية جنونية غريبة عجيبة.

نسبوا إليه أنه مصاب بالجنون وشيعوا وأذاعوا أنه ادعى الألوهية...!

كان علينا أن نمرّر الكرام على هذه الإشاعات ولا نهتم بتفنيد

عدم مصداقيتها، هذا لو لم يكن الدماغ العربي مستسيغاً لضخامة نوادر أكاذيبها... هنا أصبح علينا تفسير ما لم يفسر، ونسجل الحقائق عن الحاكم المفترى عليه...

الحاكم لم يهدم الكنائس ولم يضطهد الأقباط المسيحيين، حتى ولا الأقلية اليهودية.. كان دائماً يردد كلام جده الرسول محمد بن عبدالله «لا إكراه في الدين»...

وقد جاء في الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين (الجزء السادس صفحة ٩٢ ما مختصره): «لم يوضح أعداء الفاطميين المؤرخين لهذه الأحداث غاية أو مصلحة الحاكم في تهديم الكنائس واضطهاد المسيحيين، وهو الذي عرف واشتهر عنه بإفتاحه على كافة المذاهب والأديان، وخاصة النصارى الذين كانوا يُعتبرون أخواله»... أما اليهود فقد كان منهم الولاة والوزراء... الخلفاء المعزّ والعزیز والحاكم قلدوهم أعظم المناصب، مما أثار نقد وحسد المصريين، وقال أحد شعرائهم:

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
العزف فيهم، والمال عندهم ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إنني نصحت لكم تهودوا، قد تهود الفلك

سنة ٣٩٨هـ، أصدر الحاكم مرسوماً يقول فيه: «أما بعد فإن أمير المؤمنين يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين (لا إكراه في الدين) مضى أمس بما فيه وأتى اليوم بما يقتضيه».

الحقيقة هي أن أخصام الخلافة الفاطمية كانوا يتآمرون ويقتربون

الجرائم ضد المسيحيين واليهود وينسبونها إلى أنها أوامر الحاكم بأمر الله، وغايتهم إظهار الحاكم بمظهر الطاغية... إن أكثرية الكنائس المحروقة كان المسيحيون أنفسهم يحرقونها... لقد كان هناك إنقسام بين المسيحيين... بين طائفة اليعاقبة وبين طائفة الملكانية... وهذه الثانية كانت طائفة والده الحاكم التي استقويت في عهد الحاكم، وخاصة بعد تعيين شقيقها (خؤولة الحاكم) «أريستس» بطريركا على بيت المقدس «وأرسانيوس» بطريركاً على إسكندرية.

مصر في تلك الفترة، وأنانية المصلحة الخاصة والثارات الداكنة هبت تلعب دورها، حيث مارست الطائفة الملكانية سيطرتها واستبدادها على الطائفة الثانية، فحدثت المصادمات الدموية بين الفريقين، ووصلت حرائقها إلى معابد وكنائس المتخاصمين... وهنا إغتنم دعاة الحروب الصليبية أعداء الفاطميين الفرصة، وقاموا يشحنون صدور الأوروبيين بالحماس الصليبي ويدعون فرسانهم لإنقاذ الأماكن المقدسة من أيدي المسلمين، ويسلطون أضواء التهم على الخلفاء الفاطميين بأنهم الطغاة الدمويين المستبدين المضطهدين للمسيحيين والمهذمين كنائسهم... ولما كان اسم الحاكم الأكثر تداولاً والأوسع صيتاً بقيت الإشاعات والدعايات تحمل اسمه حتى بعد نهاية عهد خلافته بأكثر من قرن... هذا دون أية إشارة أو أعلام أن والده الحاكم مسيحية وخؤولته بطاركة، وأن الحاكم نفسه كان صديقاً «للأنبا سلمون رئيس دير طور سيناء».. الذي كان الحاكم يزوره ويضيفه عندما يخرج في تجواله الإنفرادي في الصحراء جنوبي القاهرة... وتكتب المؤرخة العميقة الأبحاث «نجلا أبي عزالدين» أن الحاكم كان

يلبي إلتماس الأنبا سلمون بإعادة بناء الكنائس والمعابد المسيحية التاريخية وأملاك الكنيسة... إن التسامح الديني المعروف عن الحاكم كان من ميراث الخلفاء الفاطميين أجداده... وتضيف الباحثة أبي عزالدين في كتابها «الدروز في التاريخ» صفحة ٢٠٣: «أن الحاكم كان يأمل أن يؤدي أعتناق الذميين الإسلام للوصول إلى قيام دين إسلامي عالمي، ولآجل وضع الحجر الأساسي لعولمة دين العقل الإسلامي حاول الحاكم أولاً التوفيق بين السنة والشيعة»... إن المؤرخين الذين أكثروا في استنباط قصص القدح والذم في عهد الحاكم بأمر الله لم يبينوا البراهين التي يقبلها العقل عن مصلحة الحاكم في اضطهاد الذميين، هذا لأننا قرأنا أسماء عدة وزراء للحاكم من اليهود والنصارى، وعدد منهم من هؤلاء العلماء الذميين كانوا في دار الحكمة يسرحون ويمرحون ويعلمون ويحاضرون من على منابرها.

أما الإشاعة الثانية عن الحاكم، أنه كان طاغية سفاك للدماء، وأنه قتل وشنق معاونيه... وهنا نلاحظ التسابق بين كتاب ومؤرخي الزور، على المبالغة بأعداد الضحايا وخاصة من الوزراء، الذين تسابقوا في المبالغة بأرقامهم، إلى ما وصل إليه خيالهم، للخمسة عشر الفا... وكتبوا أنه قام الحاكم بنفسه وقتل فلان ونحر فليتان، وشنق ذاك الوزير وغدر بذاك الأمير. كل هذا كي يلصقوا جريمة الاغتيال الدموي بالحاكم رأساً، كونه أمر وفاعل ومنفذ الجريمة... ولكن... لما كان الظن وصفحات التاريخ المزور لا تغني عن الحقيقة شيئاً، ولما كان كل شيء في الحياة يفنى ويتغير ولا يدوم إلا وجه الحقيقة، فإن

جميع قصص الإجرام التي نسبوها للخلفاء الفاطميين ككل، وللحاكم بوجه خاص ذابت وتبخرت أمام الحقائق التاريخية المسجلة.

الحاكم بعدما بلغ السادسة عشر سنا قام بمساعدة كبير الخدم أبو الفتوح برجوان الصقلي وقضى على شيخ قبيلة كتامة أبو محمد ابن عمار رئيس ثورة الشغب، الذي كان معززا ومكرما برتبة أمين الدولة، وخان الخلافة وتآمر على الدولة... بعده سلم الحاكم مقاليد الوزارة إلى مساعده برجوان... وهذا كان شر خلف لشر سلف... قام يحيك المؤامرات علي الخليفة والخلافة، مستهينا بالخليفة الفتى. فرضاً الضرائب الباهظة، جامعا الأموال ما قدر يومها بمئتي مليون دينار ذهباً، وصناديق عديدة من الجواهر وعشرات الضياع والأملك وآلاف الأنعام والبقر والخيل، وتشاغل عن أعمال الدولة بملذاته وعاداته الساقطة، وهذا ما هدد بإنهيار الدولة ونهاية الخلافة، ودفع الحاكم إلى السرعة بالقضاء عليه... وبعدهما تخلص من هولاء، قام بكل حذر وشجاعة يحاكم المختلسين والمتآمرين، فحكم على مؤدبه سعيد بن سعد الفارقي، وابن بن أبي نجدة (متولي الحسبة) وأبا علي الحسن بن عسلوج (متولي شؤون المال) وأمر بقتل وزيره فهد بن إبراهيم النصراني وأخيه أبا غالب، ثم أبا طاهر ابن النحوي متولي الشام، وريدان صاحب المضلة، وعبد الرحيم بن الياس... وغيرهم من الذين سجلت اسمائهم مع جرائم مؤامراتهم واختلاساتهم... وهذه الأحكام لا توازي أرقامها واحد من ألف من أرقام ضحايا الأمويين والعباسيين ضد من ثاروا على المظالم.

أما عن جنون الحاكم، فهي أول وآخر مطاف كلام الزور والأكاذيب... هل يصدق أن رجل دولة وخلافة كبرى من عيار عقلانية الحاكم أن يكون مجنوناً؟؟... هل يكون مجنوناً من أصدر مرسوماً يقول فيه: «الصلاح والإصلاح بين الناس أصلح، والفساد والإفساد بينهم مستقبح... كل أمرىء حر في اعتقاده واختيار مذهبه، واطهار ما في ضميره... ولا إكراه في الدين»... وفي نفس هذا المرسوم ينهي ويمنع سب وشتم الخلفاء السابقين - أبو بكر وعمر وعثمان وأيضاً عيشه أم المؤمنين، الذين كان الشيعة في جوامعهم ومساجدهم يشتمونهم ويلعنوهم، رداً وجواباً كيدياً على الأصوليين السنة أنصار الأمويين والعباسيين، الذين بقوا طوال عدة قرون يلعنون ويشتمون الإمام علي بن أبي طالب وأهل بيت الرسول... فلما تسّم الحاكم (الذي ينعتوه بالجنون) عرش الخلافة منع الرد بالشتائم عليهم في جميع مساجد بلدان الخلافة الفاطمية، محذراً بأن الشتائم تزيد العداوة وتوسع شق التفرقة بين أبناء أمة محمد.

هل يكون مجنوناً الخليفة الذي يرفض أذلال وإهانة شعبه، فيمنع الناس من تقبيل الأرض بين يديه، ولا يرضى أن تلمس يده وركابه، والغى كلمة مولانا، وأمر أن لا يزيد الناس في السلام حين يدخلون عليه على قولهم: السلام على أمير المؤمنين^(١)...؟ هل يكون مجنوناً من أصدر مرسوماً منع فيه الزواج على أكثر من امرأة، وإلغاء نكاح المتعة، وأعطى المرأة الحقوق المتساوية مع الرجل...؟ وحرّم زواج

(١) كلمات عباس محمود العقاد.

القاصرات، وألغى الإحتفاء بإنتظار عودة المهدي المنتظر...؟^(١) هل يكون مجنوناً من يبني داراً للحكمة وفيها مكتبة ثمينة عدد مجلداتها مليون وستمائة ألف مجلد^(٢)..؟

هل يكون مجنوناً من أكتشف عظمة طاقة العقل، ودل على أن معرفة الله لا تتم إلا بواسطة العقل، والذي حاول عولمة العلمنة، لتغمر أجواء عالمنا الحالي المسكون من عوالم انانية حسودة متنافرة مزاحمة بعضها لبعض...

هل يكون مجنوناً من يدعو المهندس الحسابي ابن الهيثم لبناء سد أسوان ورصد مياه فيضانات النيل، ويكرم فيلسوف البشر أبي العلاء المعري، ومجموعة رجالات علمانية عديدة أوجدت حركة ثقافية غريبة في عصره...؟ هل يكون مجنوناً بلا عقل الإنسان الذي كشف عظمة العقل، وقدس العقل تقديساً كلياً، ودلّ الإنسانية على أن العقل هو بداية الوجود ووجود الموجود، وأن كل ما لا يقره العقل ليس له وجود، وما لا يقره العقل لا يدخل في المفهوم ولا يصلح للمعتقدات الدينية ولا للاجتماعية ولا للمعيشة الحياتية ولا الزمنية، ولا يصلح للأمل ولا للأزل ولا للأجل...؟

إن الذين كتبوا عن الحاكم أنه كان يعسُّ ليلاً لمعرفة أسرار الناس، وأنه قام بأعمال جنونية، وأنه عشق شقيقته ست الملك التي تفوقه أكثر من عشرين سنة عمراً، وهي التي ربته وثقفته ووطدت

(١) سطور من سيرة الحاكم.

(٢) كتاب الدروزفي التاريخ لنجلا أبي عز الدين - مرجع مذكور.

أركان خلافته، ويتهموها كتاب التاريخ المزور أنها كانت وراء مؤامرة اغتياله واختفائه...! هؤلاء يكتب عنهم المؤرخ المقرئزي ما يلي: «هؤلاء السفلة المنحطين تجردوا من كل قيم الكرامة الإنسانية والشرف والخلق الوجداني»، وفي كتاب «الحركات الباطنية في الإسلام» صفحة ١٩١، جاء ما يلي: «إن كل ما أحيط بشخصية الإمام الحاكم بأمر الله لم يكن إلا من قبيل الدس والتحامل، والعصبية الدينية المذهبية، والخيال الخصب، الذي لعب دوراً كبيراً فعلاً عند بعض المؤرخين، الذين حكموا على الأمور قبل التشبع من دراستها، وبيان عللها وأسباب حدوثها.

المقال الفصل:

هل ادعى الألوهية...؟

الحاكم بأمر الله الفاطمي لم يدعي الألوهية... كانت رسالته دعوة لتقديس العقل... وفي السنوات الأخيرة من خلافته، أي قبيل إخفائه، كان قد أخذ يوقع اسمه الحاكم بأمره... أي بأمر العقل.

دعوة الحاكم الفاطمي لتقديس العقل لم تكن إدعاءً بالألوهية، ولم تكن دعوة لتقديس شخصه، ولكن بعض الدعاة الذين يعملون برعاية الفاطميين لنشر الدعوة الإسماعيلية؛ وكانوا أكثرهم من بلاد فارس... وإن غاية ومقصد الفرس القومي التاريخي القديم، منذ أيام اغتيال الفاروق، وأيام أبو مسلم الخراساني والبرامكة، عُرف وبان عبر أحداث التاريخ؛ ألا وهو تفتيت الخلافة العربية الإسلامية، واستعادة أمجاد إمبراطورية الأكاسرة... لقد كانوا يسترون مقاصدهم وحيناً آخر يظهرون نواياهم قائلين: إن العرب سلبوا حضارة الفرس وسرقوا ثقافتهم، وإدعوا وتباهوا عالمياً أنها حضارة وثقافة عربية... وهكذا عندما تعالت رايات الدولة الفاطمية القرشبية الهاشمية العربية في أقطار عديدة من أقطار الشرق والغرب، هرعوا للسيطرة عليها واستلام قيادة مسيرتها، سيما وهي الدولة الإسلامية الوحيدة الكبرى

التي تدين بالمذهب الشيعي الذي تعتنقه أكثرية الجمهور الفارسي، ولما لم يتم لهم ذلك، عملوا على تفتيت الدولة العربية الناشئة مع شروق شمس نموها وقبل ضياع أحلامهم... وبهذا الموضوع نقرأ ما سجله المؤرخ الدكتور حسن إبراهيم حسن في «تاريخ الدولة الفاطمية» صفحة ٣٥٥:

الدعوة الإسماعيلية - وتأليه الحاكم

قامت في العصر الفاطمي طائفة من غلاة دعاة الإسماعيلية وألؤها الحاكم بأمر الله، فخرجوا بذلك على السواد الأعظم من الإسماعيليين المعتدلين الذين يمثلون المدرسة الإسماعيلية القديمة... هذه الحركة قامت على أيدي الفرس الذين كانوا (منذ قديم الزمان) يؤلّهون ملوكهم ويؤمنون بنظرية الحق الملكي المقدس... ومن أعظم دعاة هذه الحركة كان الحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم^(١)، وهو أول من شهر دعوة ألوهية الحاكم، وحمزة بن علي الزوزني، ومحمد بن إسماعيل أنوشتكين.

وكما كانت عادة الفرس في تأليه ملوكهم، فقد كانت للمصريين عادات قديمة ورثوها منذ أيام الفراعنة... أي أنهم ورثوا تأليه الأفراد منذ بدء التاريخ البشري في مصر... في هاتيك الأيام كانوا ينظرون للفرعون الملك نظرتهم لرب السماوات والأرض... وللتاريخ نذكر... ونذكر المؤرخين... أن الإسكندر المكدوني عندما وصل في فتوحاته

(١) الأخرم هو المقطوع وتر أنفه أو المثقوب الأذن.

إلى مصر، إستقبله المصريون، على عاداتهم القديمة، معلنين إلهيته... وعلى الرغم من علم وعقل الإسكندر، التلميذ النابه في مدرسة معلمه «أرسطوطاليس»... وعلى الرغم من موسوعة علم الإسكندر بخرافة تأليه الإنسان لإنسان مثله، فقد استطاب اللقب الإلهي وقبله ولم يعترض عليه.

بعد هذا لا نستغرب إذا كان البعض من (أقلية) المصريين إستجابوا لدعوة هؤلاء الدعاة الفاطميين، على الرغم من استنكار أكثرية الناس لهم... وعلى الرغم من رفض الحاكم لهذا التأليه وإصدار أحكامه القاسية بإعدام كل من يقول هذا القول؛ حيث قرأنا في كتب التاريخ العديدة أن الحاكم أصدر ثلاث أوامر، في أزمنة وأمكنة مختلفة بإعدام ثلاثة من الذين عاندوا أوامره، وقبلوا توجيهات الدعاة المتأمرين المدبرين، فنادوه مرات عديدة باسم الرب... وأيضاً أمر الحاكم بإنزال حكم الإعدام بالأخرم ورفيقه الداعية نشتكين الدرزي... فهب المصلون بالجامع، وقضوا على الأخرم... أما نشتكين فقد تمكن من الهرب إلى وادي التيم في لبنان، وقام يعمل لتأسيس دعوته، معلنا الوهية الحاكم، وأيضاً معلنا الشتائم والمطاعن في النبي محمد والإمام علي وأهل البيت، كما أنه لم يوفر المسيح والمسيحية، فأعدم سنة ٤١٠هـ.

الدعاة يؤلّهون ويلقبون

على الرغم من كل هذا فإن بعض الدعاة تابعوا على عنادهم مذيعين الوهية الحاكم، أي أنه الإنسان الفرد الصمد، الذي لم يلد

ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد... هؤلاء بعد إختفاء الحاكم تابعوا سرّاً تشييع وتذيع دعوة الألوهية، عاملين على رفع راية الدعوة وإحتوائها لغاية خاصة في توزيع ألقاب القداسة بعضهم لبعض... فاشتدت خصومة الأصوليين السنة والشيعة لهم وللدولة، وقام أعداء الحاكم يعملون لبث الأضطراب وزعزعة أركان الخلافة الفاطمية. وفي هذا المعنى كتب المؤرخ المصري الدكتور عبد المنعم ماجد في مؤلفه القيم «الحاكم بأمر الله - الخليفة المفترى عليه» صفحة ١٠٨ ما يلي:

«(...) وزاد في الطنبور نغمة، أن أعداء الفاطميين، وجدوا في هذا الإضطراب المذهبي فرصة لإثبات إدعاء الحاكم بالألوهية؛ بقصد التشهير به والقضاء على دولته. فقالوا إن مصر لم تر فرعوناً شراً من الحاكم، الذي رام أن يدعي الألوهية كما إدعاها فرعون، وأنه أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا صفوفاً إعظماً لذكره واحتراماً لاسمه، وإنه كان يفعل ذلك في سائر مملكته حتى في الحرمين الشريفين».

الرسول العربي الكريم محمد بن عبدالله كان أكثر الأنبياء صراحة، عندما قال: أيها الناس... أنا إنسان مثلكم... أنا ابن امرأة كانت تأكل القد... وعدا عن ذلك فإن عقل الإنسان الباحث المليء بالشك، لا يزال مفتشاً باحثاً سائلاً عن كلمة تفوه بها يسوع ابن الإنسان، عن أنه ولد ولادة غير شرعية...! ويسوع هو الذي خاطب الناس بقوله: «أنا إنسان مثلكم قد كلمكم بالحق» (يوحنا ٨ آية ٤)... وأيضاً قام الكثيرون قبلنا، وقمنا نحن الآن نفتش عن كلمة أو جملة تفوه بها

الحاكم بأمر الله الفاطمي وأدعى الألوهية فلم نجد لها... لهذا نؤكد أن كل ما كتب وقيل عن إدعاء الحاكم للألوهية ما هو إلا إفتراء وعداء عقائدياً مذهبياً، لغاية عند المشيعين لتفتيت رابطة العقيدة الإسلامية، وللهزء بالعلم، ودفن الرسالة العقلانية التي كان الحاكم يدعو لها، وثم بذر الخصام بين الأشقاء أحفاد قحطان وعدنان، وتذويب الشعور القومي العربي لاحقاً، وشرذمة الإسلام إلى طوائف وعقائد طوباوية مختلفة، وتنويم العقول العربية خاصة والإسلامية عامة على مخدرات الإتكالية والإستخفاف بالعقل وإهانتته، والرجوع عن البحث وعن دروس علوم الفلسفة والفيزياء... والإكتفاء بقاموس «الله أعلم».

كلمات للحاكم

الحاكم بأمر الله أصدر أبان خلافته (٢٥ سنة) مئات الصكوك والسجلات والمراسيم والرسائل الرسمية والخاصة، فلم نجد في أية رسالة أو مرسوم أو صكوك أو كتابة سطر واحد أو جملة أو كلمة واحدة تدل على أنه ادعى الألوهية... لقد كان يستعمل دائماً لقب خلفاء الفاطميين التقليدي (العزیز بالله - المعز لدين الله - الحاكم بأمر الله) وفي السنوات الأخيرة من عهده أخذ يوقع اسمه «الحاكم بأمره» أي بأمر العقل... وقرأنا الكثير من الآيات في بعض رسائل الحكمة الدرزية، التي يؤله فيها قوة العقل، وهي آيات بيّنت للحاكم الفاطمي لم تصل إلى تأويلها وتزويرها أيدي أصحاب المقاصد الأنانية الخبيثة... فيقول:

- الله هو الجوهر العظيم في أزليته، وهو المسمى بعالم العقل (رسالة بدء الخلق).

- العقل هو النور القائم في كل عصر وزمان ووقت وأوان (من إحدى رسائل الحكمة).

- العقل هو أصل العلم، وجميع المبدعات منه وإليه تعود، ولا إثبات لمعلوم خرج عن إحاطة العقل (رسائل الحكمة).

- طبائع العقل فسرت بما يلي: «حرارة العقل - قوة النور - سكون التواضع - برودة الحلم وليونة الهيولي» (رسالة كشف الحقائق) ويعتبر الهيولي كل ما هو مادة موجودة في العقل الكوني الكلي... يعني أن الهيولي مادة العقل.

- الحاكم هو القائل: الألوهية لا توجد معرفتها إلا بالعقل، وإن الغرض من وجود الإنسان هو كماله بالمعرفة، وأن عقل الإنسان كلما اكتسب من النور الهيولي الإلهي يرتفع ويسمى عن عقليات الآخرين، ويصبح عقلاً واعياً منيراً رائداً للإنسانية جمعاء... والمعنى الذي هو واجب لذاته لا لغيره هو العقل... وجاء في رسالة كشف الحقائق من حكمة الدرور آيات بينات عن منجزات العقل في بداية الوجود الكوني ما يلي: «لم يكن عند ظهوره أيام ولا أنام، ولا شهور ولا أعوام، ولا ناقص ولا تمام، ولا حواس ولا أوهام، ولا زمان ولا مكان، ولا دهر ولا أوان، ولا ليل ولا نهار، ولا غامر ولا عمار، ولا بحار ولا قفار، ولا فلك دوار... يعني أن العقل أوجد كل ما في الوجود، وأن العقل هو الطاقة المكونة الوجود».

- لا يوجد شيء يوازي كشف مكنون العقل (رسالة تقسيم العلوم).
- من اتخذ العقل هادياً كان متعلقاً بكلماته، صادقاً بأقواله، شجاعاً بتصرفاته، مفيداً بأعماله، وحكيماً بعلاقاته مع الناس... وكل ما لا يقره العقل يجب أن لا يعتقد به مطلقاً.

- العقل الكلي لا يمكن أن يحيط به عقل الإنسان، ولا يمكن أن يكون ناسوتاً من لحم ودم وعظم... أو كما يصفه بعض الشيوخ

المؤمنين بمواعظ المضللين «بأن مولاي العقل يتقمص في كل دور بأسماء مختلفة»، ولكن العقل لا يموت فهل يتقمص من لا يموت؟

- الإيمان هو الإيمان المطلق الذي لا يتزعزع في سلطان العقل وقدرته.

- منازل الناس هي على قدر ما يقتبسون من نور العقل وما يستقون من بحرهِ.

- من الحيوان من يكسب من العقل أكثر من الإنسان (الحكمة - رسالة الدامغة).

- العاقل اللبيب لا يطلب العدم ويترك الموجود، لأن المعدوم تقع في أخباره الزيادة والنقصان، والموجود أنت تشاهده بالعقل والبرهان بالعيان (الحكمة - رسالة التنزيه).

- (...) والنفس. إذا لم تغذيها بالعلوم مالت إلى الجهل لغلبة حسية النفس البهيمية عليها، وإذا تغذت بالعلوم وقامت برياضة الحكمة وتقوّت منها تجوهرت وصقلت، وهنا يكون العلم والحكمة من آثار العقل واتحاده بالنفس، فتقبله وتترك الجهل (الحكمة رسالة الزناد).

- احرصوا على طلب العلم ومصاحبة أهل الفهم (من وصايا الحاكم).

- صدق اللسان هو الدين والتوحيد بكامله.

- منع الحاكم صناعة التنجيم التي تتفرع منها الشعوذة والدجل.

رسالة الكرمانى

الكرمانى: هو أحمد بن عبدالله، الملقب بحميد الدين الكرمانى، نسبة إلى مقاطعة كرمان فى إيران... والكرمانى يعتبر شيخ فلاسفة المذهب الإسماعيلى، والمقرّب الأخلص والأصدق للحاكم بأمر الله... قالوا أنه حجة العراقى، أى بلاد فارس والعراق... وجاء فى كتاب الشيخ الدكتور أنور فؤاد أبو خزام (ص ٥٣): «أن الكرمانى كان شخصية ذات أهمية تاريخية فى أبطال دعوى ألوهية الحاكم... لقد دعاه الحاكم إلى مصر لهذا الغرض، أى لمرافقة الحاكم وللرد على البدع التى كان الأخرم ومجموعته يقومون بها لتأليه الحاكم... جاء الكرمانى إلى مصر وتحدى الأخرم وجها لوجه، وشدد على إنكار ألوهية الحاكم بأمر الله، واستفزع القول بها، وأبقى الأمر شاسعا بين صفة الخالق والمخلوق».

ويكتب الدكتور عبد المنعم ماجد فى كتابه (الحاكم المفترى عليه ص ١١٦) نقلاً عن المؤرخ (يحيى الإنطاكى): أن الكرمانى، إستجابة لطلب الحاكم كتب تسع وعشرين رسالة، يشرح فيها سوء حالة الدعاة وظهور المنافقى... وفى رسالة الواعظة الموجهة إلى الداعى الفارسى «الأخرم» حاول الكرمانى بالمنطق أن يثبت عقيدة الإسماعيلية وإظهار

الحاكم كإنسان مسلم شيعي مثالي متعبد، ويشير أنه غير مقبول ولو عن بعد لصق الألوهية بإنسان من بني البشر، إن هذا يسيء إلى المذهب العقلاني الذي كان الحاكم يبشر به فيقول:

«أما قولك أن المعبود تعالى هو أمير المؤمنين، فقول كفر (...). إنه يتبرأ إلى الله تعالى ممن يعتقد ذلك فيه. وكيف يكون معبودا وهو جسم ذو أبعاد مؤلفة، ونفس ذات قوى مكلفة، يأكل ويمشي، وينام ويستيقظ، وتنطوي عليه الأحوال المتضادة من رضا وسخط، وغم ومسرة، وسقم وصحة، كغيره من البشر».

هل ادعى الألوهية حقاً...؟

الحاكم الذي قدس العقل تقديساً كلياً، ورفض الاعتقاد بكل ما لا يقره العقل، حيث قال: «كل ما لا يقره العقل لا يدخل في المفهوم، وإن العقل على كل شيء قدير... فهل يمكن أن يدعي الألوهية وهو الذي درّس وكرّم ذكرى فلاسفة الإنسانية القدامى أمثال إفلاطون وفيتاغوروس وأرسطو وسقراط وغيرهم من فلاسفة اليونان، وأوصى بتقديس عقلياتهم؛ ولهذا نجد مشايخ الدروز الأتقياء في صلاتهم داخل خلواتهم عندما يذكرون إسما من هؤلاء الفلاسفة العظام يذكرونه بالتكريم والقداسة والإجلال»..؟

- هل يدعي الألوهية؟ وهو الحاكم الذي كان يبشر ويدعو وينشر ويعتقد بالحلول العلمية العقلانية.. وقد أمر ببناء مرصدا من نحاس على هيئة اسطرلاب، فوق جبل المقطم لرصد النجوم وفيضانات

النيل..؟ فلو كان هو إله القادر على كل شيء لما احتاج إلى اسطرلاب...!! - هل يدعي الألوهية من كان يملك أكبر مكتبة^(١)، وأغنى ثروة ثقافية علمية، تحوي على ملايين ومئات الآف المجلدات من كتب العلوم الطبيعية والعقلانية، والفلسفة، والهندسة، والفلك، والموسيقى، والطب، والكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، والجغرافيا، والتاريخ، والأدب والشعر والبيان... وأيضاً... حتى كتب الفقه والدين، فيقيم الأساتذة العلماء في رحاب هذه المكتبة المناظرات والندوات والمحاضرات بحضور طلاب العلم والمعرفة، وحضور الحاكم شخصياً...

- هل يدعي الألوهية من يرسل ويستقدم إلى مصر العالم الحسابي والمخطط العمراني الكبير «ابن الهيثم» لأجل بناء سد أسوان^(٢)، قبل ألف سنة من تاريخ عهد اكتشاف الرئيس جمال عبدالناصر لأهمية السد وضرورة بنائه...؟

وتساءل كثيرون من العلماء...

هل يصدق أن الحاكم بأمرالله الفاطمي ادعى الألوهية، وفي نفس الوقت يرسل داعي الدعاة لإستقدام فيلسوف البشر العقلاني ضرير

(١) راجع جرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي جزء ٣ ص ٢٣٣ - طبعة أولى.
(٢) بعد دراسات سنوية أجراها ابن الهيثم عند شلالات أسوان، عاد إلى الحاكم وأخبره بأهمية مشروع السد الذي سيفني مصر، ولكنه يكلف ما يوازي خراج الخلافة خمسين سنة... فصرف النظر عن بناء السد، وبقي ابن الهيثم في مصر برعاية الحاكم يعلم ويدرس في دار الحكمة.

المعرة، أبا العلاء المعري (وأبو العلاء هو إحدى أعاجيب العقل الكبرى) كي يكون رئيساً لحاشيته العلمية ومعلماً عقلانياً لجامعة الأزهر^(١) التي أسسها الحاكم نفسه... علماً أن «أبو العلاء المعري» هو القائل:

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما ديانتم مكرّ من القدماء
وله أيضاً:

إثنان أهل الأرض ذو عقل بلا دين، ودين لا عقل له
وهو القائل:

سأتبع من يدعو إلى الخير جاهداً وأرحل عنها ما إمامي سوى العقل
- هل يدعي الألوهية من يدرس ويقول أن العقل هو الطاقة
المكوّنة للوجود، وأنه قبل تفاعل العقل بالهيوالة (أي المادة) لم يكن
الوجود موجوداً

- هل يدعي الألوهية وهو الخليفة الذي تتحدر جذوره من عترة
الرسول محمد بن عبدالله، وأصول هذه الجذور هي التي أوصلته إلى
وراثته كرسي أكبر وأوسع خلافة في ذلك العصر، فإذا ادعى الألوهية
يكون قد تبرأ من جذوره وحقه بوراثته الخلافة.

(١) إعتذر أبو العلاء من السفر إلى مصر نظراً لحالته الصحية وتقدمه في السن، فوهبه الحاكم خراج معرة النعمان بأكمله يتصرف فيه كيف ما شاء.. فكان أبو العلاء يأخذ حاجته كمواطن فرد ويوزع الباقي على المحتاجين وطلاب المعونة.

تفسير بعض النصوص

تفنن الأصوليون المفسدون في تأويل وتفسير وتشجيع صور ورسائل الحكمة الدرزية، سيما وكتب الحكمة الدرزية بعد اغتيال وغياب الحاكم، أُدخل عليها الكثير من النصوص والرسائل التي لا يقرها عقل العاقل، وحتى ولا الجاهل... وهناك من يقول أن هذه الزيادات كانت في عهود وبياعاز من سلاطين الأيوبيين أو المماليك الذين كانوا يدعون الغيرة على مذهب السنة، أو من بعض الدعاة الإسماعيليين والعلويين الذين أغضبهم تغيير مسيرة الدعوة الإسماعيلية العلوية من تقديس المهدي المنتظر إلى تقديس العقل، أو أن الزيادة كانت من الدعاة المقربين من الحاكم نفسه، الذين بعد غيبة الحاكم قاموا يفضّلون ثياب الألقاب لأنفسهم (لحضرة جنابهم)... فمثلاً العقل الذي كشف الحاكم مع علماء وأعضاء وتلامذة دار العلم (دار الحكمة) أنه العقل الكلي، مكوّن الوجود، وباني تطور وازدهار الوجود... العقل الذي قال عنه الحاكم في رسالة كشف الحقائق «ليس له روحاً شبه المخلوقين، وليس شخصاً ولا جسماً ولا شبحاً ولا صورة»... هذا العقل، بعد غيبة الحاكم، فضّلوه لقباً لأحدهم - الذي لقبوه بالعقل وآخر بالنفس، وثالث بالكلمة، ورابع وخامس بالسابق

والتالي... وزادت المناداة بالوهية الحاكم... وزهروا الفلسفة العقلانية بأساطير لا تنقص ضخامة خرافاتها عن أساطير التوراة وما تفرع منها، وأدخلوا في كتب الحكمة قصص القداسة على أسماء انبياء بني إسرائيل كسليمان وأيوب ويوسف الصديق وغيرهم... إلخ. لهذا نرى في المنطقة (الشرق الأدنى)، حيث تواجد الأقلية الدرزية، عند أية هزة سياسية، وفورات بركانية دينية، أو احتكاكات مذهبية، يهب الأصوليون المفسدون ويبذرون ويشيعون أن الدروز كفار ملحدون، يدعون لكسر الصليب وقتل الخنزير واستعمال المناجل خناجرا لذبح الناس، ويقولون أن هولاء الدروز هم الخوارج الكفار الذين لا يقرون بقداسة أعاجيب المسيح لا ولا بالنبي محمد وصحبه ولا بالأنبياء الأبرار وهلم جرا... من هذا القبيل، عن عدم اعتقاد الدروز بأعاجيب الأنبياء، قد يكونوا على الكثير من الحقيقة... هذا لأن رسالة فلسفة توحيد العقل الفاطمية لا تقرّ بالأعاجيب التي لا يقبلها العقل ولا يصدقها... مثلاً أعاجيب موسى في شق مياه البحر ومكالمة الطاقة الإلهية وتسخير الله لقتل أبكار مصر وتعويمها بالهوام، وغيرها من حكايا التوراة... هذه القصص لا تصدقها عقول مشايخ الدروز الواعية، مثلما تكذبها أكاديميات العلوم في البلدان المتطورة... وإذا وجدنا بعض الأساطير من قصص عجائب داوود وسليمان ويوسف (الحلو الجميل) الصديق وإبراهيم ودانيال وأيليا وحزقيال وغيرها؛ هذه سربها الأصوليون من الآيات القرآنية إلى كتب ومجالس العقيدة الدرزية، وحعلوها مع التكرار فروضاً دينية مقدسة...!! كما أن عقل الإنسان العاقل مثله مثل رسالة العقل الدرزية التي لا تقرّ

بولادة السيد المسيح ولادة غير طبيعية، ولا تقدر حلم النبي محمد الذي اسرى به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، وعروجه إلى السماء لمقابلة رب العباد... العقل يجل ويحترم العبقرية الإنسانية ولكنه يتعد ولا يقدر بقداصة الحكايا والأحلام الخيالية.

إيضاح الحقائق

يسوع الناصري... يسوع ابن الإنسان... الذي جاء إلى الإنسانية برسالة المحبة والتسامح ومعاونة الإنسان لأخيه الإنسان... يسوع يحتل تكريما باثنا في صفحات كتب الحكمة الفاطمية، فهو بالنسبة لفلسفة المذهب الدرزي «مسيح الحق ومسيح الأمم» أي هادي البشر... كما أن معمدته ومعلمه «يوحنا المعمدان»، اسمه مقدسا عند العقال الدروز، وهو بالنسبة لهم مثله مثل المدرّب الزرادشتي «سلمان الفارسي» عند النبي محمد... وهذه التفسيرات لا ترضي أصحاب الفتن ودسائس تجار الطائفية في لبنان، الذين يصدرون بين حين وآخر كتيبا سفيها، مثل كتاب (العقل والنبي) ويسلطون الأضواء على عبارات من كتب الحكمة الدرزية مثل «أكسروا الصليب واقتلوا الخنزير وأجعلوا المناجل سيوفا» إلخ... ويفسروها تفسيراً كيدياً كما يروق لهم، بأنها شتيمة للديانتين المسيحية والإسلامية... إن هذا لا يقبله العقل ولا يقدر بصدقته... لقد وضّحنا في سطور من كتابنا هذا عن معنى هذه العبارات وهي:

«أكسروا الصليب أي اكسروا شعار الظلم وكفوا عن إهراق الدماء البريئة على صليب ابن الإنسان»... ثم هل يمكن أن يدعو الحاكم بأمر

الله كسر صليب دين والدته وجده وخواله اليونانيون النسب
والمسيحيون الديانة، وينادي إلى تدمير كنيسة القيامة المقدسة..؟ هل
يمكن أن يكون الحاكم محملاً كل هذه الأحمال من الحقد على ديانة
أهله...؟ لقد مجّدت رسالة العقل الفاطمية مسيح الأمم، والتي
رفضت الإقرار به هو ما رفضه العقل من ولادة يسوع ولادة غير
طبيعية، ووافقت على ما جاء تفسيره في القرآن بأنه ما عذب ولا
صلب، إنما شُبه له.

أما عبارة «اقتلوا الخنزير» التي فسرها المفسدون بأنها شتيمة
موجهة إلى المسلمين عامة وإلى النبي محمد خاصة... سيما والرسول
كثيراً ما حذر وتقياً قرفاً من ذكر أوساخ هذا الحيوان القذر
(الخنزير)... إن معنى هذه العبارة واضح بائن «أي أقضوا على
الفساد»... وأذا كان هنالك من تباين في تفسير التاويلات، فإن هذا
يعود لأن رسالة العقل الدرزية رفضت تصديق الحلم، أي بصرة منام
الرسول في حكاية الإسراء والمعراج، حتى ولو نادى بتصديقها أبو
بكر الذي لُقّب بالصدّيق لأنه صدّقها نكايه في كفار قريش الذين
هزؤوا بها... ثم هل يعقل أن الخليفة الفاطمي يهاجم ويشتم جده
الذي مدّن العرب ووحدهم ونورهم وانتشلهم من جاهليتهم، وأوصل
العرب برسالته الدينية إلى إشادة أكبر وأغنى وأوسع مملكة عرفها
التاريخ، ووفر بواسطة وراثته النسب للحاكم (الذي يعود بنسبه إلى
جدته فاطمة ابنة الرسول) إلى تبوء كرسي الفرع الأكبر لهذه
الخلافة...؟... ترى الم يكن الحاكم عارفاً بأنه إذا تهجّم على رسالة
الإسلام تنهار مملكته ويفنى عرشه وتزول خلافته...؟

رسالة العقل الفاطمية فرقت بين محمد الذي تحاط حوله الأساطير ومئات آلاف الأحاديث (البخاري ومسلم) الصحيحة وغير الصحيحة، والمعقولة واللامعقولة، وبين محمد النبي الإنسان والإنسان النبي، فيشيرون إليه ويصفونه في حكمة العقل الدرزية باسم «محمد الكلمة»... أي صاحب كلمة الصدق الموجهة لخير البشر مثل: ربي زدني علما... الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره... لا ميزة لعربي على أعجمي إلا ميزة العلم والمعرفة.. إلخ... ثم كيف يشتمون محمدا ويقصدون أخلص رجالات صحابته كأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، الذين أحاطوه وأخلصوا لرسالته وتفانوا في نصرته ابن عمه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب.

التفسير العقلاني المفيد لمعاني تلك العبارات التي وردت في كتب الحكمة الدرزية، هو غير ما أولوها وفسروها لإثارة الكراهية والتفرقة... أن تفسيرها العقلاني هو كما يعرفه بعض المشايخ العلماء من مذهب التوحيد الدرزي... وهي

التفسيرات العقلانية

- «أكسروا الصليب»: أي عندما تنتشر أضواء نظام العقل الحق وتسود العقلانية شرائع سكان الكرة الأرضية - عندها يكسر الصليب... أي تنتهي مظالم صلب وتعذيب رسل الخير فيكون بهذا قد إنكسر شعار الصلب والعذاب والظلم والقهر.

- «ويقتل الخنزير»: يعني يزول الفساد.
- وتُجعلُ السيوفَ مناجلاً: أي بدلا من استعمال المناجل سيوفاً، سوف نجعل السيوف مناجلاً لحصاد الأغلال، وليس للحروب والمذابح.
- والبيوت للناس منازلًا: أي تأمين السكن للجميع.
- وينزل من السماء قطرا: أي تنتشر عولمة العلم العقلاني المفيد للإنسان.
- وتنبت الأرض نباتاً زاهراً: يعني مثلما تتقبل الأرض المطر يتقبل أصحاب العقول العلم العقلاني المفيد، فيغذون أفكارهم بهذا العلم الموجه لخير البشرية، ويزداد الإبداع العقلي والاكتشافات والاختراعات لتطوير حياة الإنسان، وينتصب ميزان العدالة عند أمم الأرض... عندها يسود الحق، أي تعاليم العقل... وتملاً الأرض قسطاً وعدلاً وأمناً وازدهاراً.

التنوشي ونفي الوهية الحاكم

يكتب المؤرخ الالمانى البارون ماكس أوبنهايم في كتابه الدرور، طبع دار لوراق للنشر - دمشق... صفحة ٥٩... أن الأمير السيد الإمام جمال الدين عبدالله التنوشي كان ينوي نفي الوهية الحاكم، لكن رجال الدين المتنفذين منعه من تحقيق مشروعه. وعلى أي حال فقد كان هو (التنوشي) مقدساً، وما زال المسيحيون والدرور يزورون قبره في قرية عبيه في لبنان.

الحركة الثقافية

استقرت الحركة الأدبية في مصر أيام العهد الفاطمي، وخاصة أيام الحاكم بأمر الله حيث حققت نهضة فكرية مميزة، ووصلت القاهرة في عهد الحاكم لأن تكون من أعظم مراكز الثقافة في العالم... لقد بنى الحاكم دار الحكمة الواسعة الكبيرة، وأشاد إلى جانبها دار العلم، فكانت مكتبة دار العلم ترفد دار الحكمة بالكتب التي أرسل الحاكم لإحضارها من جميع الأقطار، وتغذي حركة الرسالة العقلانية بكل ما تيسر فيها من المخطوطات والأوراق الفلسفية^(١)... ومن المعروف تاريخياً أن الحاكم بأمر الله أعطى الدروس العقلانية الكثير من عنايته، حيث أجزل النفقات للمعلمين، ويسر جلب خزائن الكتب المفيدة، (كتب إخوان الصفا والكندي وترجمات كتب فلاسفة اليونان وغيرها)، وعقد مجالس الأدباء والعلماء، وغمرهم بصلاته، وحفلت مكاتب الفاطميين وقصورهم بأقطاب المفكرين وعلماء وأدباء ذلك العصر، منهم المسيحي واليهودي والمسلم السني أو الإسماعيلي أو الهندي إلخ... هذا لأن عالم العلم والمعرفة ليس بحاجة إلى تذكرة

(١) فيليب حتى - كتاب تاريخ العرب صفحات ٧١٦ و٧١٧ - دار غندور للطباعة والنشر.

نفوس دينية، ولا قومية، ولا إلى رتب سياسية أو وجاهات اجتماعية... العلم ضروري لحياة البشر كالماء والهواء والغذاء

كبار العلماء في جامعة الحكمة

كان من بين مجموعة هؤلاء العلماء أسماء علمية رفيعة المستوى، مثل الطبيب العالم عمار بن علي الموصلي، واضع كتاب «المنتخب في علاج العين» وفيه علاج المرض الذي تظلم به عدسة العين، بواسطة أنبوب استنبطه لهذا الغرض^(١).. والعالم المسيحي فهد بن إبراهيم. واللغوي المعروف أبو حاتم الرازي مؤلف كتاب «الزينة» وهو الذي ناصر أبو بكر الرازي ودحض أراؤه في الكثير من النظريات الفلسفية والطبية... وعدا عن هؤلاء كان عنده رجالات الفكر أمثال المسبحي، وشاعر الحاكم محمد بن قاسم بن عاصم، وأبي الحسن علي بن محمد الشابشي صاحب «ديوان الديارات»، والفلكي المشهور علي بن يونس، الذي قرّبه الحاكم؛ وكان ابن يونس أيام الخليفة العزيز قد بنى مرصدا على جبل المقطم. ويكتب المؤرخ عارف تامر: «أن ابن يونس هو أول من اخترع بندول الساعة قبل غاليليو... هؤلاء عدا عما ذكرنا» كان أبي علي الحسن بن الهيثم (٩٦٥ - ١٠٣٩) كبير علماء الطبيعيات المسلمين، والاختصاصي في علم البصريات الذي ترجمت كتبه إلى اللاتينية، ولا تقل المصنفات المنسوبة إليه في الرياضيات والفلك والفلسفة والطب عن المئة،

(١) المصدر السابق.

واستفادت منها طلاب الأكاديميات العلمية الغربية، وأهم الكتب التي اشتهر بها ابن الهيثم هو «كتاب المناظر»^(١) الذي ناقض فيه نظرية أقليدس وبطليموس القائلة أن العين ترسل شعاعاً بصرياً إلى الشيء المرئي... هذا الكتاب إختفى مع الكتب العربية الغنية المفيدة التي اختفت من رفوف المكتبات، ولربما تكون قد نُهبت مع تاريخ الطبري الذي كان بمكتبة العزيز بخط مؤلفه، أو حُرقت أيام حريق المكتبات الفاطمية يوم مات العاضد واستولى صلاح الدين على قصور الفاطميين.

عدا عن هؤلاء كانت دروس أشعار فلسفة أبي العلاء المعري، الذي أرسل الحاكم أحد دعائه الكبار ليختبر ضير المعرفة وعمق بحره العلمي العقلاني، فعاد الرسول ليقول للحاكم بأمر الله «أبو العلاء قد سبقنا بأشواط بعيدة في تقديره ومعرفته العقل وعظمة طاقته»، هو القائل:

كذب الظن لا إمام سوى العقـ ل مشيراً في صبحه والمساء
سأتبع من يدعو إلى الخير جاهدا وأرحل عنها ما إمامي سوى العقل
يرتجي الناس أن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا إمام سوى العقـ ل مشيراً في صبحه والمساء
إنما هذه المذاهب أسبا ب لجذب الدنيا إلى الرؤساء

(١) المصدر السابق.

- كل شيء في الوجود ينطلق من تكوين إلى آخر (كمال جنبلاط)
العقل هو الشامل، والطاقة تقود العالم (كتاب الجدليات لكمال
جنبلاط).

- صار الإنسان معقداً بسبب تمسكه بالتقاليد، والفكر البشري لا
يمكنه العيش والتطور بدون جدلية (كمال جنبلاط - كتاب الجدليات).
أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما ديانتم مكر من القدماء
(أبو العلاء المعري)

- توهمت يا مغرور أنك دين عليّ يمين الله مالك دين
تسير إلى البيت الحرام تنسكاً ويشكوك جار يائس وحزين
- السلطة الكهنوتية - يهودية كانت أم مسيحية أم مسلمة ليست
الوساطة بين الله والإنسان (مارتن لوثر).

كيف نعتقد بألوهية إنسان مثلنا... بألوهية المسيح أنه الله أو ابن
الله، ثم نؤكد أنه كان في بطن أمه العذراء طيلة الأشهر الطويلة...
وكيف نصدق إسراء محمد إلى السماء السابعة على ظهر البراق
وزيارته لرب العباد دون أخذ الموعد مسبقاً؟... كيف نحتمّ هذا، وبأية
طريقة نتمكن من دفش هذه الحكايات إلى داخل عقولنا... إن الوثنيين
يهزأون من تصديقنا هذه الخرافات.

- ابن الهيثم رأى الحقيقة في علم المنطق والطبيعات، والغزالي
رآها في التصوف والتدين والإيمان بالحكايا المنومة.

- المعرفة تقرب الإنسان من الله والجهل يبعده عنه (ابن باجه).

- الأصوليون... معظم رؤوسهم - أمثال ابن تيمية - والغزالي -
والماوردي وابن الجوزيه وابن حزم وغيرهم... هؤلاء أتهموا كل ناقد
للأساطير والخرافات الدينية ولكل من يفسر القرآن وآياته تفسيراً علمياً
عقلانياً بالكفر والهرطقة... وصدرت تشريعاتهم وإفتاءاتهم بقطع
رؤوس هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالأساطير، ويرفضون مخدرات
الأفيون الدينية المنومة.

فئة إذا نطقت فكل كلامها كذب، وتزعم أنها لا تكذب
لا تعجب لجاهل متعصب واعجب لمن هو عالم متعصب

أمين آل تقي الدين - المهجر الأميركي الشمالي

مراسيم الحاكم

١ - الصلاح والإصلاح بين الناس أصلح، والفساد والإفساد بينهم مستقبح، ... اما بعد فإن امير المؤمنين يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين... لا إكراه في الدين.... مضى امس بما فيه واتى اليوم بما يقتضيه... كل أمرٍ حرٌّ في اعتقاده واختيار مذهبه، وإظهار ما في ضميره...

٢ - أصدر مرسوما يمنع فيه شتيمة الخلفاء السابقين أبي بكر وعمر وعثمان وعيشة أم المؤمنين... وكان الفاطميون والشيعة عموما يردون كيل الشتائم كيلين للأمويين والعباسيين والسنة أجمعين، الذين طوال عدّة قرون كانوا يلعنون ويشتمون الإمام علي بن أبي طالب وأهل بيت الرسول، حتى جاء عهد الحاكم بأمر الله فمنع الرد بالشتائم في جميع مساجد الخلافة الفاطمية، وقال: إن الشتائم تزيد التفرقة والعداوة بين المسلمين.

٣ - منع رقص النساء العاريات في الشوارع وحوانيت الليل وأمر بإقفالها. ومنع «الفقاع» وهو المسكر الذائع الصيت في تلك الأزمنة.

٤ - أقرّ إلغاء الألقاب، وأبقى فقط على لقبين «الحاكم بأمر الله» و«الحاكم بأمره» أي بأمر العقل.

٥ - منع الزواج على أكثر من امرأة واحدة (قبل تونس الحبيب بو رقيه بالف سنة).

٦ - إلغاء تقبيل الأرض امام الخليفة أو تقبيل رجله في الركاب أو يديه وهو على كرسي الديوان.

٧ - استنكر وكذب اسطورة موسى التي تقول أنه قابل الله وجهها لوجه، وصادق على قول المعتزلة الذين قالوا «لا خليل الله ولا كليم الله»، وأيضاً نفى أن يكون عيسى ابن الله، واستنكر إسرائ الرسول ليلاً إلى القدس وركوبه البراق لمقابلة الله وقال: أنتم جميع المسلمين واليهود والنصارى تعتقدون بأن الله عزّ وجلّ خاطب موسى بن عمران من شجرة يابسة وخاطبه من جبل جامد أصمّ وسميتهوه كليم الله (...). والشجرة والحجر لا تفهمان ولا تعقلان... وكان موسى يسمع من الشجرة حفيفا فيقول سمعت من الله كذا وكذا (...). فكيف يجوز أن يحتجب الله في شجرة ويخاطب كليمه منها، والشجرة لا تفهم ولا تعقل (...). ثم تحرق الشجرة ويتلاشى حجابها (رسالة كشف الحقائق).

٨ - أعتق العبيد والمماليك، وملكهم أمر نفوسهم... وعلى الرغم مما كان له من القصور والعز والجاه والنعيم والملك العظيم، فقد إعتنق مبدأ روحانية الزهد والتقشف، وعاش كما يعيش أي فرد من رعيته... ولم يكن يهتم بإملاء خزائنه، بل كان يفرقها على الفقراء المساكين في جميع أنحاء مملكته.

٩ - أصدر قراراً (لعله القرار العربي الأول للتأميم) لقد أخذ من

والدته وشقيقته وخواصه من النساء أملاكهن وعقارهن ووضعها بتصرف الدولة^(١) لتوزيعها على الناس.

١٠ - أبطل مراسيم المخصصات لصرف المبالغ الضخمة لشراء ثياب الزينة لرجال الدولة في الأعياد والمناسبات.

١١ - أصدر قراراً بأن لا ينجم أحداً، ولا يتكلم متكلم في صناعة التنجيم وعلم التنجيم... هذا وكان الفاطميون يعتبرونه أنه علم مفيد لمعرفة الحساب والسنين والأوقات، ووسيلة للإهتداء به في البر والبحر... وكان الحاكم يهتم بهذا العلم، بحيث اشترك مع عالم اسمه علي بن يونس المصري في عمل زيج في الحساب وعلم النجوم... ولكنه لما تحول هذا العلم إلى مهنة علم الغيب، والتبصير عن المستقبل، والكشف عن الكنوز المطمورة، وخداع وسلب دراهم الناس الطيبين المغفلين، أصدر الحاكم أمراً بمنعه^(٢).

١٢ - سنة ١٠٠٥ أصدر الحاكم قراراً ببناء دار الحكمة، والحق بها عدداً من أساتذة العلوم النقلية، كالتفسير والفقه والعلوم الطبيعية^(٣).

١٣ - أصدر مرسوماً لناضر ماليته الذي توقف عن الصرف للناس خوفاً على أموال الدولة، فكتب الحاكم له في المرسوم (المال مال

(١) الحاكم - الخليفة المفترى عليه - للدكتور عبد المنعم ماجد - صفحة ٦١.

(٢) نفس المرجع صفحة ٢١٢.

(٣) كتاب تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم حسن صفحة ٤.

الله، والخلق عباد الله، ونحن أمناءه على الأرض، فاطلق أرزاق الناس ولا تقطعها... والسلام).

١٤ - أصدر قراراً حرّم فيه البكاء والعيويل وراء الموتى - خلف الجنائز - ١٥ - منع مزاولة البيع والشراء في الليل. وشدد على إزالة بيوت الخمارين

ويذكر المؤرخ الدكتور عارف تامر في الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين - الجزء السادس - صفحة ٨٤: «كان الحاكم بأمر الله عالماً وطبيباً وفيلسوفاً، وكان رجل دولة وسياسي ماهر لا يعادله أحد في عصره، ولا بعد عصره، ولكن مع الأسف لم يقدره المجتمع الغارق في الجهل، كما لم يفهمه، وهكذا ضاع في متاهات الظلام».

في ذاك الزمن، كان من المستحيل تذيع الوصفات الصحية وإيصالها إلى آذان عامة الناس... فقام الحاكم يصدرها قرارات سلطانية تمنع المأكولات والمشروبات المسببة للأمراض المضرة للصحة، منها: منع أكل الملوخية، والجرجير، والترمس، والتوكلية... وهذا علماً أن الإكثار من هذه المواد، والتي كان الشعب المصري يفضلها على كل غذاء، كانت تقوي الغريزة الجنسية وتزيد في رفع كميات الدم، مما يغيّر الواقع النفسي، ويضفي على الإنسان قابلية النزوع نحو الشر الأناني والجماعي (هذا هو رأي الأطباء في يومنا الحالي - قرن الواحد والعشرين)... ومنع أيضاً أكل «الدلينس» وهو نوع من الصدف الصغير يؤكل ما بداخله نيئاً، ومملحاً، وهذا ثبت أنه يورث الدود في الأمعاء... كما منع وحرم بيع وشراء وشرب

الخمير، ومنع رقص النساء عاريات في حوانيت الليالي وأمر بإقفالها... ومنع «الفقاع» وهو المسكر الذائع الصيت في ذلك العهد^(١)، كما أمر بتنظيف الشوارع والممرات من الكلاب والخنازير (فقط الإبقاء على كلاب الصيد)... وأيضاً أصدر الأوامر الصارمة بإستئصال البغاء، وبإشاعة الآداب العامة في المجتمع جميع هذه القرارات تقبلها سواد الشعب المصري برحابة ومفهوم شعبي دون إعتراض. ولكن أخصام الفاطميين خاصة، وأعداء الشيعة عامة، لا ينامون... فقاموا يشيعون ويبذرون الأخبار والتفسيرات الخبيثة، حيث يتهمون الحاكم بأمر الله الفاطمي بالجنون، والإجرام، والعنصرية المذهبية، وأنه ادعى الألوهية... وهذه الإشاعات المذهلة عن الحاكم، كانت تزداد وتنمو برعاية شيوخ التعصب والإصولية... وهي من ضخامتها وغرابتها تبان أكاذيبها... لقد فسروا أن تحريم الجرجير كان نكاية بعائشة أم المؤمنين، لأنها كانت تحب أكل الجرجير... أما الملوخية لأنها كانت الصحن المفضل لمعاوية بن أبي سفيان... وآخرون ذهبوا بعيدا في خيالهم، وفسروها لأن العجل معبود الحاكم^(٢)...!! زحط على صينية الملوخية وتكسرت قوائمه...!! وحرّم طبخ القرع لأن عثمان بن عفان كان يحب أكله... وأن تنظيف

(١) الفقاع: شراب يتخذ من الشعير، سمي به لما يعلوه من الزبد. والفقاع: الخبيث. والفاقع: الغلام الذي قد تحرك وقد تفقّع وقال جرير: بني مالك، إن الفرزدق لم يزل يجزّ المخازي من لدنّ أن تفقعا وقال عدّي بن زيد يصف فقاقيع الخمر: وطفا فوقها فقاقيع، كاليا قوت، حمّر يثيرها التصفيق (لسان العرب لابن منظور).

(٢) عندما أصدر الحاكم قراره بمنع ذبح الأبقار السليمة، وهذا للمحافظة على هذا الحيوان=

الشوارع من الكلاب والخنازير كان لكي يتيسر للحاكم التنصت على أبواب الناس لمعرفة أسرارها، حتى إذا طلع النهار يدعوهم ويخبرهم اسرارهم وكأنها تلفون من السماء، أو وحي رباني تثبت الوهيته...؟

والأغرب من كل هذه الإشاعات كانت إشاعاتهم عن جنون الحاكم، بأنه كان يسير للأ في الشوارع، ويأمر أن يتعري عدد من الرجال والنساء، فيمسك بخيزرانتة ويلعب بها في قمر الرجال وفرج النساء^(١).. إن هذه الأقاويل والروايات الإنحطاطية السافلة، إن دلت على شيء فهي تدل على نذالة وخساسة وعهر مشيعيها، وقذارة رؤوس ناظميها وكاتبها... من هذا نعرف وسع آفاق مهارة الكذابين المفترين الأفاكين إلى أين وصلت... إلى أين تدب عقارب ألسنتهم وأقلامهم، بطريقة سافلة، إلى النيل من أعظم خليفة للمسلمين في ذلك الزمن.

=الأليف الذي يؤدي الخدمات للمزارعين في مجال الحراثة، فضلاً عن إمداده الإنسان بالطاقة الكبيرة من السمن والحليب والألبان... عند إصدار الحاكم لهذا القرار اشاعوا: بأنه يعبد العجل، ولهذا أصدر قراراً بالمحافظة على البقرة أم العجل المقدس...!!

(١) أيام سلاطين الأيوبيين والمماليك عملوا إرهاباً وقهراً على إنزال هذه الأخبار السافلة في كتب الحكمة، فكانت بعض الرسائل التي ليس لها أية علاقة برسالة التوحيد، كتبها زنديق فاسد لتشويه رسالة العقل، مثل رسالة (كتاب فيه حقائق ما يظهر ورسالة الغاية والنصيحة - والبلاغ والنهاية) هذه الرسائل لا تمت بصلة إلى أقوال وكلمات الحاكم: تلك الكلمات التي منها: «أبدع لنا نوراً شعشعانياً جعله عنصراً لانبعاث العلوم الحقيقية، وإنشاء الصور النفسية... إنه العقل الكلي والسابق الأول، ذو البدايات والنهايات، منه انبعثت الأشياء وإليه تعود الأشياء»... (هذا وعلمنا أن هناك مجموعة من علماء دروز يعملون لإصدار ملخص علماني مفيد عن كتب الحكمة الدرزية وإلغاء هذه الجمل السافلة التي لا تقرها حتى حكايا الأساطير).

بعد هذه التشريعات التي أقرها الحاكم، والتي تفرّع منها الكثير من القوانين والتفسيرات، والتي نراها ونقرأها في كتب وموسوعات العلم وندرسها في الجامعات، وخاصة عن قدرة عقل الإنسان وتطور اكتشافاته في الكون الواسع...

بعد رسالة الحاكم التي دلت على سخافات أساطير التوراة التي أربكت عقول البشرية قرونا وقرونا عديدة، وعرقلت مسيرة التطور الإنساني أزمنة بعيدة، وبعدها أخذت تعاليم الحاكم تنتشر بين العلماء، وخاصة عن تأليه طاقة العقل، الذي يصفها الحاكم بأنها هي خالقة الوجود ومكوّنة الوجود. وإن طاقة العقل هي بداية كل تكوين، وأن العقل على كل شيء قدير. وأشار إلى تعريف العقل، في رسالة الكشف من كتب الحكمة، فقال: «لم يكن عند ظهوره أيام ولا أنام، ولا شهور ولا أعوام، ولا ناقص ولا تمام، ولا حواس ولا أوهام، ولا زمان ولا مكان، ولا دهر ولا أوان، ولا ليل ولا نهار، ولا غامر ولا عمار، ولا بحار ولا قفار، ولا فلك دوار،»...

بعد هذا التعريف عن عظمة وقدرة العقل، الذي هو البداية لكل بداية زمنية حياتية... وهو حقاً على كل شيء قدير... قامت نقمة جميع المتاجرين بالرسالات الروحية الدينية، وجميع الذين عملوا على تأويل الوصايا الروحية المسيحية والآيات البينات المحمدية... الذين، منهم من جعل الديانة المسيحية ضريبة مقدسة لخزينة رومه والقسطنطينية، ومنهم من جعل الرسالة المحمدية رسالة زكاة مخصصة لتركيّز عرشي المكيفاليين الأمويين معاوية وعبد الملك بن مروان، ومنهم من جعلها وراثية لابناء العم العباسيين ودعامة دينية

لتثبيت خلافة المنصور الدوانيقي والأبلة الأصولي العباسي المتوكل على الله... ثم اشاعوا اخبار نقيمتهم لمن جاء بعدهم من البويهيين والأيوبيين والأخشيديين تدرجا حتى قصر يلدز سلاطين العثمانيين... وجعلوا القناعة الصوفية الإتكالية للمؤمنين مرجعا، والوعود بجنة رضوان ضمانة بالآخرة السعيدة الهنيئة، وزرع تعاليم الجاهلية الأمية في مدارس التربية الأصولية فوصلنا إلى ما وصلنا إليه من تخلف وانقسامات وفقر وتقوقع.

المؤرخون تناسوا أن يذكروا ويسجلوا أن جميع مراسيم الحاكم بأمر الله، وجميع ما كشفه في رسالته عن قدرة وعظمة طاقة العقل، لم تكن أوامر سلطانية فردية، بل حصيلة أبحاث وحوار مع مجموعة علماء ذلك العصر، في صالات جامعة الحكمة التي كان الحاكم يحضرها ويرأس ندوات نقاشها... وأيضاً لا يذكر المؤرخون أنه عند بداية انتشار رسالة العقل الفاطمية هذه، عادت تعاليم المعتزلة وكتب إخوان الصفا وأشعار أبي العلاء تتقمص فتية شابة قوية لتجمعات العلماء والباحثين، فكان أن ولدت أنوار الفكر الرشدي الأندلسي غربا وفلسفة ابن سينا والفارابي شرقاً...

ولكن... وأعداء الوعي لا ينامون... والمنتفعون من مخدرات العقول لا يتراجعون ولا يقنعون، وتجار الطقوس الدينية لا يكتفون بما حققوه ويحققون... فاذا بالحاكم وهو في أوج عزه وربيع عمره يختفي ويموت (بشكل مبهم) والخلافة الفاطمية يبدلون طريقها العقلاني العلمي إلى الرجوع، ويطاردون وينكلون بالدعاة وتلامذة جامعة الحكمة، وبكل من اتخذ العقل أماما، ويدخلون إلي كتب

الحكمة رسائل محملة حكايا وأساطيرا لا يقبلها العقل ولا يقرّ بتفسيراتها اللا معقولة... ولما فصل الدعاة رسالة العقل عن حكايا وروايات الطقوس الدينية المخدرة، قام الحكام الأصوليون (وخاصة أيام سلاطين الأيوبيين وعصور المماليك على ما نظن) وأدخلوا إلى الصفوف الدرزية محدثين ورواة قديرين في الإداء والإنشاء، فادخلوا ما قدروا عليه من حكايا وقصص التوراة إلى زوايا المذهب الديني الجديد، كقصص يوسف وأيوب وسليمان ووالده داوود وغيرهم من هولاء الذين لا يعترف العقل بقصصهم ورواياتهم.

وللآن ما زلنا ننتظر يوم يسمح لمجموعة من العلماء أن تنشر كتابا مختصرا عن رسالة العقل يكون حبره من عصير أدمغة العلماء العقلانيين ويراعه من باع الخبراء الباحثين، وطرسه من شاشة العقل الإلكتروني الهائل لخزانات المعرفة.

* * *

مسك الختام

ومع مسك الختام لكتابنا هذا «مولاي العقل» نكتب ونقول:
إن جميع الأمم والشعوب التي اتخذت مدرسة العقل لها منهلًا
وتعاليم العقل لها شريعة ودستورا، فقد فازت بالسبق الحضاري
المتسارع الخطوات، وانتصرت على كل ما جابهها من المستحيلات.
أما الشعوب والأمم التي بقيت على دساتيرها التقليدية ومدارسها
الإتكالية، فقد بقيت هي... هي... التي يدعونها بالأمم والأوطان
المتخلفة الفقيرة الجاهلة المهزومة.

* * *

الفهرس

٥	كلمة المؤلف
٨	الفصل الأول
٩	البداية
١٤	العقل في كل مكان
١٨	بعض اكتشافات العقل عبر القرون الزمنية
١٩	رحلة العقل الطويلة
٢٣	عقليات البشر... ليست من معدن واحد
٢٥	تجربة وحيرة وانطلاق
٢٨	عود على بدء
٣٠	العقل
٣٤	العقل العربي والعقل الأوروبي
٣٧	كلمات
٣٨	العقل والحق
٤٢	العقل والدين
٤٥	العقل والدين لا يلتقيان
٤٨	اضطهاد الدين للعلماء
٤٩	أنوار داروين

٥٢	كلمات
٥٣	كن... فكان
٥٤	ما قاله العلماء والفلاسفة
٥٥	كلمات العقل الصانع
٥٦	كلمات
٥٩	إخوان الصفا
٥٩	لا اتفاق بين الأنبياء
٦١	قالوا
٦٣	ومن الماء كل شيء حي
٦٥	العقل.. العقل... العقل
٦٦	قال العارفون
٦٩	مولاي العقل
٧٠	يا مولاي العقل
٧٥	نصائح العقل
٨٠	الحقيقة
٨٩	كلمات وأمثال عن الحقيقة
٩٣	العظماء الثلاثة
٩٣	الإيمان
٩٧	الثورة القادمة
٩٩	عروش الإستبداد
١٠١	التضحية في عيد الأضحى
١٠٣	دروس المخدرات الدينية
١٠٤	كلمات
١٠٥	الإيمان والإنسان

١٠٦ إيمان الخلفاء والسلاطين
١٠٩ آراء
١١٠ الإيمان بين الواقع والخرافة
١١٣ كانوا يكتبون ويتساءلون
١١٤ مصيبة الإنسان في هذا الإيمان
١١٨ كتبوا ونظموا
١٢٠ التاريخ لا يسير إلى الوراء
١٢١ الفصل الثاني
١٢٣ الأديان
١٢٣ سرائر أبي العلاء
١٢٣ العلم والكتب المقدسة
١٢٥ هل يصدق العقل هذه الحكايا؟
١٢٧ يسوع والإيمان
١٣٠ الحكم على غاليليو
١٣١ موت الشيطان الرجيم
١٣٢ مسيح الأمم
١٣٤ البراهمة والرسل الأنبياء
١٣٥ الإله الحقيقي للهند
١٣٥ كلمات لمسيح الأمم
١٣٧ ثروة الفاتيكان
١٣٨ يسوع
١٣٨ لو عاد المسيح...
١٣٨ فيدل كاسترو والحبر الأعظم
١٣٩ العالم المادي

١٤٠	محمد النبي الإنسان
١٤١	محمد التاريخ
١٤٢	الرسول الهادي المشرع
١٤٢	النبي والمصلح الديني
١٤٣	أعظم عظماء التاريخ
١٤٣	منقذ البشرية
١٤٣	ذاكرة محمد
١٤٤	المهمة الصعبة
١٤٦	دين السلام والتطور
١٤٧	الآيات البينات والإيمان
١٤٨	باسل فرحات
١٤٩	وقل رب زدني علماً
١٥٠	البعض من الآيات ترافق تطور العصر
١٥١	التخطيط
١٥١	الديمقراطية
١٥٢	المساواة بين الرجل والمرأة
١٥٣	إلغاء العبودية
١٥٣	قانون العدالة
١٥٥	الإصلاح الزراعي
١٥٥	العلم
١٥٦	الشك
١٥٧	المعاصرة
١٥٧	تعليق مختصر
١٦٠	العدو الأكبر

١٦١	بركان الجهل
١٦٣	أي متى يقطعون رأسك... هنا... وهناك
١٦٦	دين المحبة
١٦٧	أيها المتدينون لا تتقاتلوا
١٦٨	رسالة تولوستوي
١٦٨	يسوع المسلم
١٦٨	مزج الدين مع السياسة
١٧٠	الإيمان عند بلهاء باكستان
١٧٠	الإيمان عند بلهاء الأميركيين
١٧١	تفسير نظرية داروين على الطريقة اللبنانية الطائفية
١٧٢	نظرية اليهود للأصول الإنسانية
١٧٣	الاقتصاد الطائفي
١٧٤	كلمات وآيات
١٨٢	المعتزلة والذرة
١٨٣	أوثان الماضي والحاضر
١٨٣	نحن السابقون
١٨٤	يا مولاي العقل هل تصدق قصة إبراهيم...؟!؟
١٨٥	الأم الطليانية والتضحية بإبنها
١٨٦	كيف نصدق
١٨٨	يتنزهون في الفردوس...!!
١٨٩	يا مولاي العقل...
١٩٠	إحتجاج على نبي المسلمين
١٩١	إفتاءات ومواعظ الغزالي
١٩٢	إيمان البشر

١٩٣ أي عالم نحن
١٩٨ نحن والماضي والحاضر
٢٠١ الفصل الثالث
٢٠٣ السلطة المدنية والسلطة الدينية
٢٠٥ الخلافة هبة الله
٢٠٦ سلطان الله في أرضه
٢٠٨ بلاد الإستبداد أوطاني
٢٠٩ في أوروبا
٢١٠ جميعنا مسلمون - ومحاطون باليهود
٢١٢ العلمنة طريق الغرب
٢١٣ رأي الفيلسوف الألماني البارون هولباخ
٢١٤ تاجر الدين
٢١٥ لا سيادة إلا للعقل
٢١٥ وانتصرت ثورات العلم
٢١٦ بين أمس واليوم
٢١٨ هل يعود الفاروق إلى الوجود؟
٢١٨ السلطة الدينية النزيهة
٢١٩ يجمع المال لله تعالى...!
٢١٩ الكرافات أيضاً لله تعالى
٢٢٠ علوم الزمان تحويها كتب الأديان...
٢٢١ غرس التفرقة والإنقسام
٢٢٢ الإمام علي والقضاء والقدر
٢٢٣ براهين العلم وبراهين الدين
٢٢٤ المتدينون - العرب واليهود

٢٢٥	دماء العلماء - الشهداء
٢٢٨	بين الأفغاني ورينان
٢٢٩	الإنسان
٢٣١	أحداث تاريخية
٢٣٣	كلمات وآيات خالديات
٢٣٧	الغزالي وبيت المقدس
٢٣٨	زيوت المصباح والكهرباء
٢٣٩	الأصوليون وأولي الألباب
٢٤٠	ليقرأ الأصوليون
٢٤٠	تابع كلمات وآيات خالديات
٢٤٤	رجال العلم
٢٤٥	ابن رشد
٢٤٥	المعصومون
٢٤٦	الفكر - إداة ومحتوى
٢٤٨	إخوان الصفاء يكتبون
٢٤٩	يدورون حول الأرض
٢٥١	فصل الدين عن السلطة
٢٥١	التصدير والإستيراد
٢٥٢	هل هي حقاً مقدسة؟
٢٥٣	الخرافات لا تفوز على المنطق
٢٥٥	بعض القصص من بركان الجهل
٢٥٥	المرأة وأوجاع الطلق
٢٥٦	الله والإنسان
٢٥٦	دماء الكفار ممنوعة

٢٥٧ صحيح مسلم
٢٥٨ الفقيه - وبولس الرسول - وأحمدي نجاد - والإمام الغائب
٢٥٩ شارلمان والصيام
٢٥٩ كولومبوس وابن رشد والفايكان
٢٦٠ طبريا والترجمان والقديسة لوردس
٢٦٠ الأديان بالنسبة إلى اباطرة روما
٢٦١ عين العقل وطه حسين - وجوقة شحرورالوادي
٢٦٢ السلطان الأمي يمنع المطبعة
٢٦٢ يسوع ووالده منهمكان
٢٦٣ حسنات وسيئات صلاح الدين
٢٦٤ الطقوس وعولمة الإيمان
٢٦٥ المؤمنون بالجنة
٢٦٥ كساد مهنة الطب
٢٦٦ قنطرة طليطلة (توليدو)
٢٦٧ قديس يحاكم ملحدة
٢٦٨ إيمان اليهود
٢٧٠ حسب ونسب البشرية
٢٧٠ بداية الكون عند اليهود
٢٧١ إيمان اليهود في نظر كارل ماركس
٢٧١ إيمان المبشرين في أفريقيا
٢٧٢ إيمان الشعوب
٢٧٣ رواية الخلق عند قدماء الأرمن
٢٧٤ شجاعة
٢٧٤ جبة الدرويش

٢٧٥ الكهنة والعالم الآخر
٢٧٥ المصيبة الكبرى
٢٧٦ الإيمان بالخير
٢٧٦ بداية زرع الأديان
٢٧٨ لا تعبد شخصاً مثلك
٢٧٨ انفجار البركان
٢٧٩ هل سليمان بن داوود حقيقة...؟
٢٧٩ صحيح البخاري
٢٨٠ جاهلية أوروبا
٢٨٠ جهل العقول - للتاريخ
٢٨٢ تصدير الإيمان
٢٨٢ كتاب كوبرنكوس
٢٨٣ كلمات وآيات
٢٩٣ الفصل الرابع : رسالة العقل الفاطمية
٢٩٥ الخلافة الفاطمية
٢٩٧ اعتقادات
٢٩٨ رسالة العقل
٢٩٨ الحاكم بأمر الله
٣٠٠ كلمات من رسالة الحاكم
٣٠٢ أقوال بعض العلماء والمؤرخين في الحاكم بأمر الله
٣١٠ أحداث هددت الخلافة في عهد الحاكم
٣١٤ إشاعات لهدم الخلافة الفاطمية وزرع الإنقسامات العقائدية ...
٣١٦ أشاعوا
٣٢٤ المقال الفصل : هل ادعى الألوهية...؟

٣٢٥	الدعوة الإسماعيلية - وتأليه الحاكم
٣٢٦	الدعاة يؤلّهون ويلقبون
٣٢٩	كلمات للحاكم
٣٣٢	رسالة الكرمانى
٣٣٣	هل ادعى الألوهية حقاً...؟
٣٣٦	تفسير بعض النصوص
٣٣٨	إيضاح الحقائق
٣٤٠	التفسيرات العقلانية
٣٤١	التنوخى ونفى الوهية الحاكم
٣٤٢	الحركة الثقافية
٣٤٣	كبار العلماء فى جامعة الحكمة
٣٤٥	كلمات
٣٤٧	مراسيم الحاكم
٣٥٧	مسك الختام
٣٥٩	الفهرس

هذا الكتاب

العقل هو البداية... بداية كل موجود في الوجود... بداية
وتكوين كل انطلاق حضاري للإنسانية... بداية كل مسيرة
نحو الفهم والتطور والإبداع... إنه ميزة الإنسان في كل زمان
ومكان... هذا العقل كان أعظم وأروع ما أبدعته مئات ملايين
سنوات التكوين... إنه أبو العجائب المنظورة والمحسوسة
والملموسة التي تدحض وتلغي أعاجيب الأساطير الخيالية
التي ينسبونها لقوى إلهية غير منظورة، ومتمترسة فوق الغيوم.

ISBN 978-993335204-2



9 789933 352042

